

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ،
أما بعد :

فهذه هي المجموعة الثالثة من كتاب :

«المنتقى من بطون الكتب»

ولقد يسر الله جمعه وانتقاه من كتب عديدة ، وفي موضوعات متنوعة ،
ولمؤلفين مختلفين ، وفي عصور متباينة .

ويُهدف من وراء ذلك أمور كثيرة منها : التعريف ببعض الكتب ، وبيان ما
تضمنته من علوم خصوصاً إذا كانت نادرة ، أو قليلة الانتشار .

ومنها : الوقوف على مناهج بعض المؤلفين ، وطرائقهم في الكتابة والتأليف
خصوصاً وأن هذه المجموعة ستضمن تعريفاً موجزاً بالمؤلفين ومناهجهم .

ومنها : _ وهو أعظمها _ إنهاض الهمم ، وتوسيع المدارك ، وزيادة الإيمان ،
وترسيخ الفضيلة ، وإبهاج النفوس ، والرقى بالأخلاق ؛ وذلك من خلال النقول
التي تتضمن حكماً بالغة ، أو مواظباً حسنة ، أو تجارباً ناضجة ، أو نظراتٍ
ثاقبة ، أو أفكاراً سامية ، أو عباراتٍ رائعة رقيقة ، أو تحريراتٍ عالية ، أو أساليبَ
بارعة ، أو معانيَ لطيفة ، أو قصصاً نادرة مؤثرة ، أو تعريفاتٍ جامعة مانعة ، أو
غير ذلك مما جرى مجراه ، مما يفيد الإنسان في معاشه ومعاده .

فأسأل الله _ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى _ أن يجعل هذا العمل مباركاً

نافعاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزي خير الجزاء من أعان على إخراج هذا الكتاب؛ إنه سميع قريب.

وإلى تلك النقول، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

محمد بن إبراهيم الحمد

ص.ب ٤٦٠

الرمز البريدي: ١١٩٣٢

الزلفي: ١٤٢٥/٦/٨ هـ

www.Toislam.Net

البريد الإلكتروني:

alhamad@toislam.net

أولاً: نقولات مختارة من كتاب:

أدب النفس؛ للحكيم الترمذي ت ٣٢٠

«تعريف بالمؤلف وبالكتاب»:

هو أبو عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي الحافظ المحدث المتوفى سنة ٣٢٠. وله عدد من المؤلفات منها: منازل العباد من العبادة، وحقيقة الآدمية، والمعرفة، وإنبات العقل، والاحتياطات وغيرها. ومنها هذا الكتاب الذي بين أيدينا وهو (أدب النفس). وهذا الكتاب يبحث في النفس الإنسانية وما يعتريها من الهوى، والشهوة، والجهل، وما تتأدب به النفوس، وتهذب، وتصبح راضية مطمئنة. وهذا الكتاب من القطع المتوسط، وعدد صفحاته ١٢٦، وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه د. أحمد عبدالرحيم السَّايح، وهذه الطبعة هي الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، وقد نشرته الدار المصرية اللبنانية.

«النفولات المنتقاة»: قال الحكيم الترمذي رحمه الله :

١- إن الله أنشأ خلقه؛ لإظهار ربوبيته، ولبروز آثار قدرته، وتدبير حكمته، وليكون ذكره ومدحه مردداً على القلوب وعلى السنة الخلق والخلقة، لما علم في غيبه، فأنبأنا في تنزيله، فقال -جل ذكره-: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الجاثية: ٢٢.

فَأَعْلَمْنَا لِمَا خَلَقَ، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦. فقال أهل اللغة: إلا ليوحدون، ومثل ذلك قوله - تعالى -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الفاتحة: ٥ يعني نوحده. ص ١١

٢- وأباح ذكره على كل حال؛ تقديماً له على سائر الحالات وأعمال البر، وحصر ما سواه من الأفعال في أوقات مخصوصة، مع ما ذكر في الكتاب، وجرت به الأخبار عن الرسول ﷺ بتفضيل الذكر على سائر الطاعات؛ لأن في الذكر مدحه. ص ١٢

٣- وندب العباد في غير آية من كتابه إلى أن ينشروا ذكره، ويذكروا عنه جميل صنائعه، فقال -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠ في كل ذلك يحثهم على مدحه، وذكره بالجميل، والثناء الحسن، وفي كل اسم له مدحه، وجميل ذكره. ص ١٣

٤- ثم إن الله - تعالى - دعاهم إلى أن يوحدوه قلباً وقولاً وفِعْلاً؛ فمن قبل ذلك منه جملة، فاستقرت المعرفة بأنه واحد، فاطمأن به قلبه، وترجم به لسانه عما في ضميره، وعزم على الفعل مائلاً له - فقد آمن به، وهذا كله من العبد في

وقت واحد، فركب فيه الشهوات والهوى، وجعل للشياطين فيهم وساوس يجرون فيهم مجرى الدم، ويغوصون غوص النون في البحر. ص ١٤

٥- وجعل القلب ملكاً على الجوارح، فالشهوة تحرك البدن الساكن، وترعج القلب، والشيطان يمينه، ويزين له، ويعده، والهوى يميل به، ويقوده؛ فالمؤمن قلبه مطمئن بالإيمان، والتوحيد ظاهر على لسانه.

فإذا جاء وقت فعل الأركان عمل فيه الشهوات، وزين له العدو، ومال به الهوى حتى يفعل الفعل الذي يخيل إليك في الظاهر أنه لم يؤمن بعد، فهو موحد بالقلب واللسان.

ولكن تغلبه الشهوة وقوتها، فبظلمة هذا الهوى، ووسوسة هذا العدو والتزيين غلب على القلب، لا على ما في القلب، مما في القلب من المعرفة، فالقلب به مطمئن، ولكن صار مأسوراً مقهوراً، وهو أبداً لمن غلب عليه، وقهره. ص ١٤، ١٥

٦- فمن نور الله قلبه بنور الإيمان قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام به قلبه، واطمأنت به نفسه، وسكنت، ووثقت، وأيقنت، واثتمنته على نفسها، فرضيت لها به وكيلاً، وتركت التدبير عليه. فإن وسوس له عدو بالرزق والمعاش لم يضطرب قلبه ولم يتحير؛ لأنه قد عرف ربه أنه قريب، وأنه لا يغفل، ولا ينسى، وأنه رؤوف رحيم، وأنه رب غفور رحيم، وأنه عدل لا يجور، وأنه عزيز لا تمنع منه الأشياء، وأنه يُجبر ولا يُجار عليه. ص ١٦، ١٧

٧- فعامّة أهل التوحيد قد أيقنوا بهذا، إيماناً به، وقبولاً له، ولم يستقر ذلك

الإيمان في قلوبهم حتى إذا كانت وقت الحاجة اضطربت قلوبهم، وتحيرت، واشتغلت عن خالق الأشياء ومالك الملوك.

وأهل اليقين الذين قد استنار الإيمان في قلوبهم فسكنت القلوب، واطمأنت النفوس إلى ضمان ربها، وقربه منهم، وقدرته عليهم. ص ١٧

٨- وإنما تقع حلاوة صنع الصانع في قلبك على قدر حبك للصانع، وإنما تحب الصانع على قدر معرفتك بقدره، وكلما كنت به أعلم، وكان هو أرفع منزلة في الأشياء كان قدره عندك أعظم؛ فهو إليك أحب. ص ٢٦

٩- قال له القائل: وما رياضة النفس؟ وكيف يكون ذلك؟ قال: يسير على من يسره الله ووفقه؛ فأما الرياضة فهي مشتقة عربيّتها من الرضّ، وهو الكسر، وذلك أن النفس اعتادت اللذة والشهوة، وأن تعمل بهواها؛ فهي متحيّرة، قائمة على قلبك بالإمّرة، وهي الإمّرة بالشهوة، فيحتاج إلى أن يطمها، فإذا فطمها عن العادة انقطعت. ص ٣٤

١٠- ويقال في اللغة: راض، ورضّ، بمعنى واحد، فمن قال: رضّ، فلما أدغم الألف في الضاد شدّد، ومن أبرز الألف خفّف الضاد، فقال راض، فالرّض الكسر، فقليل في الأشياء المكسورة: رضّ، وقيل في الأخلاق المكسورة: راض؛ فهذه النفس إذا فطمها انكسرت عن الإلحاح عليك، ومنازعتك في الأمور؛ فإن النفس اعتادت اللذة والشهوة، وأن تعمل بالهوى، فإذا فطمها عن العادة انقطعت، ألا ترى أن الصبي إنما اعتاد ثدي أمه، كيف سكوته بذلك الثدي، إنما يحنُّ إليه إذا فقده، وكيف يفرح به إذا وجده. فكذلك النفس

الشهوانية ، فإذا فطم الصبي انفطم؛ حتى لا يلتفت إلى الثدي بعد ذلك؛ لأنه وجد طعم ألوان الأطعمة ، فلا يحن إلى اللبن ، كذلك النفس إذا وجدت طيب اليقين ، وروح قرب الله - تعالى - وحلاوة اختيار الله - عز وجل - وجميل نظره لها ، لم تَحِنَّ إلى تلك الشهوات. ص ٣٤ ، ٣٥

١١- قيل له : فبماذا يوجد اليقين؟ قال : بطهارة القلب؛ لأن اليقين طاهر؛ فيطهر مكانه ومستقره.

قيل له : وما طهارته؟ قال : ترك ما اضطرب القلب عليه ورايك منه؛ تورعاً دق أو جل ، ثم تطهره من التعلق بالشهوات والاشتغال بها ، فإذا أنت فعلت ذلك صقلت قلبك فصار لك مرآة بالتورع ، فكلما تفكرت شيئاً من أمر الآخرة ، تمثّل ذلك في مرآتك ، حتى تصير الآخرة لك معانية. ص ٣٥ ، ٣٦

١٢- ألا ترى أن البازي كيف كان نفاره من الآدميين في الجبال الشامخات ، فلما رُبَّ وأُمسِكَ على التربية أنس بصاحبه ، وأخذت التربية بقلبه ، واعتاد السكون معه؛ فنزع عن النفار ، وترك همَّ الطيران ، واطمأن إلى صاحبه ، حتى إذا أرسله وحثّه على الطيران طار ، فأصاد وأمسك عليه صيده؛ تحرياً لموافقته مولاه ، ثم إن دعاه من الطيران رجع ، وآثر هواه على هوى موافقة نفسه ، فأجابه منقضاً إلى حبله وسباقه.

أفلا يحق على مؤمن أبصر هذا أن يموت كمداً وعبرة ، وأسفاً على فوت هذا من نفسه أن يكون طيره أسمع له وأطوع ، وأشدَّ تحرياً لموافقته ، وألزم لنصيحته من العبد المؤمن لربه؟ ص ٣٧ ، ٣٨

١٣- فكذلك يصير العبد إذا راض نفسه بترك الشهوات، وقطع الأسباب، وانقطع عن اللذات، ومجاهدة الهوى، وامتناعه عما يريد حتى تذلل، وتنقمع؛ فحينئذ ينقاد القلب والعقل، وتستقيم في سيرها على حدٍّ ما أمر به، ولا تهاب أحداً في أموره، ولا تخاف فيه لومة لائم. ص ٤١

١٤- فإذا غفلت عن النفس بعد رياضتها فلا تأمن أن تعود إلى بعض عاداتها ما دامت الشهوات منها حية، والهوى قائماً، ألا ترى أن القوس إذا تُرك استعمالها وتعاهدها وعتقت^(١)، وكيف يأخذ البيت الأسفل من البيت الأعلى؟ فكلما رميت بها سهماً أخطأ الغرض؛ كذلك النفس إذا تركتها حتى تقوى شهواتها، ويشتد حرُّها في الجوف، وتقوى ظلمة الهوى أخذت من البيت الأعلى، وهو نور العقل، ونور المعرفة، ونور الروح، ونور العلم، فتحرق بنيران الشهوات من هذه الأنوار التي في القلب بقدر قوتها.

وإذا قويت بنيران الشهوات ضعفت الأنوار، فيظلم الهوى على اليقين، فيتولد الشك على القلب من هذه الآفات، فتغلب على القلب هذه الآفات. ص ٥٨

١٥- أفلا ترى كيف تعالج القوس، وتحمى حتى تلين، فإذا لانت سويت، حتى يرجع البيت الأعلى إلى مكانه، وإنما زال عن مكانه؛ لأن البيت الأسفل لما قوي وصلب مدَّ بالبيت الأعلى بفضل قوّته، فكذلك النفس لما قويت وصلبت شهواتها، انتشرت وهاج هواها، فأحرقت أنوار القلب، والقلب هو رطب

١- عتقت من العتيق، وهو القديم من كل شيء.

بالأنوار؛ لأن النور هو من الله - تعالى - رحمة، والرحمة باردة، والقلب ليّن منقاد برطوبة تلك الأنوار.

فإذا احترق النور، صلب القلب، وقسا، ويبس، فحفّ عن ذكر الله، ولها عنه. ص ٥٩، ٦٠

١٦- قال له قائل: فما بالنا نسمع هذا العلم فنفهمه، ونعقله، ولا يبقى على القلب منه شيء؟.

قال: لأن نيران الشهوات في الخوف قد التهمت، فهي نيران سود، مظلمة بالهوى، وهي مؤدية إلى نار الله الكبرى، فإذا التهمت ارتفع إلى القلب، وأحرق تلك الأنوار، فخلا القلب من الموعظة والعلم الذي عليه، وهي شبيهة بالنار التي تلهب حمرتها، فتحتاج إلى ماء كثير حتى تطفئه، كما ألقيت عليه قبضة من شيء، أو رششت عليه قليل ماء، انطفأ قليلاً ثم التهب؛ فكذلك صاحب الشهوة، إذا سمع الموعظة ذُبل قلبه، وتخسفت نفسه؛ لما يصل عليه من الخوف؛ لأن الوعيد مما تنكسر به النفس، وتحمد شهواتها.

ألا ترى أن الرجل يكون في لذة من لذات الدنيا ونشاط، فإذا بلغه وعيد من السلطان انكسر وذهب نشاطه؛ فوعيد الله - تعالى - لو خلص إلى القلب، لكانت النفس والشهوات أشدّ انكساراً، ولكن لا يصل ذلك إلى القلب، فهو صلب أبداً، فرح مرح، أشربطراً، فهو ينور بلهب.

فإنما يطفأ بالماء الكثير الغالب وهو العلم المؤدي إلى الخوف والوعيد، وليس يوجد هذا، فما الحيلة في ذلك؟

قال: إنا لا نعلم له حيلة، إلا أن يمنع من إلقاء الخطب عليه؛ فإنه متى زاده وقوداً اتقد، وثار والتهب، وقوي.

ومتى ما حبس عنه وقوده خمد، حتى يصير رماداً ويذهب حر التنور، كذلك ههنا يحبس عنها الشهوات حتى تخمد، فتذهب فورتها والتهابها، فحينئذ تتخلص أنوار القلب ويقوى، ويعمل العقل عمله. ص ٧٤، ٧٥

١٧- ترى الرجل يصلي بالليل، ويعق والديه، ويصوم النهار، ويسوء خلقه في شأن فطوره، وسحوره، ويغتاب الناس، وينفق في أعمال البر، ويكتسب الشهوات، ويعود المرضى، وينقل الجنائز، ويؤذي المسلمين، ويطلب عوراتهم، ويود الأبعد، ويقطع الأرحام، فهذا رجل جاهل بربه، يعبد بالهوى، كلما هوي أمراً ركه، وكذب فيما يقول: إني أريد به الله. ص ٧٦، ٧٧

١٨- وإنما أتى فساد الخلق من إهمال النفس وترك تأديبها، وقلة النظر في أمر الله - تعالى -، وجهلهم به، فلو عرفوه لاستراحوا من خدع النفس ودواهيها؛ لأن النفس إنما تطمع بمخادعة من يجهل بربه. ص ٧٧

١٩- فالإنسان مطبوع على سبعة أخلاق: على الغضب، والرغبة، والرغبة، والشهوة، والغفلة، والشك، والشرك. ص ٨٢

٢٠- وكلما ازداد العبد في إيمانه نوراً وقوة وشعاعاً تنقص من الغضب والشهوة، والرغبة والرغبة؛ فكل مؤمن على قدر إيمانه يكون من هذه السبعة باقية فيه. ص ٨٦

٢١- فإذا تركت المجاهدة على الحقيقة منعك النصرة، فبقيت مخذولاً، مأسوراً

في يدي الشهوة والهوى، فإذا صار القلب مأسوراً، فهو كملك مأسور في يد العدو، فإذا تعذر عليه الأعوان والجند، بل يذلون وينهزمون في الملاهي والأباطيل. ص ١٠٧

٢٢- قال له قائل: فكيف تكون المجاهدة على الحقيقة، إذ قال: (حق جهاده؟).

فقال: اعتبر مجاهد الظاهر، وامثل رجلين، أحدهما سلاحه تام، وحمل نفقة سنة، وتجهز بما يحتاج إليه، ورافق في الطريق رفقاء، وتبسط في مسيره وطرب مع رفقائه، وتلذذ برؤية الكون ولقاء الناس، وفرح بما نسب إليه من الجهاد، والغزو، فقل: هذا فلان الغازي، وطمعت نفسه في علو المرتبة، وارتفاع المنزلة عن الناس، واتخذ الجاه عندهم بذلك، ونال الكرامة في مسيره مقبلاً ومدبراً، وقلبه ههنا معلق بحب الدنيا، وما خلف فيها، فهذا حاله في الطريق حتى إذا بلغ المنتهى، فعلى وده أنه لا يلقي عدواً أبداً، ولا يسمع بذكره، فهو مقيم هناك مع حنين قلبه إلى شهواته ومناه التي خلفها وراء ظهره. ص ١٠٧، ١٠٨

٢٣- قال له قائل: وما الهوى؟.

قال: جوهرة النفس؛ لأن آدم - عليه السلام - خلق من تراب، فكان الهوى هو عنصره الذي فيه جوهريته الترابية، فكانت تلك الترابية متشعبة في النفس، وهو صفوة غذاء الأم، والهوى تنفس النفس، وهو كدورته، وأصل جوهريته، وهو مظلم، وهو قوة غذاء الأم.

لأن التراب مظلم، وأملك إنما ربك من اللبن، ومما أخرجت الأرض؛ فلذلك قيل في الحديث: (لكل شيء نفس، ونفس النفس الهوى)، فما دام الروح فيك فأنت كون الروح، فإذا خرج الروح منك صار وجهك وجميع جسدك كأنه ذر عليك التراب. ص ١١٤، ١١٥

٢٤- فمن هاهنا هواك يميل بك إلى نعيم الأرض؛ لأنه من جنسه. وإليه يحنُّ، وله يَأْلَفُ؛ فهذه النفس مضطربة إذا حملت عليها أمر الله - تعالى - كذلك الأرض لما حمل عليها الخلق اضطربت؛ فأُسْكِنْتَ بالجبال الرواسي حتى سكنت. ص ١١٥، ١١٦

٢٥- كذلك النفس، إذا اضطربت فإنما تسكن بالمعرفة؛ فكلما كانت معرفتك أعظم وأثقل على القلب، كانت النفس أسكن، ومنه قيل: الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي. ص ١١٦

ثانياً: نقولات مختارة من كتاب:

الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه لأبي هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ

«تعريف بالمؤلف»:

هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى، المعروف بأبي هلال العسكري.

وقد أجمعت التراجم المختلفة على ذلك، كما اتفق الذين ترجموا له أنه ينسب إلى مدينة (عسكر مكرم) من أعمال الأهواز.

وأبو هلال فارسي الأصل، ومع كثرة مؤلفاته وحسن تصانيفه إلا أن المراجع التي تحدثت عنه لم تذكر السنة التي ولد فيها، ولا التي مات فيها على وجه التحديد والإجماع.

وبعض الذين ترجموا له استنتجوا أنه ولد سنة ٣١٠ هـ على وجه التقريب، وأما وفاته فمنهم من قال إنه توفي عام ٣٩٥ هـ، وهم الأكثر، ومال القفطي إلى أنه عاش حتى بعد سنة ٤٠٠ هـ.

ويعزى خمولى ذكره ـ مع طول باعه واتساع علمه ـ إلى أسباب لعل جلّها يعود إلى غلبة شهرة أستاذه أبي أحمد العسكري الذي يحمل الاسم ذاته، واسم الأب، والنسبة، مما أثر سلباً على التلميذ.

ولأبي هلال مؤلفات كثيرة في الحديث، والتفسير، والتاريخ، واللغة، والأدب.

ومنها: كتاب التلخيص، وجمهرة الأمثال، والأوائل، وديوان المعاني،

والصناعتين ، والفروق اللغوية ، والمعجم في بقية الأشياء ، ورسالة في العزلة والاستئناس بالوحدة ، وغيرها من الكتب .

ومنها كتاب الحث على طلب العلم ، والاجتهاد في جمعه .

«تعريف بالكتاب» :

هذا الكتاب ليس بالطويل ، بل هو من الكتب المتوسطة أو أقل من المتوسطة . وهذا الكتاب يُبين عن حسٍّ تربوي دقيق ، وخبرة تربوية طويلة ، يبرز ذلك من خلال ما أورده من حرص على تقدير المكانة السامية للعلم والعلماء والمتعلمين ، مؤكداً على ما يُمكنُ عدُّه وسائل لطلب العلم ، وعوامل لنجاحه توصل إلى تلك المكانة التي يراها ، ومذكراً طالب العلم بجملة من أقوال العلماء ، وما بذلوه من جهد جبار في سبيل تحصيل العلم .

وبالجملة فهذا الكتاب يمكن أن يعد إسهاماً فيما يسمى بـ «أدب الطلب» أو «الأدب التربوي» .

وهذا الكتاب حقق وطبع أكثر من مرة ، حيث طبع عام ١٤٠٦هـ بتحقيق د.مروان قباني ، وطبع عام ١٤١٨هـ بتحقيق د.عبدالمجيد دياب . وقد أفدت من هذين التحقيقين .

_ «النقولات المنتقاة»: قال رحمه الله :

١_ والاجتهاد فيما يُكسبُ العز، ويزيد في النباهة والقدر _ راحة العاقل،
والتواني عنه عادة الجاهل.

وقلت في نحو ذلك :

وساهر الليل في الحاجات نائمهُ وواهب المال عند المحل كاسبهُ
وقلت في نحو ذلك :

وليغدُ في تعب يرُحُ في راحة إن الأمور مُريحُها كالمُتعبِ
وقلت :

ألا لا يذمَّ الدهر من كان عاجزاً ولا يعذلُ الأقدار من كان وانيا
فمن لم تُبلَّغه المعالي نَفْسُهُ فغير جدير أن ينال المعاليا

ص ٤٥ - ٤٦

٢_ ومثل العلو في المكارم مثل الصعود في الثنايا^(١) والقلل^(٢)، ولا يكون إلا
بشق النفس، ومن ظن أنه ينعم في قصد الذرى^(٣)، والتوقل^(٤) في القذفات^(٥)
العلا، فقد ظن باطلاً، وتوهم محالاً. ص ٤٦

٣_ وقال الجاحظ : العلم عزيز الجانب، لا يعطيك بعضه، حتى تعطيه كلك،

١_ الثنايا : جمع ثنية وهي الطريق في الجبل.

٢_ القلل : جمع قلة وهي قمة الجبل.

٣_ الذرى : جمع ذروة وذروة كل شيء أعلاه.

٤_ التوقل : الصعود.

٥_ القذفات : جمع قذفة وهي أعالي الجبل ونواحيه.

وأنت إذا أعطيته كلك كنت من إعطائه إياك البعض على خطر.

وقد صدق؛ فكم من راغب مجتهد في طلبه لا يحظى منه بطائل على طول
تعبه، ومواصلة دأبه ونصبه؛ وذلك إذا نقص ذكاؤه، وكلَّ ذهنه، ونَبَت قريحته.
والفهم إنما يكون مع اعتدال آله، فإذا عدم الاعتدال لم يكن قبول، كالطينة
إذا كانت يابسة، أو مُنحَلَّة، لم تقبل الختم، وإنما تقبله في حال اعتدالها.

وإذا أكدى الطالب مع الاجتهاد فكيف يكون مع الهوينى والفتور؟! ص ٤٧

٤- وإن كنت - أيها الأخ - ترغب في سمو القدر، ونباهة الذكر، وارتفاع
المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزاً لا تُثْلِمه الليالي والأيام، ولا تَحْيِفُه الدهور
والأعوام، وهيبةً بغير سلطان، وغنىً بلا مال، ومنفعةً بغير سلاح، وعلاءاً من
غير عشيرة، وأعواناً من غير أجر، وجنداً بلا ديوان وفرض - فعليك بالعلم؛
فاطلبه في مظانه تأتِكَ المنافع عفواً، وتلق ما تعتمد منها صفواً.

واجتهد في تحصيله ليالي قلائل، ثم تذوّق حلاوة الكرامة مدة عمرك، وتمتع

بلذة الشرف فيه بقية أيامك، واستبق لنفسك الذكر به بعد وفاتك. ص ٤٨

٥- وإذا تدبرت قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقال: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»

كنت حقيقاً بالاجتهاد في طلب العلم أو أن قدرتك عليه، غير معذور في التواني
عنه، والتقصير فيه؛ لأن العاقل لا يعتمد تخسيس قيمته، ولا يغفل عما يرفع من

قدره. ص ٥٠

٦- وقال بعض الأوائل: لا يتم العلم إلا بستة أشياء:

(١) ذهن ثاقب. (٢) وزمان طويل. (٣) وكفاية.

(٤) وعمل كثير. (٥) ومعلمٌ حاذق. (٦) وشهوة.

وكلما نقص من هذه الستة شيء نقص بمقداره من العلم. ص ٥٢

٧- قال أبو هلال: فإذا كان العلم مؤنساً في الوحدة، ووطناً في الغربة، وشرفاً للوضع، وقوةً للضعيف، ويساراً للمُقتر، ونباهةً للمغمور، حتى يلحقه بالمشهور المذكور - كان من حقه أن يُؤثّرَ على أنفس الأعلام، ويقدم على أكرم العقد، ومن حق من يعرفه حق معرفته أن يجتهد في التماسه؛ ليفوز بفضيلته؛ فإن من كانت هذه خصاله كان التقصير في طلبه قصوراً، والتفريط في تحصيله لا يكون إلا بعدم التوفيق، ومن أقصر عنه أو قصر دونه فليأذن بخسران الصفقة، وليقرّ بقصور الهمة، وليعترف بنقصان المعرفة، وليعلم أنه غيب الحظّ الأوفر، وخُدع عن النصيب الأجل، وباع الأرفع بالأدون، ورضي بالأخس عوضاً عن الأنفس، وذلك هو الضلال البعيد. ص ٥٤

٨- ولِفَضْلِ العلم ما ذلت في التماسه الأعزاء، وتواضع الكبراء، وخضع لأهله ذوو الأحلام الراجحة، والنفوس الأبية، والعقول السليمة، واحتملوا فيه الأذى، وصبروا على المكروه، ومن طلب النفيس خاطر بالنفيس، وصبر على الخسيس. ص ٥٨

٩- قال أبو هلال: سميت الرياح: المؤتفكات؛ لأنها لا تتماسك، وأصل هذه الكلمة عدم التماسك، وسمي الكذب إفكاً؛ إذ كان يدل على نفسه بالفساد والبطلان، كأنه لا يتماسك. ص ٥٩

١٠- وقال سعيد بن جبير: لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك، كان أجهل ما يكون.

قال الشيخ أبو هلال: ونحو هذا ما قلته:

أُحَقِّرُ نفسي وهي نفس جليلة تَكْنَفُها من جانبيها الفضائلُ
أحاول منها أن تزيد فترتقي إلى حيث لا يسمو إليه المحاول
وإن أنت لم تبغ الزيادة في العلا فأنت على النقصان منهن حاصل

ص ٦٢

١١- وقيل لبزرجمهر: بم جمعت هذا العلم الكثير؟!

قال: بيبكور كبكور الغراب، وحرص كحرص الخنزير، وصبر كصبر الحمار.
ونحو هذا قول شعبة وقد قيل له: ما بال حديثك نقياً؟!

قال: لِتَرْكِي العصائد بالغدوات. ص ٦٥

١٢- إن الكتب لا تحيي الموتى، ولا تحول الأحمق عاقلاً، ولا البليد ذكياً،
ولكن الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول فالكتب تشحذ، وتفتق، وترهف.
ومن أراد أن يعلم كل شيء فينبغي لأهله أن يداووه؛ فإن ذلك إنما تصور له
لشيء اعتراه. ص ٧٠

١٣- وقال الزهري: إن الرجل ليطلب وقلبه شغْبُ من الشعاب، ثم لا يلبث
أن يصير وادياً، لا يوضع فيه شيء إلا التهمة.

قلنا: يريد أن أول الحفظ شديد يشق على الإنسان، ثم إذا اعتاد سهل.
ومصدق ذلك ما أخبرنا به الشيخ أبو أحمد، عن الصُّولي، عن الحارث ابن

أسامة قال: كان العلماء يقولون: كل وعاء أفرغت فيه شيئاً فإنه يضيق إلا القلب؛ فإنه كلما أفرغ فيه اتسع.

وقال أبو السمع الطائي: كنت أسمع عمومتي في المجلس ينشدون الشعر، فإذا استعدتهم زجروني وسبوني، وقالوا: تسمع شيئاً ولا تحفظه! قال الشيخ: وكان الحفظ يتعذر عليّ حين ابتدأت أرومه، ثم عودته نفسي، إلى أن حفظت قصيدة رؤبة:

❖ وقاتم الأعماق خاوي المخترق ❖ في ليلة وهي قريب من مائتي بيت.
وقد قال الشعبي: ما وضعت سوداء في بيضاء قط، ولا حدثني أحدٌ بحديثٍ فاحتجتُ إلى أن يعيده عليّ. ص ٧١ - ٧٢

١٤- وينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه حتى يُسمع نفسه؛ فإن ما سمعته الأذن رسخ في القلب؛ ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرأه، وإذا كان المدرّس مما يفسح طرق الفصاحة، ورفع به الدارس صوته زادت فصاحته. ص ٧٣

١٥- وحكي لي عن بعض المشايخ أنه قال: رأيت في بعض قرى النبط فتىً فصيحاً اللهجة، حسنَ البيان، فسألته عن سبب فصاحته مع لُكنة أهل جلدته! فقال: كنت أعمد في كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ، فأرفع صوتي بها في قراءتها، فما مر لي إلا زمان قصير، حتى صرت إلى ما ترى. ص ٧٣

١٦- وحكي لي عن أبي حامد أنه كان يقول لأصحابه: إذا درستُم فارفعوا أصواتكم، فإنه أثبت للحفظ، وأذهب للنوم.

وكان يقول: القراءة الخفية للفهم، والرفيعة للحفظ والفهم، وكان بعضهم يقرأ الكتاب، ثم يذاكر به حرفاً حرفاً، كأن قارئاً يقرؤه عليه، فيفسره له. ص ٧٣

١٧- واعلم أن الذكاء، وجودة القريحة، وثقوب الذهن جواهر نفيسة، فإذا طلب صاحبها العلم فبلغ مبلغاً فقد حفظ جمالها على نفسه، وأحرز منفعتها لها.

ومن ترك الطلب حتى كلَّ ذهنه، وعميت فطنته، وتبلدت قريحته، مع إدبار عمره - كان كمن عمَد إلى ما عنده من الياقوت والدر فرضه، وأبطل الجمال والنفع به.

وإذا كان ما جمعته من العلم قليلاً، وكان حفظاً كثرت المنفعة به، وإذا كان كثيراً غير محفوظ قلت منفعته. ص ٧٤ - ٧٥

١٨- وقال المنصور بن المهدي للمأمون: أحسن بمثلي أن يتعلم؟

فقال: والله لأن تموت طالباً للعلم خيرٌ من أن تموت قانعاً بالجهل. ص ٧٦

١٩- وحكي عن ثعلب أنه كان لا يفارقه كتاب يدرسه، فإذا دعاه رجل إلى دعوة، شرط عليه أن يوسع له مقدار مسورة؛ يضع فيها كتاباً ويدرس. ص ٧٦-٧٧

٢٠- وكان أبو بكر الخياط النحوي يدرس جميع أوقاته، حتى في الطريق، وكان ربما سقط في جرف، أو خبطته دابة. ص ٧٧

٢١- وحكي عن بعضهم أنه كان يشد في وسطه خيطاً إذا قام من الليل يدرس؛ خوفاً من أن يسقط إذا نعس. ص ٧٧

٢٢- وكان ابن الفرات لا يترك كل يوم إذا أصبح أن يحفظ شيئاً وإن قل.
 وكان بعضهم يقول: متى تبلغ من العلم مبلغاً يُرضى، وأنت تؤثر النوم على
 الدرس، والأكل على القراءة؟ ص ٧٧

٢٣- وكان الأصمعي يحفظ اثنتي عشرة ألف أرجوزة، فيها ما كان عدد أبياتها
 المائة والمائتين. ص ٧٩

٢٤- قال الشيخ أبو هلال: وعند الحكماء أن من تبرم بالعلم والعلماء، ومن
 يقدر على حفظ العلم والأدب، وهو مقصر فيه - فليس بإنسان كامل، والكامل
 من الناس من عرف فضل العلم، ثم إن قدر عليه طلبه. ص ٨٢
 ٢٥- وقال الحسن: من ترك طلب العلم؛ حياءً ألبسه الجهل سرباله، ومن رق
 وجهه رق علمه.

وقال الخليل: منزلة الجهل بين الحياء والأنفة. ص ٨٤

٢٦- قال أبو هلال: وجعل الحكماء منزلة العلماء مثل منزلة الملوك.
 فقالوا: من أدب الداخل على العالم أن يسلم على أصحابه عامة، ويخصه
 بالتحية، ويجلس قدامه، ولا يشير بيده، ولا يغمز بعينه، ولا يقول بخلاف قوله،
 ولا يغتاب عنده أحداً، ولا يسار في مجلسه، ولا يلح عليه إذا كسل، ولا يعرض
 عن كلامه، فإنه بمنزلة النخلة، لا يزال يسقط عليك منها شيء ينفعك. ص ٨٤

٢٧- وكان الخليل يقول: أثقل ساعات علي ساعة أكل فيها! ص ٨٨

٢٨- قال أبو هلال: ولو أن الجاهل تبين نقيصة الجهل من نفسه - لفرع إلى
 مفارقتة بالكد في التعلم، ولكنه كآكل الثوم، لا يشم من نفسه ننته، وإنما يشمه

غيره، ويتأذى به سواه. ص ٩٧

٢٩- والفضيحة بالجهل عظيمة، والغبن به كثيرٌ لو عرفه الجاهل. ص ٩٧

٣٠- ولا يرضى بالجهل إلا من هانت عليه نفسه، فلا يبالي أن يهجي،
ويُسْتَخَفَّ به، ويُسخر منه، وأدنى حقه منه ذلك.

ومن أكرمه - إلا عند ضرورة - فقد وقع الإكرام في غير موضعه. ص ٩٧

ثالثاً: نقولات مختارة من كتاب:

الصدّاقة والصديق لأبي حيان التوحّيدي ٣١٠ - ٤١٤هـ

«تعريف بالمؤلف»: هو أبو حيان علي بن العباس البغدادي ولد سنة ٣١٠هـ من أبوين فقيرين ، وقد قضى حياته في بغداد ، حيث أتيح له أن يتلقى العلم على بعض علماء عصره كأبي سعيد السيرافي ٢٤٨هـ - ٣٦٧هـ ، وعلي ابن عيسى الرماني ٢٩٦هـ - ٣٨٤هـ وغيرهم.

قال عنه ياقوت الحموي رحمته الله في معجم الأدباء ٢٨٧/٤: «التوحّيدي: شيرازي الأصل وقيل نيسابوري ، ووجدت بعض الفضلاء يقول له: الواسطي». وقال عنه ٢٨٨/٤: «وكان متفنناً في جميع العلوم من النحو، واللغة، والشعر، والأدب، والفقه، والكلام على رأي المعتزلة».

إلى أن قال: «ومع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً، وفطنة، وفصاحة، ومُكنة كثير التحصيل للعلوم في فن حفظه، واسع الدراية والرواية» اهـ. ولأبي حيان تصانيف كثيرة منها: رسالة الصدّاقة والصديق، والبصائر والذخائر، والإمتاع والمؤانسة، والمقابسات، وأخلاق الوزيرين إلى غيرها. وسمي بالتوحّيدي نسبة إلى التوحيد، وقيل: نسبة إلى نوع من تمر العراق؛ حيث كان أبوه يبيع التوحيد ببغداد.

وعلى كل حال فإن أبا حيان قد اختلف في سيرته؛ فالناس فيه ما بين قادح ومادح، وإن اتفقوا على علوّ كعبه، ونباوة قدره في علوم شتى. وأما موضوع هذا الكتاب الذي بين أيدينا فلا علاقة له فيما يذم به أبو حيان،

بل يكاد يكون أحسن كتبه؛ لأنه يتحدث عن موضوع يشترك فيه الناس على اختلاف طبقاتهم، وإن كان لا يخلو من ملحوظات عامة.

«تعريف بالكتاب»: هذا الكتاب يكاد يكون أحسن ما ألف في هذا الباب؛ إذ الحديث عن الصداقة والصديق حديث حلو رائق، رائع شائق، تتجاوب فيه عواطف النفس البشرية، وعلى صفحاته تنعكس نفسياتها وروحها. ولقد عُني العلماء، والأدباء، والفلاسفة، والشعراء في موضوع الصداقة؛ فأمعنوا في استكناه هذه الرابطة العجيبة، وتعريفها، وتحديدتها، وتحليل روابطها ودوافعها، ودوامها، وفسادها، وما إلى ذلك.

والصداقة قد تكون لمنفعة، وقد تكون للذة، وقد تكون لفضيلة، وهذه الأخيرة هي التي عليها المدار، وهي التي لا تبلى بمرور الأيام. وأبو حيان التوحيدي عاش عمراً مديداً يصل إلى مائة وأربع سنوات، وكتابه هذا بدأه سنة ٣٧١هـ، ولم يتمه إلا سنة ٤٠٠هـ أي في العقد الأخير من عمره بعد أن «بلغت شمس رأس الحائط» على حد تعبيره.

وهذا مما يؤكد أهمية هذا الكتاب الذي صدر عن ذلك الأديب ذي النفس المرهفة، والتجربة الطويلة، كيف وقد بين في كتابه هذا أن في حديث الصداقة «شفاء للصدر، وتخفيفاً من البرحاء، واطراداً للغيط، وبرداً للغليل، وتعليلاً للنفس».

ولقد ضمّن هذا الكتاب نقولاً كثيرة، وتجارب فريدة فذة، توصل من خلالها إلى استنتاجات بديعة ممتعة، تفيد الإنسان في معاشه، وتعامله مع الأحداث،

والتغيرات ، وتختصر عليه وقتاً طويلاً خصوصاً إذا كان ذا فطنة مستيقظة تعتبر بالحوادث ، ولا تمر عليها مرور الكرام.

وقد طبع الكتاب أول مرة في القسطنطينية في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١هـ.

وطبع مرة ثانية في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ.

أما الطبعة التي بين أيدينا فقد عني بتحقيقها والتعليق عليها د.إبراهيم الكيلاني ، وتقع في ٤١٦ صفحة ، قياس الصفحة ٢٥X١٧سم ، وهي الطبعة الثانية من مطبوعات دار الفكر المعاصر في بيروت لبنان ، ودار الفكر في دمشق سورية عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

ـ «النقولات المنتقاة» : قال أبو حيان التوحيدي في كتابه : الصداقة والصديق :

١ـ سُمع مني في وقت بمدينة السلام كلامٌ في الصداقة ، والعشرة ، والمؤاخاة ، والألفة ، وما يلحق بها من الرعاية ، والحفاظ ، والوفاء ، والمساعدة ، والنصيحة ، والبذل ، والمواساة ، والجود ، والتكرم ، مما قد ارتفع رسمه بين الناس ، وعفا أثره عند العام والخاص ، وسُئلت إثباته ففعلت ، ووصلت ذلك بجملةٍ مما قال أهل الفضل والحكمة ، وأصحاب الديانة والمروءة ؛ ليكون ذلك كله رسالة تامة يمكن أن يستفاد منها في المعاش والمعاد. ص ٢٩

٢ـ قال أبو سليمان السجستاني : « فأما الملوك فقد جَلُّوا عن الصداقة ؛ ولذلك لا تصح لهم أحكامها ، ولا توفي بعهودها ، وإنما أمورهم جارية على القدرة ، والقهر ، والهوى ، والشائق ، والاستحلاء ، والاستخفاف .
وأما خدمهم وأولياؤهم فعلى غاية الشبه بهم ، ونهاية المشاكلة لهم ؛ لانتسابهم بهم ، وانتسابهم إليهم ، وولوع طورهم بما يصدر عنهم ، ويرد عليهم .
وأما الثَّناء وأصحاب الضياع فليسوا من هذا الحديث في غير ولا نفير .
وأما التجار فكسب الدوانيق سدُّ بينهم وبين كل مروءة ، وحاجزٌ لهم عن كل ما يتعلق بالفتوة .

وأما أصحاب الدين والورع ـ فعلى قلتهم ـ فربما خلصت لهم الصداقة ؛ لبنائهم إياها على التقوى ، وتأسيسها على أحكام الحرج ، وطلب سلامة العقبى .

وأما الكتَّاب وأهل العلم فإنهم إذا خلوا من التنافس ، والتحاسد ، والتماري ،

والتماحك _ فرما صحت لهم الصداقة ، وظهر منهم الوفاء ، وذلك قليل ، وهذا القليل من الأصل القليل .

وأما أصحاب المذاب والتطيف فإنهم رجرة بين الناس ، لا محاسن لهم فتذكر ، ولا مخازي فتتشر ؛ ولذلك قيل لهم همج ، ورعاع ، وأوباش ، وأوناش ، ولفيف ، وزعانف ، وداصة ، وسقاط ، وأنزال ، وغوغاء ؛ لأنهم من دقة الهمم ، وخساسة النفوس ، ولؤم الطبائع على حال لا يجوز معها أن يكونوا في حومة المذكورين ، وعصابة المشهورين . ص ٣٢ - ٣٣

٣- كان سبب إنشاء هذه الرسالة في الصداقة والصدق أنني ذكرت شيئاً منها لزيد بن رفاعه أبي الخير ، فنامه إلى ابن سعدان الوزير أبي عبدالله سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله أعباء الدولة ، وتديره أمر الوزارة ، حين كانت الأشغال خفيفة ، والأحوال على إزلالها جارية ، فقال لي ابن سعدان : قال لي زيد عنك كذا وكذا ، قلت : قد كان ذاك ، قال : فدوّن هذا الكلام ، وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم ؛ فإنّ حديث الصديق حلو ، ووصف الصاحب المساعد مطرب ؛ فجمعت ما في هذه الرسالة ، وشغل عن ردّ القول فيها ، وأبطأت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان .

فلما كان هذا الوقت _ وهو رجب سنة أربعمائة _ عثرت على المسودة وبيضتها على نخيلها ، فإن راقتك فذاك الذي عزمتُ بنيتي ، وحولي ، واستخارتي ، وإن تزلقتُ عن ذلك فللعذر الذي سحبتُ ذيله ، وأرسلت سيله . ص ٣٥

٤- واسترسال الكلام في هذا النمط شفاء للصدر، وتخفيف من البرحاء،
وانجياب للحرقة، واطراد للغيط، وبرد للغليل، وتعليل للنفس، ولا بأس
بإمرار كل ما لاءمه، ودخل في حوزته، وإن كان آخره لا يدرك، وغايته لا
تملك. ص ٣٧ - ٣٨

٥- قال صالح بن عبدالقدوس:

بُنِيَّ عَلَيْكَ بِتَقْوَى الْإِلَهِ فَإِنَّ الْعَوَاقِبَ لِلْمَتَّقِي
وَإِنَّكَ مَا تَأْتِ مِنْ وَجْهِهِ تَجِدُ بَابَهُ غَيْرَ مُسْتَعْلَقِ
عَدُوكَ ذُو الْعَقْلِ أَبْقَى عَلَيْكَ مِنَ الصَّاحِبِ الْجَاهِلِ الْأَخْرَقِ
وَذُو الْعَقْلِ يَأْتِي جَمِيلَ الْأُمُورِ وَيَعْمَدُ لِلْأَرْشَدِ الْأَوْفَقِ
ص ٣٨

٦- فأما الذي قال في أصدقائه وجلسائه الخير، وأثنى عليهم الجميل، ووصف
جده بهم، ودلَّ على محبته لهم - فغريب!.

قال بعضهم:

أَنْتُمْ سُرُورِي وَأَنْتُمْ مُشْتَكِي حَزَنِي وَأَنْتُمْ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ سُمَّارِي
أَنْتُمْ وَإِنْ بَعُدَتْ عَنَّا مَنَازِلُكُمْ نَوَازِلُ بَيْنِ أَسْرَارِي وَتَذَكَارِي
إِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ أَلْفِظْ بِغَيْرِكُمْ وَإِنْ سَكَتُ فَأَنْتُمْ عَقْدُ إِضْمَارِي
اللَّهُ جَارُكُمْ مِمَّا أَحَازَرُهُ فَيَكُمُ وَحْبِي لَكُمْ مِنْ هَجْرِكُمْ جَارِي
ص ٣٨

٧- أخبرنا أبو سعيد السيرافي، قال: أخبرنا ابن دُرَيْد، قال: قال أبو حاتم

السجستاني : « إذا مات لي صديق سقط مني عضو » . ص ٣٩

٨- وقيل لأعرابي : مَنْ أكرمُ الناس عشرة؟ قال : مَنْ إن قَرُبَ مَنَح ، وإن بَعُدَ مَدَح ، وإن ظُلِمَ صَفَح ، وإن ضُويقَ فَسَح ، فمن ظفر به فقد أفلح ونجح . ص ٣٩

٩- كان أبو داود السجستاني أيام شبابه وطلبه للرواية قاعداً في مجلس ، والمستملي في حديثه ، فجلس إليه فتى ، وأراد أن يكتب ، فقال له : أيها الرجل استمدُّ من محبرتك؟ قال : لا ، فانكسر الرجل ، فأقبل عليه أبو داود ، وقد أحسَّ بخجله : أما علمت أن من شرع في مال أخيه بالاستئذان ، فقد استوجب بالحشمة الحرمان ، فكتب الرجل من محبرته ، وسمي أبو داود حكيماً . ص ٤٢ - ٤٣

١٠- أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى ، أخبرنا ابن دريد ، عن عبد الرحمن ، عن عمه الأصمعي ، قال عبد الله بن جعفر : كمال الرجل بخلال ثلاث : معاشرة أهل الرأي والفضيلة ، ومداواة الناس بالمخالقة الجميلة ، واقتصاد من غير بخل في القبيلة ، فذو الثلاث سابق ، وذو الاثنين زاهق ، وذو الواحدة لاحق ، فمن لم تكن فيه واحدة من الثلاث لم يسلم له صديق ، ولم يتحنَّن عليه شفيق ، ولم يتمتع به رفيق . ص ٤٤

١١- قال العتابي لصاحب له : ما أحوجك إلى أخ كريم الأخوة ، كامل المروءة ، إذا غبت خلفك ، وإذا حضرت كنفك ، وإذا نكرت عرفك ، وإذا جفوت لاطفك ، وإذا بررت كافأك ، وإذا لقي صديقك استزاده لك ، وإن لقي عدوك كفَّ عنك غرب العادية ، وإذا رأيته ابتهجته ، وإذا بائنته استرحته .

ص ٤٤ - ٤٥

- ١٢- وقال الخليل بن أحمد: الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال. ص ٤٥
- ١٣- مرض قيس بن سعد بن عبادة فأبطأ إخوانه عنه، فسأل عنهم، فقليل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله ما يمنع الإخوان من العيادة، ثم أمر منادياً فنادى: ألا مَنْ كان لقيس عليه حق، فهو منه في حلٍّ وسعة، فكسرت درجته بالعشي؛ لكثرة من عاده. ص ٤٥
- ١٤- قال عمر بن شبة: التَّقَى أخوان في الله، فقال أحدهما لصاحبه: والله يا أخي إني لأحبك في الله، فقال له الآخر: لو علمت مني ما أعلمه من نفسي لأبغضتني في الله.
- فقال: والله يا أخي لو علمت منك ما تعلمه من نفسك لمنعني من بغضك ما أعلمه من نفسي. ٤٦ - ٤٧
- ١٥- وقال إبراهيم بن أدهم: أنا منذُ عشرين سنة في طلب أخٍ إذا غضب لم يقل إلا الحق فما أجده. ص ٤٧
- ١٦- قال بعض السلف: عليك بالإخوان، ألم تسمع قوله - تعالى - : ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ الشعراء: ١٠٠ - ١٠١. ص ٤٨
- ١٧- قال رجل لأبي مجنب: إني لأودُّك، فقال: إني لأجد رائد ذلك. ص ٤٩
- ١٨- قال ابن عائشة: جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك، وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك. ص ٥١
- ١٩- قال أبو جعفر المنصور: مَنْ أعطى إخوانه النِّصْفَةَ، وعاشرهم بجميل العِشْرَةِ قوياً بهم عضده، وزاد بهم جلده، وبذلوا دونه المهج، وخاضوا في

رضاء اللجج.ص ٥١

٢٠- قال الشعبي: تعايش الناس بالدين زماناً حتى ذهب الدين، ثم تعايشوا بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعايشوا بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم تعايشوا بالرغبة والرغبة، وسيتعايشون بالجهالة زماناً طويلاً.ص ٥٣

٢١- قال الأحنف: من حق الصديق أن يحتمل له ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة.ص ٥٤

٢٢- وقال أبو بكر: قارب إخوانك في خلائقهم تسلم من بوائقهم، وترتع في حدائقهم.ص ٥٤

٢٣- قال عثمان بن عفان: ما ملك رفيقاً من لم يتجرّع بغيظاً ريقاً.ص ٥٥

٢٤- قال الأصمعي فيما روى لنا المرزباني، عن ابن دريد، عن عبدالرحمن، عن الأصمعي، قال أعرابي: أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم.ص ٥٥

٢٥- قيل لمسور بن مخزومة الزهري: أيُّ الندماء أحبُّ إليك؟ قال: لم أجِد نديماً كالحائط، إن بصقتُ في وجهه لم يغضب عليّ، وإن أسررتُ إليه شيئاً لم يفشه عني.ص ٥٥

٢٦- قال ابن منذر: كنت أمشي مع الخليل فانقطع شِسْعُ نعلي فخلع نعله، فقلت له: ما تصنع؟ قال: أواسيك بالحفاء.ص ٥٥

٢٧- قال بعض السلف: ابذل لصديقك دَمَكَ ومالك، ولمعرفتك رِفْدَكَ ومحضرك، ولعدوك عدلك وإنصافك.ص ٥٧

٢٨- مرَّ بخالد بن صفوان صديقان، فعرَّج عليه أحدهما وطواه الآخر، فقليل له في ذلك، فقال: عرج علينا هذا الفضله، وطوانا ذاك لثقتة. ص ٥٨

٢٩- قال العوامي: الصديق يرتفع عن الإنصاف، ويجلُّ -أيضاً- عن الهجران؛ لأن الإنصاف ينبغي أن يكون عاماً مع الناس كلهم، وأما الهجران فالعاقل لا يسرع إليه لعدم الإنصاف بل يستأنى، ويقف، ويكظم، ويتوقع، ويرى أن العارض في الأمر لا يُزال به الأمرُ الثابت، والعرقُ النابت. ص ٥٨

٣٠- وكان بين القاضي أبي حامد المروزي وبين ابن نصرويه العداوة الفاشية، والشحناء الظاهرة^(١)، فكان إذا جرى ذكر ابن نصرويه أنشد:

وأبى ظاهرُ العداوة إلا طغياناً وقولَ ما لا يقالُ
وكان يقول: والله إنني بباطنه في عداوته أوثقُ مني بظاهر صداقة غيره، وذاك لعقله الذي هو أقوى زاجر له عن مساءتي، إلا فيما يدخل في باب المنافسة؛ ولهذا استمر أمرنا أربعين سنة، من غير فحاشة ولا شناعة، ولقد دعيتُ إلى الصلح فأبيتُ، فقلت: لا نحرك الساكن منا، فلقدِم العداوة بالعقل، والحفاظ من الذمام والحرمة ما ليس لحديث الصداقة بالتكلف والملق.

ولقد وقفني مرة على ضربة تأت له عليّ كان فيها البوار، كفَّ عنها، وأخذ بالحسنى، فأريته أختها، وكانت خافيةً عنده، فقال: لولا علمي بأنك تسبق إلى مثل هذه ما قابلتك بتلك، فقلت: هو والله ذاك.

ووالله لقد ضرني ناس كانوا يتحلون مودتي، ويتبارون في صداقتي؛ لضعف

١- هذه قصة عجيبة تؤكد الحكمة القائلة: إن العدو العاقل خير من الصديق الجاهل.

نحائزهم^(١)، ولؤم غرائزهم، ولقد ثبت لي هو في عداوته على عقل وتذمم،
أفضيا بهما إلى سلامة الدين، والنفس، والحال.

وورد معز الدولة هذا المصّر، فسأله عني سرّاً، فأثنى خيراً، وقال: ما قطنَ
مصرنا غريب أعظم بركة منه، وإنه لَجَمَانُنا عند المباهاة، ومَفْزَعُنا عند الخلاف!
ولقد سألتني معز الدولة عنه سرّاً، فأثنت خيراً، وقلت: أيها الأمير، والله ما
نشأت فتنةً في هذا المصر إلا وهو كان سبب زوالها، وإطفاء ثائرتها، وإعادة
الحال إلى غضارتها ونضارتها!

فقال معز الدولة لأبي مخلص سرّاً: كيف الحال بينهما؟ - يعني - فقال: بينهما
بُؤٌّ لا ينادى وليدُهُ، وتعادٍ لا يلين أبداً شديدُهُ.

فقال: لئن كان كما تقول فإنهما ركنا هذا البلد، وعدتّا هذا السواد، اجعلهما
عينيّ أبصر بهما أحوال الناس في هذا المكان، وأعولّ عليهما في ما يريان
ويشيران، فخلا بي أبو مخلص وبصاحبي، وتقدم إلينا عن صاحبه بما زادنا بصيرةً
وتألفاً إلى هذه الغاية.

ثم قال أبو حامد: والله إن عداوة العاقل للألدِّ وأحلى من صداقة الجاهل؛ لأن
الصديق الجاهل يتحامك بعداوته، ويهدي إليك فضل عقله ورأيه، ومن فضل
عداوة الجاهل أنك لا تستطيع مكاشفته حياءً منه، وإيثاراً للإرعاء عليه، ومن
فضل عداوة العاقل أنك تقدر على مغالبتة بكل ما يكون منه إليك.

ثم قال: وما أظن أنه كان فيما مضى إلى وقتنا هذا متصادقان على العقل

١- نحائز: جمع نخيزة، وهي الطبيعة.

والدين، مثل أبي بكر وعمر، ومن يتحرى أخبارهما، ويقفو آثارهما وقف على غورٍ بعيد، هذا مع العُجْهية المصحوبة أيام الجاهلية، والعُجْرية المعتادة أوان الكفر، فلما أنار الله قلوبهما بالإيمان رجعا إلى عقل نصيح، ودين صحيح، وعرفان بالعرف والنكر، ونهوض بكل ثقل وخف، وإني لأرحم الطاعن فيهما، والنائل منهما؛ لضعف عقله ودينه، وذهابه عما خصا به، وعمّا فيه، وميزا عنه، ورقيا إليه، واندفع في هذا وشبهه، وكان والله بليل الريق، يستحضر كيف شاء بالطويل والعريض، والجليل والدقيق. ص ٥٩ - ٦١

٣١- قال محمد بن الحنفية: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بُدًّا من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك مخرجاً. ص ٦٢

٣٢- قال أبو بكر: حقُّ المجلس إذا دنا أن يُرحب به، وإذا جلس أن يوسع له، وإذا حدث أن يُقبل عليه، وإذا عثر أن يقال، وإذا أنقص أن ينال، وإذا جهل أن يُعلم. ص ٦٢

٣٣- قال عبد الملك بن صالح: مشاهدة الإخوان أحسن من إقبال الزمان، وألذ من نيل الأمان، وأحلى من رضا السلطان. ص ٦٤

٣٤- إن الزمان على اختلاف مروره ما زال يخلطُ حزنه بسروره
لم يُصَفِ عيشاً منذ كان لمعشرٍ إلا وعاد يجدُّ في تكديره
فالعاقل النحرير يُلزم نفسه صبراً عليه في جميع أموره
وأحقُّ ما صبر امرؤ من أجله ما لا سبيل له إلى تغييره

٣٥- قيل لديوجانس^(١): ما الذي ينبغي للرجل أن يتحفظ منه؟ قال: من حسد أصدقائه، ومكر أعدائه. ص ٧١

٣٦- قال انكساغورس: كيف تريد من صديقك خلقاً واحداً وهو ذو طبائع أربع^(٢)؟

وفي مثله قول الشاعر:

وأنتى له خُلُق واحد وفيه طبائعه الأربع

ص ٧١

٣٧- سمعت برهان الصوفي الدينوري يقول: سمعت الجنيد يقول: لو صحبني فاجر حسن الخلق كان أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق.

قال برهان: لأن الفاجر الحسن الخلق يُصلحني بحسن خلقه، ولا يضرني فجوره، والعابد السيئ الخلق يفسدني بسوء خلقه، ولا ينفعني بعبادته؛ لأن عبادة العابد له، وسوء خلقه عليّ، وفجور الفاجر عليه، وحسن خلقه لي. ص ٧٢

٣٨- إذا أنت صاحبت الرجال فكن كأنك مملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء عذباً وبارداً على كبدٍ حرى لكل صديق

ص ٧٣

٣٩- قيل للجنيد: ابن عطاء يدعي صداقتك فهل هو كما يقول؟
قال: هو فوق ما يقول، وأجد ذلك له من قلبي بشواهد لا تكذبني عنه، ولا

١- هو ديوجانس، أو ديوجينيس الكلبي من حكماء اليونان.

٢- يعني: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة.

تَكْذِبُهُ عَنِي. ص ٨٧

٤٠- توفي ابن ليونس بن عبيد فقيلاً له : إن ابن عون لم يأتك .

فقال : إنا إذا وثقنا بمودة أخ لا يضرنا أن لا يأتينا. ص ٩٥

٤١- قال بلال بن سعيد : أخ لك كلما لقيك ذكرك برؤيته ربك خير لك من

أخ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً. ص ٩٩

٤٢- قال يحيى بن معاذ : واشوقاه إلى حبيب إذا غضب عفا ، وإذا رضي

كفى. ص ١٠٠

٤٣- أخبرني المَرْزَبَانِي ، حدثنا الصُّوْلِي ، حدثنا المَبْرَدُ ، حدثنا أَبُو عَمْرٍ ، قال

الأَصْمَعِي : دخلتُ على الخليل وهو جالس على حصير صغير فقال : تعال واجلس ، فقلت : أضيقُ عليك .

فقال : مَهْ ، فإن الدنيا بأسرها لا تسعُ متباغضين ، وإن شبراً في شبر يسع

متحابين. ص ١٠٤ - ١٠٥

صفو المودة مني آخر الأبد

٤٤- ما ودَّني أحدٌ إلا بذلت له

إلا دعوت له الرحمن بالرشد

ولا قلاني وإن كنت المحبَّ له

ولا مددت إلى غير الجميل يدي

ولا اتُّمِنتُ على سرٍّ فبحثُ به

منعاً ولو ذهبتُ بالمال والولد

ولا أقول نعم يوماً فأتبعها

حتى أُغَيَّبَ في الأكفان واللحد

ولا أخون خليلي في حليلته

ص ١٠٨ - ١٠٩

٤٥- سمعت أحمد بن محمد الكاتب يحكي : قال العتَّابي : لا أحبُّ رجلاً نُقِلَ

إلي ما كرهتُ عن صديقي فغيّرني له، ولا عن عدوّ فحملني على طلب الانتصار منه، ومع ذلك فلم يستحي بأن واجهني بما ساءني سماعه. ص ١١٠

٤٦- بعث النضر بن الحارث إلى صديق له بعبّادان نعلين مخصوفتين وكتب إليه: إني بعثت بهما إليك، وأنا أعلم أنك عنهما غني، لكنني أحببت أن تعلم أنك مني على بال، والسلام.

فأجابه: ما أنا بغني عن برّك الذي يحثني على شكرك، ويخرطني في سلكك، ويزيدني بصيرةً بزيادة الله عندك، ومحبتك -لأنّ أعلم أنّي منك على بال؛ لأن يقيني بذلك راسخ، وحمدي عليه غادٍ ورائح، لا عدمتك لي أخاً باراً، ولا عدمتني لك قائلاً ساراً. ص ١١٣

٤٧- قال أبو غسان غناة بن كليب: اجتمعت أنا ومحمد بن النضر الحارثي وعبدالله بن المبارك والفضيل ورجل آخر، فصنعت لهم طعاماً، فلم يخالف محمد بن النضر علينا في شيء، فقال له ابن المبارك: ما أقلّ خلافك، فأنشد:

وإذا صاحبتَ فاصحبْ ماجداً ذا حياءٍ وعفافٍ وكرمٍ
قوله للشيء لا إن قلت لا وإذا قلت نعم قال نعم

ص ١١٣ - ١١٤

٤٨- كتب أبو بكر لرجلٍ كتاباً في شيء جعله قطيعة له، فحملة الرجل إلى عمر بن الخطاب ليمضيه، فلما نظر عمر فيه بزق عليه ومحاه، فعاد الرجل مستعراً إلى أبي بكر فقال: فعل عمر كذا وكذا، والله ما أدري أأنت الخليفة أو عمر؟ فقال أبو بكر: هو، إلا أنه أنا!.

وكان الزهري يرويهِ: إلا أنه أبى، وعلى الوجهين المراد صحيح، والمرمى عال، والغاية بعيدة. ص ١١٩

٤٩- قيل لأعرابي: أبا الصديق أنت أنس أم بالعشيق؟ فقال: يا هذا الصديق لكل شيء، للجد والهزل، وللقليل والكثير، ولا عاذل عليه، ولا قاذح فيه، وهو روضة العقل، وغدير الروح.

فأما العشيق فإنما هو للعين، وبعض الريبة، والعذل إليه من أجله سريع، وفي الوُلُوع به إفراط مزجور عنه، وحد موقوف دونه، فأين هذا من ذاك؟! ص ١١٩

٥٠- إذا كثرت ذنوبٌ من خليل	فَقَفُّهُ بين وصل واجتناب
وأنظره فلأيام حكم	بذلك كل ماضي العزم أب
وعاتبه فكم أبدى عتاب	جَلِيَّةً مشكل بعد ارتياب
ورجّ النفع في الإعراض عنه	إذا أخفقت من نفع العتاب
وراجعه بعفوك حين يثني	عِناناً للرجوع أو الإياب
فإن العفو عن ذي الحزم أولى	إذا قدرت يدك على العتاب
فإنك واجد للحي ذنباً	وتعدم ذنباً من تحت التراب

ص ١٢٢

٥١- وقال بعض العلماء: التمس ودّ الرجل العاقل في كل حين، وودّ الرجل

ذي النكر في بعض الأحيان، ولا تلتمس ودّ الرجل الجاهل في حين. ص ١٣٢

٥٢- ويلقونني بالبشر ما دمت فيهمُ فإن غبتُ عنهم قطعوا الجِلْدَ بالسبِّ وأغضي على أشياء منك تُريني ولولا اضطباري فاضَ عن عَظْمِها قلبي

وما ذاك من ضَعْفٍ ولا سوء مَحْتَدٍ ولكن تناسي الذنب أقطع للذنب
ص ١٣٦ - ١٣٧

٥٣- إذا ما امرؤ ساءتك منه خليقةً ففي الصَّفْح طي للذنوب جميل
وإني لأعطي المال من ليس سائلاً حفاظاً وإخوان الحِفاظ قليل
ص ١٣٨

٥٤- وسمعت أبا دُلف الخزرجي يقول: أنا أستجفي الشاعر الذي يقول:
والله لا كنت في حسابي إلا إذا كنت في حسابك
فإن تزرني أزرك أو إن تقف ببابي أقف ببابك
وكان يقول: ما هذه الغلظة، والفظاظة؟! وما هذه المكايسة والمصادقة؟!
أفليس لو قابلك صاحبك بمثل هذا الأمر وقف الأمر بينكما؟ وانتكت حبل المودة
عنكما؟ ودبت الشحاء في طي حالكما؟ ص ١٤٢

٥٥- تُبدي لك العين ما في نفس صاحبها من الشَّئَاء أو ودُّ إذا كانا
إنَّ البغيضَ له عَيْنٌ يَصْدُّ بها لا يستطيعُ لما في الصدر كِتْمَانَا
وعينُ ذي الودِّ ما تنفكُ مُقْبِلَةً ترى لها مَحْجَرًا بَشًّا وإنسانا
والعينُ تَنطِقُ والأفواه صامتةٌ حتى ترى من ضمير القلب تَبْيَانَا
ص ١٤٨

٥٦- قال أبو هاشم الحرَّاني: ومن طباع الكريم وسجاياه رعاية اللقاء
الواحدة، وشكر الكلمة الحسنة الطيبة، والمكافأة بجزيل الفائدة، وأن لا يوجد

عند عَرَض الحاجة مستعملاً سَوْمَ عَالَةً^(١) ص ١٤٨

٥٧- وقال أبو إسحاق السبيعي: ثلاث يصفين لك ود أخيك: السلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب أسمائه، وأن لا تماريه. ص ١٥٨

٥٨- سمعت العوّامي يقول لعلي بن عيسى الوزير: إن الحال بينك وبين ابن مجاهد صفيقة، فما الذي قر به منك، ونفقه عليك، وأولعك به؟

قال: وجدته متواضعاً في علمه، هشاً في نسكه، كتوماً لسره، حافظاً لمروءته، شقيقاً على خليطه، حسن الحديث في حينه، محمود الصمت في وقته، بعيد القرين في عصره، والله لو لم يكن فيه من هذه الأخلاق إلا واحدة لكان محبوباً، ومقبولاً. ص ١٥٨

٥٩- تَوَقَّ مِنْ الإِخْوَانِ كُلِّ مُمَازِحٍ يزولُ مع الأَفْنَاءِ حَيْثُ تَزُولُ
فلا تَصْحَبَنَّ مُسْتَطِرْفًا ذَا مَلَالَةٍ فليسَ على عهدٍ يدومُ مَلُولُ

ص ١٦٤

١- عرض عليّ سَوْمَ عَالَةً: وهو بمعنى قول العامة عرض سابري يضرب هذا مثلاً لمن يعرض عليك ما أنت عنه غني كالرجل يعلم أنك نزلت دار رجل ضيفاً، فيعرض عليك القرى.

وفي أساس البلاغة للزمخشري ص ٢٢٦: (عرض عليّ الأمر سوم عالة) أي: عرضاً سابرياً كما تسامُ العالة على الشرب لا يستقصى في ذلك لأنها رويت بالنهل.

السابري: نسبة إلى سابور وهي كورة بفارس، قال الشاعر:

❖ وعيش كمسّ السابري

ومنه المثل: (عرض سابري) يقوله من يعرض عليه شيء عرضاً لا يبالغ فيه لأن السابري من أجود الثياب يرغب فيه بأدنى عرض.

العلل: الشرب الثاني، والنهل: الشرب الأول.

٦٠- تَلَقَّيْتُهُ جَهْدِي فَلَمَّا رَأَيْتُهُ إِذَا لَانَ مِنِّي جَانِبٌ عَزَّ جَانِبُهُ
جَرِيتُ لَهُ فِي الصَّدْرِ مِنِّي مَوْدَةً وَخَلَيْتُ عَنْهُ مُهْمِلًا لَا أُعَاتِبُهُ
ص ١٦٥

٦١- قال رجل لمحمد بن واسع: إني لأحبك في الله، قال: فأطع من تحبني
فيه. ص ١٧٠

٦٢- قال أبو حازم المدني^(١) لسلمة بن دينار: لأن ييغضبك عدوك المسلم خير
من أن يحبك عدوك الفاجر. ص ١٧١

٦٣- قال أعرابي: البِشْرُ سِحْرٌ، والهدية سحر، والمساعدة سحر. ص ١٨١

٦٤- وقال فيلسوف: اجتنب مصاحبة الكذاب، فإن اضطرت إليها فلا
تصدقها، ولا تُعَلِّمُهَا أَنَّكَ تَكْذِبُ؛ فينتقل عن ودك، ولا ينتقل عن طبعه. ص ١٨٣
٦٥- وقال فيلسوف: لا تقطع أحداً إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه، ولا
تتبعه بعد القطيعة وقية؛ فينسد طريقه عن الرجوع إليك، فلعل التجارب ترده
إليك، وتصلحه لك. ص ١٨٣

٦٦- قال سقراط: لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك، فكيف بك إذا كنت لا
يأمنك صديقك؟! ص ١٨٤

٦٧- وقال الأحنف: ما عاتبت أحداً إلا وما ائثال عليّ منه أكثر مما عاتبته
عليه. ص ١٨٥

٦٨- قالت امرأة عبدالله بن مطيع لعبدالله: ما رأيت ألام من أصحابك، إذا

١- لعلها: قال أبو حازم المدني سلمة بن دينار؛ لأن أبا حازم هو سلمة بن دينار.

أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك، فقال: هذا من كرمهم، يغشونا في حال القوة منا عليهم، ويفارقونا في حال العجز منا عنهم! ص ١٨٧

٦٩- وقلت للعباداني: مَنْ الصديق؟ قال: من شهد طرفه لك عن ضميره بالوفاء والود، فإن العين أنطق من اللسان، وأوقد من النيران. ص ١٨٧

٧٠- أحبُّ من الإخوان كلَّ مؤاتٍ وكلَّ غضيضٍ الطرفِ عن عَثراتي
يساعدني في كلِّ أمرٍ أحبه ويحفظني حياً وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليت أني وجدته فقاسمته مالي من الحسنات
ص ١٩٦

٧١- ولما جفت سعدٌ سيدها الأضبط بن قريع تحوّل عنهم إلى قبيلة أخرى؛ فظلموه وآذوه فقال: «بكل واد بنو سعد». ص ٢٠٨

٧٢- وقال رجل من قريش: خالطوا الناس مخالطةً إن غبتم حنوا إليكم، وإن مُم بكوا عليكم. ص ٢١٢

٧٣- إني لأبذل للخليل إذا دنا مالي وأترك ماله موفورا
وإذا أردت ثواب ما أعطيته فكفى بذلك نائلاً تكديرا
ص ٢١٦

٧٤- قال الفضل بن الربيع: احلف لأخيك أنك تحبه، واجتهد في تثبيت ذلك عنده؛ فإنه يستجدُّ لك حباً، ويزداد لك وداً. ص ٢٢٣

٧٥- ولاق بيشرٍ من لقيت تكن له صديقاً وإن أمسى مُغباً على حقد
ص ٢٤٠

٧٦_ وقال أعرابي: السؤال عن الصديق أحد اللقائين. ص ٢٤٣

٧٧_ وقال الحسن: ما تحاب اثنان ففرق بينهما إلا ذنب يحدثه أحدهما.

ص ٢٤٤

٧٨_ وقال الحسن: لا تشتر مودة ألفٍ بعداوة واحد. ص ٢٤٤

٧٩_ وأخبرنا ابن مقسم العطار النحوي قال: أنشدنا ثعلب لأعرابي^(١):

وذي رحمٍ قَلَّمْتُ أظفار ضِغْنِهِ	بِحِلْمِي عنه وهو ليس له حلمٌ
إذا سِمْتُهُ وصلَ القرابةِ سامني	قطيعيتها تلك السفاهةُ والظلمُ
ويسعى إذا أبني ليهدمَ صالحِي	وليس الذي ييني كَمَنْ شأنُه الهدمُ
يحاول رَغْمِي لا يحاول غيره	وكالموت عندي أن يسوعَ له الرِّغْمُ
فإن أنتصر منه أكنُ مثل رائشٍ	سهامَ عدوٍ يُستهاضُ بها العظمُ
وإن أعفُ عنه أُغضِ عيناً على قذِي	وليس له بالصفح عن ذنبه عِلْمُ
فما زلت في لينٍ له وتعطفٍ	عليه كما تحنو على الولد الأمُ
لأستلَّ ذاك الضُّغْنَ حتى استللتُه	وقد كان ذا ضغنٍ يضيق له الحزمُ

١_ الأبيات لمعن بن أوس المزني كما في حماسة البحري ٢٤١هـ، ومعن هذا شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وله أخبار مع عمر رضي الله عنه، وكان معاوية رضي الله عنه يفضلُه ويقول: «أشعر أهل الجاهلية زهير وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب، ومعن بن أوس» راجع أخباره في الأغاني ٥٤/١٢ - ٥٦، والإصابة ٨٤٤٥، والخزانة ٢٥٨/٣.

وجاء في الأغاني ٦٠/١٢: «قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عدة من أهل بيته وولده: لِيَقُلْ كل واحد منكم أحسن شعر سمع به، فذكروا لامرئ القيس، والأعشى، وطرفة، فأكثرُوا حتى أتوا على محاسن ما قالوا، فقال عبد الملك: أشعرهم - والله - الذي يقول: وذي رحم...».

فداويت منه الحقد والمرء قادرٌ على سهمه ما دام في كفه السهمُ
ص ٢٤٥

٨٠- أحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ كأنَّ به عن كل فاحشةٍ وقراً
سليمٌ دواعي الصدرِ لا ناشطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هُجراً
إذا ما أتت من صاحبٍ لك زلةٌ فكن أنت محتالاً لزلته عُذراً
غنى النفس ما يكفيك من سدِّ خلةٍ فإن زاد شيئاً عادَ ذاك الغنى فقراً
ص ٢٤٩

٨١- قال ابن المعتز: إذا صحت النية، وتوكدت الثقة سقطت مؤونة
التحفظ. ص ٢٦١

٨٢- إذا أنت شاجرت الرفيقَ فلنْ له ومن خيرٍ من رافقت من لا تشاجرهُ
ص ٢٦٨

٨٣- قال المدائني: يقال: من رمى أخاه بذنب قد تاب منه ابتلاه الله
به. ص ٢٧١

٨٤- وقال آخر: إنما تطيبُ الدنيا بمساعفة الإخوان، ونفع بعضهم بعضاً في
كل باب، وإلا فعلى الصداقة الدمار، وما أرجو إذا كانت تنقطع في الدنيا، ولا
تتصل بما أحب في الدنيا. ص ٢٧٢

٨٥- وقال آخر: التجني رسول القطيعة، وداعي القلى، وسبب السلو،
وأول التجافي، ومنزل التهاجر. ص ٢٧٤

٨٦- وقال آخر: من عاشر الناس بالمساحمة دام استمتاعه بهم. ص ٢٧٤

٨٧_ وحدثني أبو طائع الطَّلحي قال: كتب الجراحي إليّ مرة: الله يعلم أنك ما خطرت ببالي في وقت من الأوقات إلا مثَّل الذكرُ منك لي محاسن تزيدني صباة إليك، وضناً بك، واغتراباً بإخائك. ص ٢٧٦

٨٨_ قال أعرابي لآخر: وُدُّك لا يَنْضَى ملبوسه، ولا يَتَوَى محروسه، ولا يذوي مغروسه^(١). ص ٢٨٠

٨٩_ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مما يصفني لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الكنى إليه. ص ٢٨٤

٩٠_ قال حاتم الأصم: أربعة تُذهب الحقد بين الإخوان: المعاونة بالبدن، واللفظ باللسان، والمواساة بالمال، والدعاء في الغيب. ص ٢٨٥

٩١_ قال أرسطو طاليس في رسالة أفدناها^(٢) أبو سليمان: تعهّد الإخوان بإحياء الملاطفة؛ فإن التارك متروك، ثم تعهد إخوان الإخوان؛ فإن إخوان الإخوان من الإخوان، وهم منزلة العَلَم المستدل به على الوفاء.

ثم تعهد أهل المكاشرة المتشبهين بالإخوان بالصبر عليهم؛ إما طمعاً في تحويل ذلك منهم صدقاً، وإما اتقاء كلمة فاجر وقعت في سمع مائق ذي دولة. ص ٢٨٦-٢٨٧

٩٢_ قال لنا المرزباني: حدثنا القراطيسي قال: أنشدنا أبو العيناء قال: أنشدنا السدري:

١_ لا ينضى: أي لا يخلق، وقوله: لا يتوى: أي لا يضيع ولا يخسر، وقوله: لا يذوي: أي لا يذبل.

٢_ لعلها: أفدناها من أبي...أو أفادناها أبو سليمان...

وإني لأهوى ثم لا أتبع الهوى وأكرم خلاني وفيّ صدودُ
وفي الناس عن بعض التضرع غلظةً وفي العين عن بعض البكاء جمودُ
ص ٢٩٠

٩٣- قال يونس النحوي: لا تعادين أحداً وإن ظننت أنه لا يضرّك، ولا
تزهدين في صداقة أحد وإن ظننت أنه لا ينفعك؛ فإنك لا تدري متى تخاف
عدوك، وترجو صديقك.

ولا يعتذر أحد إليك إلا قبلت عذره وإن علمت أنه كاذب، وليقلّ عتبُ
الناس على لسانك. ص ٢٩١- ٢٩٢

٩٤- وقال أعرابي: خير الجلساء من إذا عَجَبْتُهُ عجب، وإذا فكَّهته طرب،
وإذا أمسكت تحدث، وإذا فكرت لم يلمك. ص ٢٩٢

٩٥- شاعر:

إني لألبسكم على علائكم	لبسَ الشفيق على العتيق المخلق
ولقد أرى ما لو أشاء عتبته	وأصدُّ عنه بُغيّتي وترفقي
ليرى العدو قناتنا لم تنصدع	ويكون ذاك كأنه لم يُخلق
وإذا تُبعت الذنوب فلم تدع	ذنباً قطعت قوى القرين المشفق
وسمعت أو نُقلت إليك مقالة	عوراء نُطقُها صموت المنطق

ص ٢٩٣

٩٦- وقال ابن عائشة: مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلوب صدأ الذنوب،
ومجالسة أهل المروءات تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تزكي

النفوس.ص٢٩٣

٩٧_ وقال كعب الأحبار لرجل أراد سفراً: إن لكل رفقة كلباً فلا تكن كلب

أصحابك.ص٢٩٥

٩٨_ وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: من وجد دون أخيه سترًا فلا

يكشفه.ص٣٠٠

٩٩_ وقال: اصحب الناس بما شئت، يصحبوك بمثله.ص٣٠٠

١٠٠_ كاتب: لا تجمعنَّ دعوى السَّرة، وتكبر الولاية، وتحكم القضاة.ص٣٣٣

١٠١_ كاتب: لو اعتصم شوقي بمثل سلوك عن صلتني لم أبتذل لك وجه الرغبة

فيك، ولا تحسَّيت مرارة تماديك، ولكن استخفَّتني صباة إليك؛ فاحتملت صعب

قسوتك؛ لعظيم قدر مودتك، وأنت أحقُّ من انتصر لصلتي من جفائه، ولشوقي من

إبطائه.ص٣٣٧

١٠٢_ قال أبو العيَّاء: مودة الكريم غراس، وشكر الشريف أحسن

لباس.ص٣٥١

١٠٣_ قال ابن عباس: إن الذباب ليقع على صديقي فيشق عليّ.ص٣٥٢

رابعاً: نقولات مختارة من كتاب:

لباب الآداب تأليف الأمير أسامة بن منقذ ٤٨٨-٥٨٤هـ

«تعريف بالمؤلف»:

هو الأمير أبو المظفر مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ الشيزري الكناني الكلبى.

ولد يوم الأحد ٢٧ من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٨٨هـ، وتوفي ليلة الثلاثاء ٢٣ رمضان سنة ٥٨٤هـ.

وهو من بني منقذ، وهي أسرة مجيدة نشأ فيها رجال كبار كلهم فارس شجاع، وشاعر أديب.

وكانوا ملوكاً في أطراف حلب.

أما أسامة فهو من الأبطال الشجعان، والأدباء الكبار، وقد وصفه الذهبي في تاريخ الإسلام بأنه «أحد أبطال الإسلام، ورئيس الشعراء الأعلام».

وقال عنه العماد الأصبهاني الكاتب: «وأسامة كاسمه، في قوة نثره ونظمه، يلوح من كلامه أماراة الإمارة، ويؤسس بيت قريضه عمارة العمارة، حلو المجالسة، حالي المساجلة، ندى الندى بماء الفكاهة، عالي النجم في سماء النباهة، معتدل التصارييف، مطبوع التصارييف».

ولأسامة بن منقذ مؤلفات عديدة منها: كتاب: الاعتبار، وكتاب: البديع في نقد الشعر، وكتاب: التأسى والتسلي، وكتاب: الشيب والشباب، وكتاب: النوم والأحلام، وكتاب: القضاء، وكتاب: أخبار النساء، وديوان شعره. ومنها ما نحن بصددده وهو كتاب: لباب الآداب.

«تعريف بالكتاب»: هذا الكتاب ألفه أسامة بن منقذ وهو ابن إحدى وتسعين سنة، وقد طبعته دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وهي الطبعة التي أُخِذَتْ منها النقول في هذا المنتقى.

ويقع هذا الكتاب في مجلد يحوي ٥٢٠ صفحة.

وقد تضمن أبواباً وفصولاً في الوصايا والسياسة، والكرم، والشجاعة، والآداب، وكتمان السر، وأداء الأمانة، والتواضع، وحسن الجوار، والصمت، وحفظ اللسان، والقناعة، والحياء، والصبر، والنهي عن الرياء، والإصلاح بين الناس، والتعفف، والتحذير من الظلم، والإحسان وفعل الخير، والصبر على الأذى، ومداواة الناس، وحفظ التجارب، وغلبة العادة.

ومما تضمنه الكتاب، باب البلاغة، ومن محاسن الشعر، ومن محاسن المديح، ومن بليغ التشبيه، والشيب، والاعتذار، والعتاب والمراثي، وباب الحكمة، وفصل في كلام الحكماء إلى غير ذلك.

وكان في الغالب يبدأ الباب أو الفصل أو العنوان بعدد من الآيات القرآنية، ثم يشني بالأحاديث الشريفة، ثم بكلام العلماء والحكماء، والشعراء وهكذا.

والكتاب مليء بالحكم والمواعظ، والتجارب، والقصائد الرائعة، والأبيات الشاردة، والأمثال السائرة إلى غير ذلك لما هو جالب للفائدة والمتعة.

كيف إذا كان عن مجرب قد عرَّكتهُ السنون، ووسمتهُ الأيام بميسمها؟

كيف إذا كان قد كتبه وهو في الحادية والتسعين من عمره؟.

_ «النقولات المنتقاة»: قال أسامة بن منقذ في كتاب لباب الآداب :

١- باب الوصايا

_ الوصية وصيتان: وصية الأحياء للأحياء، وهي أدب، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتحذير من زلل، وتبصرةً بصالح عمل، ووصية الأموات للأحياء عند الموت _ بحق يجب عليهم أدائه، ودَيْن يجب عليهم قضاؤه. ص ١
_ وقال محمد بن علي _ رضوان الله عليهما _ لابنه: يا بُنَيَّ، لا تَكْسَلْ؛ فإنك إن كَسَلْتَ لم تُؤدِّ حقاً ولا تَضْجِرْ؛ فإنك إن ضَجِرْتَ لم تصبر على حقٍّ ولا تمتنع من حقٍّ؛ فإنه ما من عبد يمتنع من حقٍّ إلا فتح الله عليه باب باطل؛ فأنفق فيه أمثاله. ص ١٢

_ قال عمر بن الخطاب _ رضوان الله عليه _ : «من عرّض نفسه للثُهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظنُّ؛ ومن كتم سرّه كانت الخيرة بيده، وَضَعُ أمر أخيك على أحسنه حتى يَأْتِيكَ ما يَغْلِبُكَ عليه، ولا تَظُنَّنَّ بكلمة خرجت من امرئ مُسلم شراً وأنت تجد لها في الخير مَخْرَجاً؛ وعليك بإخوان الصدق فكس^(١) في اكتسابهم؛ فإنهم زينة في الرخاء، عُدّة في البلاء، ولا تَهَاوَنُ في الحَلْفِ بالله فيُهينَكَ، وعليكَ بالصدق ولو قَتَلَكَ، ولا تَعْتَرِ إلى من لا يُغْنِيكَ واعتزل عدوك؛ واحذر صديقك إلا الأمين: والأمين من خشي الله _ تعالى _ ولا تَصْحَبِ الفاجر فتعلّم من فُجُورِهِ، ولا تُطْلِعْهُ على سِرِّكَ فيفضحك، وتُخَشِّعْ عند القبور وآخ الإخوان على قدر التقوى؛ ولا تَسْتَعِنْ على حاجتك من لا يُحِبُّ نَجَاحَهَا لك؛

١- الكيس: العقل والتوقد.

وشاور في أمرك الذين يخافون الله - عز وجل - «ص ١٢

- عن الشعبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر بن الخطاب رضوان الله عليه - يدنيك دون أصحاب محمد ﷺ فأحفظ عني ثلاثاً: لا يُجرِّبن عليك كذباً، ولا تغتابنَّ عنده أحداً، ولا تُفشيْن له سرّاً.

قال: فقلت: يا أبا عباس كل واحدة خير من ألف دينار، قال: كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف دينار. ص ١٥

- قال عبد الله بن الحسن بن الحسين - رضوان الله عليهم - لابنه محمد ﷺ: يا بُنيّ، احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر العاقل إذا كان عدواً؛ فيوشك أن يُورطك الجاهل بمشورته في بعض اغتراره، فيسبق إليك مكروه فكر العاقل.

وإياك ومعادة الرجال؛ فإنها لن تُعديك مكرَ حليم أو مفاجأة جاهل. ص ١٥

- قال معاذ بن جبل ﷺ في وصيته: إنه لا بُدَّ لك من نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج؛ فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذْه؛ فإنه سيمرُّ على نصيبك من الدنيا فينتظمه انتظاماً، ويزول^(١) معك حيث ما زُلّت. ص ١٦

- عن الشعبي قال: قلت لابن هبيرة: عليك بالتَّؤدَّة فإنك على ردِّ ما لم تفعل أقدر منك على ردِّ ما فعلت. ص ١٨

- وقال الحكيم: من التوفيق حفظُ التجربة. ص ١٩

- وقال بعض العلماء: صُنْ عَفَّتْك بالحلم، ومروءتك بالعفاف، ونجذتك بمجانبة الخيلاء، وجهدك بالإجمال في الطلب. ص ١٩

١- يزول: يتحرك.

_ وأوصى بعض الحكماء بنيه فقال: أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة فيستعير من أخيه ثوبه، ومن صديقه دابته، ولا يجد من يعيره لسانه. ص ٢٠

_ قال الصُّولي: كاتبت أبا حنيفة رحمته الله ^(١) فأغفلت التاريخ، فكتب إليّ: وصل كتابك مبهم الألوان، مظلم البيان، فأدّى خبراً ما القرب فيه بأولى من البعد منه؛ فإذا كتبت - أعزك الله - فلتكن كتبك موسومة بالتاريخ، لأعرف أدنى آثارك، وأقرب أخبارك. ص ٢٠

_ كان قس بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره، فقال له: يا قس، ما أفضل العقل؟ قال: معرفة المرء بنفسه، قال: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه، قال: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه، قال: فما أفضل المال؟ قال: ما قُضي به الحق. ص ٢١

_ قال حاتم الطائي:

وما من شيمتي شتم ابن عمي	وما أنا مُخْلَف من يرتجيني
وكَلِمَةٍ حاسد من غير جُرم	سمعتُ فقلت: مَرِّي فانفذيني
فعابوها عليه ولم تعبني	ولم يَعْرِقْ لها يوماً جبيني
ودو اللونين يلقاني طليقاً	وليس إذا تغيب يأتليني

١- ليس أبو حنيفة هذا الإمام المشهور، بل أرجح جداً أنه أبو حنيفة الدينوري (واسمه أحمد بن داود) وهو الكاتب البليغ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب، والصولي أبو بكر محمد بن يحيى الكاتب المعروف مؤلف كتاب (أدب الكتاب)، وهو أدرك الدينوري قطعاً؛ لأنه أخذ العلم عن أبي داود السجستاني صاحب السنن المتوفى سنة ٢٧٥هـ والدينوري مات سنة ٢٨٢هـ أو سنة ٢٩٠هـ، وأما الصولي فإنه مات سنة ٣٣٥هـ.

بصرت بعييه فكففت عنه محافظة على حسبي وديني
ص ٢٤

_ وقال آخر:

نظيرك لا تُظهر عليه تطاولاً فتملاً ضِغناً صدره بالتطاول
ولكن له لِنٌ، وارِعَ - إن كنت راعياً - له الحق وارمم حاله بالنوافل^(١)
ص ٣١-٣٢

_ وقال آخر:

ولا تَهْدِمَنْ بُنيانَ من قد وجدته بنى لك بُنياناً وكن أنت بانيا
ص ٣٢

٢ - باب السياسة

_ قال كسرى: إني ضبطت مُلكي بأني لم أهزل في أمر ولا نهى قط؛ وأعطيت
للغناء لا للرضى، وعاقبتُ للأدب لا للغضب، وصدقتهم الوعد والوعيد،
وعممتُ بالعدل والإنصاف، وكففتُ يدي عن دمائهم وأموالهم إلا بحقها.
ص ٣٧

_ وغضب كسرى على رجل من أصحابه فأمر بحسبه وقطع ما كان جارياً
عليه، فقال له بزرجمهر: إن الملوك تُؤدَّب بالهجران، ولا تعاقب
بالحرمان. ص ٣٧

_ وقع بعض العمال إلى كسرى قُباز في أنطاكية: للملك، جماعة قد فسدت

١- النوافل: جمع نافلة، وهي العطية.

نياتهم، وخبثت ضمائرهم، وقد هموا بما لم يفعلوا، وهم غير مأمونين على المملكة؛ وهم: فلان وفلان وفلان، فإن رأى الملك أن يعاجلهم فعل.

فوقع في رقعته: إنما أملك الأجساد لا النيات، بالعدل لا بالرضى، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر. ص ٣٧-٣٨

- روي أن الموبذ سمع ضحك الخدم في مجلس أنو شروان، فقال له: أما تمنع هؤلاء الغلمان؟ فقال له أنو شروان: إنما يهابنا أعداؤنا. ص ٣٨

- وقال قتيبة بن مسلم: ملاك السلطان الشدة على المريب، والإغضاء عن المحسن، ولين القول لأهل الفضل. ص ٣٨

- وقيل لملك قد زال عنه ملكه: ما الذي سلبك ما كنت فيه؟ قال: دفع عمل يوم إلى غد، والتماس عذر بتضييع عمل. ص ٣٩

- وقالوا: إن اللئيم الجاهل لا يزال ناصحاً حتى يُرفع إلى المنزلة التي ليس لها بأهل، فإذا بُلغها التمس ما فوقها بالغش والخيانة. ص ٤٢

- وقالوا: من أخذ بالحزم وقدم الحذر وجاءت المقادير بخلاف مراده. كان أحمد رأياً، وأظهر عذراً ممن عمل بالتفريط، وإن اتفقت له الأمور على ما يريد. ص ٤٥

- فليس على العاقل النظر في القدر الذي لا يدري ما يأتيه منه، وما ينصرف عنه؛ ولكن عليه العمل بالحزم في أمره، ومحاسبة نفسه في ذلك. ص ٤٦

- وقال الحكماء: الحاكم من لا يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة، والهمُّ بالحادثة عن الحيلة لدفعها. ص ٤٦

_ وقالت الحكماء: من كانت فيه ثلاث خلال لم يستقم له أمر: التواني في العمل، والتضييع للفرص، والتصديق لكل مخبر. ص ٤٦

_ وقد قيل: أربعة أشياء لا يُستَقَلُّ قليلها: المرض، والنار، والدَّين، والعداوة.

ص ٤٦

_ وقالوا إن العاقل _ وإن كان واثقاً بقوته وعقله _ فليس ينبغي أن يحمله ذلك على أن يجني على نفسه العداوة والبغضاء اتكالا على ما عنده من الرأي والقوة، كما أن العاقل إذا كان عنده الترياق لا ينبغي له أن يشرب السم اتكالا على ما عنده. ص ٤٦

_ وقالوا: احذر معاداة الذليل، فرما شَرَقَ العزيز بالذباة. ص ٤٧

_ وقال بعض الحكماء: لا تُصَغِّرْ أمر عدو تحاربه؛ فإنك إن ظفرت به لم تُحمد، وإن عجزت عنه لم تُعذر. ص ٥٣

_ وقال الحكميم: يجب على السلطان أن يعمل بثلاث خصال: تأخير العقوبة في سلطان الغضب، وتعجيل مكافأة المحسن، والعمل بالأناة فيما يحدث؛ فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعة في الطاعة من الرعية، وفي الأناة انفساح الرأي واتضاح الصواب. ص ٥٣

_ وقال الحكميم: ما استُعين على العزم بمثل مجانبة الهوى. ص ٥٤

_ وقال آخر: من جعل مُلْكَه خادماً لدينه انقاد له كل سلطان، ومن جعل دينه خادماً لِمُلْكِهِ طمع فيه كل إنسان. ص ٥٤

_ وقال آخر: من تمام الكرم أن تذكر الخدمة لك، وتنسى النعمة منك،

- وتفطن للرغبة إليك ، وتتغابى عن الجناية عليك.ص ٥٤
- _ وقال آخر: كُنْ بعيد الهمم إذا طلبت ، كريم الظفر إذا غلبت ، جميل العفو إذا قدرت ، كثير الشكر إذا ظهرت.ص ٥٤
- _ وقال الحكيم: ليكن مرجعك إلى الحق ، ومنزعك إلى الصدق ، فالحق أقوى معين ، والصدق أفضل قرين.
- وقال: استعن على العدل بخلتين: قلة الطمع ، وشدة الورع.ص ٥٥
- _ وقال آخر: لا تُعوِّدَنَّ نفسك إلا ما يُكتب لك أجره ، ويحسن عنك نشره.ص ٥٥
- _ وقال آخر: ارفق بإخوانك ، واكفهم غرْبَ لسانك؛ فطعن اللسان أشد من طعن السنن ، وجرح الكلام أصعب من جرح الحسام.ص ٥٥
- _ قال العتابي: مما يُعين على العدل اصطناع من يُؤثر التقى ، واطراح من يقبل الرُّشا ، واستكفاء من يعدل في القضية ، واستخلاف من يُشفق على الرعية.ص ٥٥
- _ وقال أفلاطون: بالعدل ثبات الأشياء ، وبالجور زوالها؛ لأن المعتدل هو الذي لا يزول.ص ٥٧
- _ وقال الإسكندر: لا ينبغي لمن تمسك بالعدل أن يخاف أحداً.ص ٥٧
- _ وقال أفلاطون: من بدأ بنفسه أدرك سياسة الناس.ص ٥٧
- _ وقال الحكيم: من عدل في سلطانه ، استغنى عن أعوانه.ص ٥٨
- _ وقال: لأن تُحسن وتُكفر ، خير من أن تسيء وتُشكر؛ فمن أحسن فبنفسه

بدا، ومن أساء فعلى نفسه اعتدى. ص ٥٨

- وقال: من أبلى جدته في خدمتك، وأفنى مدته في طاعتك - فارح ذمامه في حياته، وتكفل أيتامه بعد وفاته؛ فإن الوفاء لك بقدر الرجاء فيك. ص ٥٩

- وقال الحكيم: الصبر على ما تكرهه وتجتويه^(١)، يؤديك إلى ما تحبه وتشتهيه. ص ٦٠

- وقال: من أعجبه آراؤه، غلبته أعداؤه، ومن ساء تدبيره، كذب تقديره، ومن جهل مواطئ قدمه، عثر بدواعي ندمه. ص ٦٠

- وقال: من أتم النصح الإشارة بالصلح، ومن أضر الغدر الإشارة بالشر. ص ٦٠

- وقال: من استصلح عدوه زاد في عدده، ومن استفسد صديقه نقص من عدده. ص ٦٠

- وقال الشاعر:

إذا الأمر أشكل إنقاذه	ولم تر منه سبيلاً فسيحا
فشاور بأمرك في ستره	أخاك أخاك اللبيب النصيحا
فربّما فرج الناصحون	وأبدوا من الرأي رأياً صحيحا
ولا يلبث المستشار الرجال	إذا هو شاور أن يستريحا

ص ٧٥

وقال آخر:

١- أي تكرهه.

تُهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالإشراق تنقاد
لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّالهم سادوا
ص ٧٥

٣- باب الكرم

_ قال الله - عز وجل - في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)﴾. ص ٧٦

_ ومنها: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢)﴾. ص ٧٦

_ ومن سورة إبراهيم: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١)﴾. ص ٧٧

_ ومن سورة بني إسرائيل: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠)﴾. ص ٧٧

_ قال أبو الحسن المدائني: كان عبيد الله بن قيس الرقيات^(١) منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما - فكان يصله ويقضي دينه، فجاءت صلة عبد الله ابن جعفر في بعض ما كانت تجيء، وعبيد الله بن قيس الرقيات غائب، وكان

١- عبيد الله، بالتصغير، وفي الأصل «عبد الله» بالتكبير، وهو خلاف الصحيح كما نص عليه الفيروزبادي في القاموس. وقيس الرقيات سمي هكذا لأنه تزوج عدة نساء وافق أسماؤهن كلهن «رقية» فنسب إليهن، هذا قول الأصمعي، وقيل: إنه كان يشب بعدة نساء بهذا الاسم، وقيل: كانت له عدة جدات أسماؤهن كذلك، ولعبيد الله هذا ترجمة حافلة في الأغاني (١٥٤/٤-١٦٦).

وكان معاوية رضي الله عنه يصل عبدالله بن جعفر في كل سنة بمائة ألف، فأمر عبدالله بديحاً^(١) غلامه فخبأ لعبيدالله بن قيس صلته، فلما قدم أخذها، وقال:

إذا زرت عبدالله - نفسي فداؤه - رجعت بفضل من يده^(٢) ونائل
وإن غبت عنه كان للود حافظاً ولم يك عني بالمغيب بغافل
تداركني عبدالإله وقد بدت لذي الحقد والشنآن مني مقاتلي
حباني لما جئته بعطية وجارية حسناء ذات خلاخل

ص ١٠٧

- قيل اشترى عبدالله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بسبعين ألف درهم، فلما كان الليل سمع بكاء آل خالد، فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قال: سيكون من أجل دارهم، قال: يا غلام، إئتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم جميعاً. ص ١٢٧

- قال الشافعي رحمته الله: لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان، لشيء بلغني عنه: أنه كان يوماً راكباً حماراً له، فحركه، فانقطع زرُّه، فمر على خياط، فأراد أن ينزل، فسوى زره، فأخرج له صرة فيها عشرة دنانير، فسلمها إلى الخياط، واعتذر إليه من قَلَّتْها. ص ١٤٥

- قال الحميدي: قدم الشافعي رحمته الله من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار،

١- بديح - بالدال والحاء المهملتين بوزن زير- وكان يقال له «بديح المليح» وهو مولى عبدالله ابن جعفر، وله ترجمة في الأغاني (١٠٩/١٤).

٢- هكذا في الأصل، وهو جائز على لغة من يلزم المثني الالف.

فضرب خباءه في موضع خارج عن مكة، ونثر الدنانير على ثوب، ثم أقبل على كل من دخل عليه، يقبض قبضة ويعطيه، حتى صلى الظهر، ونفض الثوب وليس عليه شيء. ص ١٤٥

٤- باب الشجاعة:

قال الله - عز وجل - في سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنْ انتهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)﴾ ص ١٤٨

ومنها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾ ص ١٤٨

ومن سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَكِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)﴾ ص ١٤٩

_ ومنها: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) ﴿ص ١٤٩

_ عن هشام عن الحسن رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لغدوة أو روحة في سبيل الله تعالى - أفضل من الأرض وما عليها، ولوقوف رجل في الصف أفضل من عبادة ستين سنة». ص ١٥٥

_ وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لوددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيأ فأقتل، ثم أحيأ فأقتل». ص ١٥٧

_ قال أبو زيد: يقال: رجل «شجاع»^(١) من قوم «شجعة»^(٢).

ويقال: «شجاع» و «شجيع» بمعنى واحد.

و «الشُّجاع»^(٣): ضرب من الحيات. ص ١٦٥

_ قال أبو بكر بن دريد: «رجل شجاع: أي جريء، والأشجع من الرجال: بين الشجاعة، وهو الذي كأن به جنونا». ص ١٦٥

٥- من اشتهر بالفتك في الجاهلية

_ عبيد بن نشة بن مرة بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان، والحارث بن ظالم المري، والبراض بن قيس الكناني، وتأبط شراً، وهو: ثابت بن جابر بن سفيان

١- الشين في الكلمتين يجوز فيها الحركات الثلاث.

٢- بضم الشين أو كسرهما.

الفهمي ، وحنظلة بن قايد : أحد بني عمرو بن أسد بن خزيمه.ص ١٧١

٦- ومن شهراً بالفتك في الإسلام

_ أبو حردبة ، ومالك بن الريب المازني ، وعبيدالله بن الحر الجعفي ، وعقبة ابن هبيرة الأسدي ، وعبدالله بن سبرة الحرشي ، وعبدالله بن خازم السلمي ، والقتال الكلابي ، وقران بن بشار الفقعسي ، وعبدالله بن حجاج الثعلبي ، وعبيدالله بن زياد بن ظبيان أحد بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة.ص ١٧١

_ وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه : ما ليلة أقر لعيني من ليلة يهدى إلي فيها عروس ، اللهم إلا ليلة أغدو فيها لقتال العدو.ص ١٨٩

_ عن المدائني قال : كانت قريش تقول : ما استوسق أمر الجاهلية والإسلام لأحد غير خالد بن الوليد فإنه لم يهزم قط رضي الله عنه.ص ١٨٩

_ وعن المدائني قال : كان سعيد بن الأوس بن أبي البختري من أجمل الناس وأشجعهم ، وكان يختال في مشيته ، فنظر إليه عبدالله بن الزبير رضي الله عنه يوماً وهو يتبخر بين الصفين ، فقال : كنت أظن أن مشيته تخلق فإذا هي سجية.ص ١٨٩

_ قال عبدالرحمن بن خالد بن الوليد _ رضي الله عنهما _ يوم صفين لمعاوية : ما رأيت أعجب منك يا أمير المؤمنين! إن كنت لتتقدم حتى أقول : أحب الموت ، ثم تستأخر حتى أقول : أراد الهرب!!

قال : يا عبدالرحمن : إني والله ما أتقدم لأقتل ، ولا أتأخر لأهرب ، ولكن أتقدم إذا كان التقدم غنماً ، وأتأخر إذا كان التأخر حزماً ، كما قال الكناني : شجاعٌ إذا ما أمكنتني فرصة فإن لم تكن لي فرصة فجبان

قلت: هذا كلام خبير بالحرب، وهو الذريعة إلى الظفر أو السلامة، إلا مع الاضطرار؛ فإن المضطر لا يليق به إلا الإقدام، فإن كان في الأجل فسحة فهو ينجو مشطوراً، وإن انتهت المدة فموت المُقَدِّم أكرم من موت المُولِّي. ص ١٩٣-١٩٤

_ وقال أفلاطون: الشجاعة من أقوى فضائل العالم؛ لأنها تبرز ما حوله من القول أو الفعل. ص ١٩٥

_ والشجاعة تكون في الضعيف البدن، الخلو من العمل بشيء من السلاح؛ فيسمى صاحبها شجاعاً. ص ١٩٥

_ نقلت من خط النجيري قال: كان الفند من الفرسان الشجعان القدماء، وهو شهل بن شيان بن ربيعة بن زَمَّان، وإنما سمي «الفند» لأنه شبه بالقطعة من الجبل، وكان عظيماً، وأمدت بنو حنيفة يوم قِصَّة بكر بن وائل بالفند، وقالوا: قد أمددناكم بألف رجل، وكان شيخاً كبيراً يومئذ، فطعن مالك بن عوف بن الحارث بن زهير بن جشم وخلفه رديف له يقال له الثريار بن مازن بن جشم بن عوف ابن وائل بن الأوس، فانتظهما برمح وقال:

أيا طعنة ما شيخ	كبير يَفَن بال ^(١)
كجيب الدِّفْنسِ الورْها	ءِ رِيعت بعد إجفال ^(٢)
تَفَتَّيتُ بها إذ ك	رَه الشُّكَّة أمثالي ^(٣)

١- اليَفَن: الشيخ الهرم.

٢- الدِّفْنس: الحمقاء، الورهاء: المتساقطة العقل.

٣- تَفَتَّيتُ: أي تخلَّقت بأخلاق الفتیان، الشُّكَّة: هي ما يُلبس من السلاح.

وشهد الفِندُ الزَّمانِيُّ حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة سنة ، فأبلى بلاء حسناً ،
وكان يوم التحالق الذي يقول فيه طرفة بن العبد :

سائلوا عنا الذي يعرفنا بِقَوَانَا يومَ تَحْلَاقِ اللَّمَمُ
يوم تبدي البيض عن أسوْقِهَا وتَلْفُ الخيل أعراج النَّعَمِ

ص ٢٠٥-٢٠٧

- وعن أبي حاتم الرازي قال : سمعت عبدة بن سليمان المروزي يقول : كنا في
سرية مع عبدالله بن المبارك رحمته الله في بلاد الروم ، فصادفنا العدو ، فلما التقا الصفان
خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل فقتله ، ثم خرج رجل
آخر منهم فقتله ، ثم آخر فقتله ، ثم خرج إليه آخر فطارده فطعنه فقتله ، فزادهم
إليه الناس ، فإذا هو يلثم وجهه بِكُمِّه ، فأخذت بطرف كفه ، فممدته فإذا هو
عبدالله بن المبارك ، فقال : وأنت يا أبا عمرو ممن يشنّع علينا؟! ص ٢٢٣

٧- باب الآداب

- قال الله - عز وجل - في سورة البقرة : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) ﴾ .

فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد ، والشريعة موجبة للأدب ، فمن لا

أدب له لا شريعة له ، ولا إيمان ، ولا توحيد. ص ٢٢٧

- وقال ابن عطاء رحمته الله : الأدب الوقوف مع المستحسنات ، فقليل : وما معناه؟

قال : أن تعامل الله - تعالى - بالأدب سرّاً وإعلناً ، فإذا كنت كذلك كنت أديباً وإن

كنت أعجمياً. ص ٢٢٧

- وكان يقال : من حسن الأدب أن لا تنازع من فوقك ، ولا تقول ما لا تعلم ،

ولا تتعاطى ما لا تنال ، ولا يخالف لسانك ما في قلبك ، ولا قولك فعلك ، ولا تدع الأمر إذا أقبل ، وتطلبه إذا أدبر. ص ٢٢٨

- ويقال: من أدب صغيراً قرت عينه كبيراً، ومن أدب ابنه أرغم أنف عدوه. ص ٢٢٨

- قال سقراط الحكيم: العقول مواهب ، والآداب مكاسب. ص ٢٣٦
- وقال: متواضع العلماء أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً. ص ٢٣٦

- وقال: لست تُعرضُ المسيء لمقت الله بمثل الإحسان إليه مع الإساءة منه إليك. ص ٢٣٦

- وقالوا: الصبر على كتمان السر أسير من الندامة على إفشائه. ص ٢٤٢
- وقالوا: لا تفش سرّك إلا عند من يضره نشره كما يضرّك، وينفعه ستره كما ينفعك. ص ٢٤٢

- وقالوا: كل سر تكتمه عدوك فلا تطلع عليه صديقك. ص ٢٤٢
- وقالوا: أصبر الناس من صبر على كتمان سره، فلم يده لصديقه؛ خوفاً من أن يصير عدواً، فيذيعه. ص ٢٤٢

- وقال السري بن المغلس رحمته الله: أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وعفاف الطعمة، وحسن الخليفة. ص ٢٤٩

٨- فصل في حسن الجوار

- قال الله - عز وجل - في سورة النساء: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا (٣٦) ﴿ص ٢٥٨﴾

_ وعن مجاهد: أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أمر بشاة فذبحت ، فقال
لقيّمه: هل أهديت لجارنا اليهودي شيئاً؟ مرتين فإني سمعت رسول الله ﷺ
يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه» . ص ٢٥٨-٢٥٩

٩- فصل في الصمت وحفظ اللسان

_ قال الله -تبارك وتعالى- في سورة النساء: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا
مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ
اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾ ص ٢٦٩

_ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم جاره ، وليكرم ضيفه ، وليقل خيراً أو ليسكت» . ص ٢٧١

١٠- فصل في التعفف

_ قال الشاعر:

أقسم بالله	لرَضُخُ	النوى	وشربُ	ماءِ	الْقُلْبِ	المالحة
أعز للإنسان	من	حرصه	ومن	سؤال	الأوجه	الكالحة
فاستشعر الصبر	تَعِشْ	ذا غنى	مغتباً	بالصفقة		الراجعة

ص ٣٠٧

_ وقال آخر:

صن بعز اليأس عنهم أبداً ماء ديباجك عن بذل النوال
ليس شيء من نوال تبتغي قيمة للوجه من ذل السؤال
ص ٣٠٨

١١- فصل في الصبر على الأذى ومداراة الناس

- قال الله - تبارك وتعالى - في سورة آل عمران: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى
كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ص ٣١٨
- وعن مجاهد في قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾
الفرقان: ٧٢ قال: إذا أوذوا صفحوا. ص ٣١٩

- وقال حاتم الطائي:
تَحَلَّمْ عَنِ الْأَذْنَيْنِ وَاسْتَبِقْ وَدَّهَمْ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا
ص ٣٢١

- وقال آخر:
لقد أسمع القول الذي كاد كلما
فأبدي - لمن أبداه - مني بشاشة
تذكرني النفس قلبي يصدع
كأنني مسرور بما منه أسمع
وما ذاك من عجب به غير أنني
أرى أن ترك الشر للشر أقطع
ص ٣٢٢

١٢- فصل في حفظ التجارب وغلبة العادة

- قالت الحكماء: التجارب عقل ثان، ودليل هاد، وأدب للدهر؛ فافهم عن

الأيام أخبارها ، فقد أوضحت لك آثارها ، واتعظ بما وعظك منها ، وتأمل ما ورد عليك من أحوالها تأمل ذي فكرة منها؛ فإن الفكرة تدرأ عنك عمى الغفلة ، وتكشف لك عن مستخفيات الأمور. ص ٣٢٥

_ وقالوا: الدهر أفصح المؤدبين؛ وكفاك من كل يوم خبر يورده عليك ، وإنما الأيام مراقبي الأدب ، ودرجات إلى العلم الأكبر ، فمن فهم عنها أورث زيادة ، وسطع نور علمه ، ولم يفتقر إلى غير نفسه ، ولو صحب ذو الغفلة أيام الدنيا بعجائب ما تصرفت به على القرون لم يزل جذعاً في الغرة ، ومتدلهاً فيما يحدث؛ لأن الغفلة ظلمة راكدة ، والمعرفة مصباح الخلقة. ص ٣٢٥

_ وقد قيل: إذا رأيت ذا العمر الطويل والسن القديم يكثر التعجب مما يرى ويسمع. فذلك لقلة حفظه للتجارب ، ولسهوه عما مرت به عليه الليالي.

_ وقالوا: الفهم خزانة العقل؛ ونور يبصر به ما أمامه ، وإنما نكص على عقبه من خانة فهمه ، وخذله عقله ، وضع ما استودعته الأيام ، فكأنه ابن يومه ، أو نتيج ساعته ، وحسبك مؤدباً لخصالك ، ومثقفاً لعقلك. ما رأيته من غيرك: من حسن تغبط به ، أو قبيح تدم عليه. ص ٣٢٥-٣٢٦

_ وقد قيل: نفسك تقتضيك ما عودتها من خير أو شر. ص ٣٢٦

_ وقيل: لسانك يقتضيك ما عودته. ص ٣٢٦

١٣ - باب البلاغة

_ قلت وبالله التوفيق. : كلام المخلوقين تتميز فيه البلاغة من العي ، والفصاحة من اللكن ، وأما كلام الخالق. تبارك وتعالى. فعقول البلغاء تعجز عن تدبر بلاغته ، وتحار في اطراد فصاحته ، فماذا يورد المورد منه؟! وبماذا يترجم عنه؟!

وقد تحدى الله - سبحانه - به خلقه أجمعين ، فقال - وهو أصدق القائلين - في سورة يونس : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ص ٣٢٨

- وقال - عز وجل - في سورة الطور : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣) فليأتوا بحديثٍ مثله إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ .
وما يعجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله؛ فماذا ينتزع منه وماذا ينتخب؟ ص ٣٢٩

- وقد روي عن الأصمعي رحمته الله قال : اجتزت ببعض أحياء العرب ، فرأيت صبية معها قرية فيها ماء وقد انخل وكاء فمها؛ فقالت : يا عم ، أدرك فاهها ، غلبنى فوها ، لا طاقة لي بفيها؛ فأعنتها ، وقلت : يا جارية ، ما أفصحك! فقالت يا عم ، وهل ترك القرآن لأحد فصاحة؟ وفيه آية فيها خبران وأمران ونهيان وبشارتان! قلت : وما هي؟ قالت : قوله - تبارك وتعالى - : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص : ٧

قال : فرجعت بفائدة ، وكأن تلك الآية ما مرت بمسامعي!! ص ٣٢٩
- وقال يحيى بن معاذ رحمته الله : طلب الخير شديد ، وترك الشر أشد منه؛ لأن ليس كل الخير يلزمك عمله ، والشر كله يلزمك تركه. ص ٣٣٩
- وحذر رجل من الحكماء صديقاً له صحبه آخر ، فقال : يا فلان ، احذر فلاناً؛

فإنه كثير المسألة، حسن البحث، لطيف الاستدراج، يحفظ أول كلامك على آخره، ويعتبر ما أخرت بما قدمت؛ فلا تظهرن له المخافة، فيرى أنك قد تحرزت وتحفظت.

واعلم أن من يقطعة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر، فباته مباتة الآمن، وتحفظ منه تحفظ الخائف، فإن البحث يظهر الخفي، ويبيد المستتر الكامن.

ص ٣٤٢

قال سويد بن أبي كاهل:

إني إذا ما الأمر بين شكٍّ وبدت بصائره لمن يتأمل
أدعُ التي هي أرفق الحالات بي عند الحفيظة للتي هي أجمل

ص ٣٥٥-٣٥٦

وقال أحيحة بن الجلاح:

استغن عن كل ذي قربي وذي رحم إن الغني من استغنى عن الناس
والبس عدوك في رفق وفي دعة لباس ذي إربة للناس لباس

ص ٣٥٦

١٤- باب في الحكمة

قال الله -تبارك وتعالى- في سورة البقرة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾. ص ٤٢٠

وقال البعيث:

فلا تكثرن في إثر شيء ندامة إذا نزعته من يديك النوازع

ص ٤٢٤

- قيل : سمع كعب الأخبار رحمته الله رجلاً ينشد قول الخطيئة :
 من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
 فقال : والذي نفسي بيده إن هذا مكتوب في التوراة. ص ٥٢٤
- وقال الحكيم : المخذول من كانت له إلى الناس حاجة. ص ٤٢٩
- وقال أرسطاطاليس الحكيم لصديق له وقد رآه ظالماً : هبنا نقدر على محاباتك في
 أن لا نقول : «إنك ظالم» ، هل تقدر أنت على أن لا تعلم أنك ظالم؟! وقليل الحق
 أجدى عليك من كثير الظلم. ص ٤٢٩- ٤٣٠
- وقال : ما أكثر ما نعاتب غيرنا على الظنون ، ونترك عتاب أنفسنا على
 اليقين. ص ٤٣٠
- وقال : ما أحرصنا على ستر أفعالنا الردية عن غيرنا وهي لنا منكشفة ، فغيرنا
 أفضل عندنا من أنفسنا. ص ٤٣٠
- وقال : القوة على الامتناع عن اتباع الشهوات أحدُ أشقى أسقام النفس. ص ٤٣٢
- وقال بعض الحكماء : ما أعجب من يطلب العفو ممن هو فوقه ، ويمنعه من هو
 دونه. ص ٤٣٢
- وقال سقراط : أمّا على الكلام فكثيراً ما ندمت ، وأمّا على السكوت
 فلا. ص ٤٣٣
- وقال أوجانس : كفاك موبخاً على الكذب علمك أنك كذاب. ص ٤٣٣
- وقال : لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف. ص ٤٣٣

خامساً: نقولات مختارة من كتاب:

الوصية المباركة لابن قدامة المقدسي ٥٤١ - ٦٢٠ هـ

«تعريف بالمؤلف»:

هو الشيخ الزاهد الفقيه الإمام القدوة العلامة شيخ الإسلام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب المغني أبو محمد.

ولد في شعبان بجماعيل - قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين -.

كان والده من أهل العلم والفضل والصلاح والزهد.

ونشأ ابن قدامة محباً للعلم مجتهداً في طلبه، حيث أخذ عن علماء الشام، وسافر إلى بغداد، وله مصنفات عديدة منها: الاعتقاد والبرهان في مسألة القرآن، وكتاب التوابين، وضم الوسواس، والروضة في أصول الفقه، والعمدة، والمقنع، والمغني، وغيرها.

جاء في ترجمته: أنه كان رحمه الله إماماً في فنون كثيرة، وكان كثير الحياء، عزوفاً عن الدنيا، هيناً، ليناً، متواضعاً، محباً للمساكين، حسن الأخلاق، جواداً سخياً من رآه كأنما رأى بعض الصحابة، وكأن النور يخرج من وجهه، كثير العبادة، يقرأ كل يوم وليلة سُبُعاً من القرآن، وكان إذا فرغ من صلاة العشاء يمضي إلى منزله، ويمضي معه من فقراء الحلقة من قدره الله - تعالى - فيقدم لهم ما تيسر؛ ليأكلوه.

وكان شجاعاً مقداماً مجاهداً في سبيل الله.

وكان مع تبحره في العلوم زاهداً تقياً ربانياً عليه هيبة ووقار، وفيه حلم وتؤدة.
وكان يفحم الخصوم بالحجج والبراهين، ولا يتحرج ولا ينزعج، وخصمه
يصيح ويحترق.

وكان - أيضاً - لا يكاد يناظر أحداً إلا وهو يتسم، حتى قال بعض الناس:
هذا الشيخ يقتل خصمه بتسمه.

ولقد أثنى عليه العلماء ثناءً عاطراً، قال عنه ابن الصلاح رحمته الله: «ما رأيت
مثل الشيخ الموفق».

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه
من الشيخ الموفق».

كانت وفاته رحمته الله يوم السبت يوم عيد الفطر أول شوال بدمشق سنة ٦٢٠هـ.

«تعريف بالكتاب»:

هذا الكتاب وصية كتبها ابن قدامة؛ استجابة لطلب بعض الصالحين؛ ليستفيد
منها، فاعتذر الموفق؛ تواضعاً منه، ولكن بداله أن يجيب؛ رجاء النفع بالوصية.
وقد ضمنها الوصاية بفعل الطاعات، واغتنام الأوقات، ويين من خلالها
بعض مفسدات الأعمال، ومثل على ذلك بالأمثلة، وبقصص وحكايات
الصالحين.

والكتاب من القطع الصغير، ويقع في ١٦٠ صفحة، تحقيق د.محمد يوسف
الشرجي، ومراجعة الأستاذ سعدي أبو حبيب، وتقديم الشيخ عبد القادر
الأرناؤوط، ط. دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت، ط ١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

ـ «النقولات المنتقاة»: قال رحمته الله :

- ١ـ أما بعد : فقد سألتني بعض إخواني الصالحين أن أكتب له وصية ، فامتنعت من ذلك ؛ لعلمي أنني غير مستوصٍ في نفسي ، ولا عاملٍ بما ينبغي ، ثم بدالي أن أجيئه إلى مسألته ؛ رجاء ثواب قضاء حاجة الأخ المسلم ، ودعائه لي ، وأن يجري لي أجراً إذا عمل بوصيتي ، وأن أكون من الدالين على الخير حين عجزت عن عمله ؛ لأكون بدالتي عليه كفاعله ، والأعمال بالنيات ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ، فأقول وحسبنا الله ونعم الوكيل. ص ٧١ - ٧٢
- ٢ـ وألزم قلبك التفكير في نعم الله ؛ لشكرها ، وفي ذنوبك ؛ لتستغفرها ، وفي تفريطك ؛ لتندم ، وفي مخلوقات الله وحكمه ؛ لتعرف عظمته ، وفيما بين يديك ؛ لتستعد له ، أو في حكم شيء تحتاج إليه ؛ لتعليمه. ص ٨٧
- ٣ـ وألزم لسانك ذكر الله - تعالى - ودعائه ، واستغفاره ، أو قراءة قرآن ، أو علماً ، أو تعليماً ، أو أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر ، أو إصلاحاً بين الناس. ص ٨٧
- ٤ـ وأشغل جوارحك بالطاعات ، وليكن من أهمها الفرائض في أوقاتها على أكمل أحوالها ، ثم ما يتعدى نفعه إلى الخلق ، وأفضل ذلك ما نفعتهم في دينهم كتعليمهم الدين ، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم. ص ٨٧ - ٨٨
- ٥ـ واحترز من مفسدات الأعمال ؛ لئلا يفسد عملك ، ويخيب سعيك ، فلا تحصل على أجر العاملين ، ولا راحة البطالين ، وتفوتك الدنيا والآخرة ، فمن ذلك الرياء والعمل لمحمدة الناس ؛ فإن هذا شرك ، وقد روي عن الله - تعالى - أنه

قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ».

وقد لا يحصل للمرائي ما قصده؛ فيخيب بالكلية، فقد روينا: أن رجلاً كان يرائي بعمله، فإذا مرَّ بالناس قالوا: هذا مرأى، فقال يوماً في نفسه: والله ما حصلت على شيء، فلو جعلت عملي لله، فما زاد على أن قلب نيته، فكان إذا مرَّ بهم بعد قالوا: هذا رجل صالح. ص ٨٨ - ٨٩

٦- ولا تحقرن مسلماً، ولا تظن أنك خير منه، فإن ذلك ربما أحبط عملك، وقد روينا أن عيسى - عليه السلام - خرج في سياحته معه حواريه، فمرا بقلعة فيها لص، فلما رآهما قال لنفسه: هذا عيسى نبي الله، وهذا حواريه، ومن أنت يا شقي؟ لص تقطع الطريق، وتخيف السبيل، وتقتل النفس التي حرم الله، فنزل إليهما تائباً نادماً، فلما أراد أن يمشي معهما قال لنفسه: ما أنا بأهل أن أمشي معهما، ولكن أمشي خلفهما كما يمشي المذنب الذليل، فمشى خلفهما، فالتفت الحواري فرآه يمشي خلفهما فعرفه، فقال في نفسه: من هذا الكلب حتى يمشي خلفنا، فاطلع الله - تعالى - على ما في أنفسهما، فأوحى إلى عيسى - عليه السلام - أن قل للحواري واللص يستأنفان العمل؛ أما اللص فقد غفرت له بتوبته وإزرائه على نفسه، وأما الحواري فقد أحبطت عمله بازدرائه اللص التائب. ص ٩١ - ٩٢

٧- وقال بعض أنبياء بني إسرائيل لقومه: إيتوني بخيركم، فأتوه برجل فقال له النبي: إيتني بشرهم، فخرج بنفسه فقال: ما وجدت فيهم شراً مني، فقال: صدقوا أنت خيرهم. ص ٩٢

٨- واعلم أن الله - تعالى - ناظر إليك ، مطلع عليك ، فقل لنفسك : لو كان رجل من صالحى قومي يراني لاستحييت منه ، فكيف لا أستحي من ربي - تبارك وتعالى - ثم لا آمن تعجيل عقوبته ، وكشف ستره؟ ص ٩٤ - ٩٥

٩- واعلم أنك لا تقدر على معصيته إلا بنعمته؛ فكم له عليك من نعمة في يدك التي مددتها إلى معصيته؟! وكم من نعمة في عينك التي نظرت بها إلى ما حرم عليك؟! وفي لسانك الذي نطق به بما لا يحل لك؟! وليس من شكر إنعامه أن تستعين به على معاصيه. ص ٩٥

١٠- وإن ابتليت بمعصية فبادر بالتوبة والاستغفار ، والندم ، وابك على خطيئتك؛ فإنك لا تدري على ما أنت منها؛ فإن بعضهم يقول: « لا تنظر إلى صغر الخطيئة ، ولكن انظر إلى عظم من عصيت ».

وشكا بعض عمال أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز إليه فكتب إليه : يا أخي! اذكر سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد ، واحذر أن يكون المنصرف بك من عند الله إلى النار ، فيكون آخر العهد منك ومنقطع الرجاء ، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عليه ، فقال : ما أقدمك؟ قال : خلعت قلبي بكتابك ، لا عمَلْتُ لك ، ولا لأحد بعدك. ص ٩٨ - ١٠٠

١١- واعلم - رحمك الله - أن حسن الخلق أثقل ما وضع في الميزان ، وأنه يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم ، وأن من وصل رحمه وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله ، وأن أفضل الأعمال الصلاة لمواقيتها ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله ، وأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله ، والبغض في الله ، وأن الصبر من

الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وملاك الأمر الدعاء؛ فإن الأمر كله بيد الله يهدي من يشاء، ويستعمله، ويضل من يشاء، ويخذه؛ فينبغي لك أن ترغب إلى مَنْ الأمرُ بيديه، وتفوض أمرك إلى الله، وليكن دعاؤك بخضوع، وخشوع، وبكاء، وتضرع؛ فإن بعضهم قال: إني لأعلم حين يستجيب لي ربي - عز وجل - إذا: وَجَلَ قلبي، واقتشعَ جلدي، وفاضت عيناى، وفتح لي في الدعاء. ص ١٠٦ - ١٠٩

١٢- فاعتمد على الله اعتماد الغريق الذي لا يعلم لسبب نجاته غير الله - تعالى - ص ١١٤

١٣- وعليك بالورع، واجتناب الشبهات؛ فإن من واقع الشبهات أوشك أن يقع في الحرام؛ فإن من يرتع حول الحمى أوشك أن يجسر، وعليك بالليل، فاخُلْ فيه بربك، واطلب منه حوائجك، وتضرع إليه، واخضع بين يديه. ص ١١٥ - ١١٦

١٤- واعلم أن الله - تعالى - إذا نظر إليك، وعلم أنك قد جعلته معتمدك، وملجأك، وأفردته بحوائجك دون خلقه - أعطاك أفضل مما سألته، وأكرمك بأكثر مما أردته، فإن عجل لك الإجابة فقد جمع لك بين قضاء الحاجة وخير الآخرة، وإن لم يجبك عاجلاً فقد عوضك عن ذلك خيراً كثيراً فيه؛ فأنت على خير في الحالين. ص ١١٩ - ١٢٠

١٥- ومناجاة العباد لربهم كثيرة، ومن أحسنها: ما روي عن منصور ابن عمار رضي الله عنه قال: سمعت عابداً بالليل يناجي ربه، وهو يقول:

وعزتك وجلالك! ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولا التعرض لغضبك، ولا أنا بِنَكَالِكَ جاهل، ولا لعذابك متعرض، ولا بنظرك مستخف، ولكن زينت لي نفسي، وأعانتها شقوتي، وغرّني سترك المرخى عليّ، فعصيتك بجهلي، وخالفتك بجهدي، فالآن من عذابك من ينقذني؟ وبجل من اعتصم إن قطعت حبلك عني؟ وسوأتاه من الوقوف بين يديك غداً إذا قيل للمُخَفِّين: جوزوا، وللمثقلين: حُطُّوا، فمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط؟ يا سيدي! ويلي كلما طالت أيامي، وكثرت آثامي، ويلي كلما كبرت سني، وعظمت ذنوبي، فمن كم أتوب، وفي كم أعود، وشباباه! وشباباه! ص ١٢٢ - ١٢٣

سادساً : نقولات مختارة من كتاب :

آداب الحرب في الإسلام تأليف العلامة محمد الخضر حسين ١٢٩٣-١٣٧٧هـ

«تعريف بالمؤلف وبالكتاب» : أما المؤلف فهو الشيخ العلامة الأديب محمد الخضر الحسين التونسي ١٢٩٣-١٣٧٧هـ.

وقد مرت ترجمته في الجزء الأول من المنتقى.

أما الكتاب فهو رسالة مختصرة لطيفة طريفة، تتضمن خلاصة وافية لآداب الحرب في الإسلام، وتغني عن المطولات من البحوث التي تناولت هذا الموضوع.

وهذه الرسالة ظهرت للمرة الأولى في الجزأين التاسع والعاشر من المجلد الثاني عشر لمجلة الهداية الإسلامية عام ١٣٥٥ التي كان يصدرها الشيخ رحمه الله.

وقد صدرت في رسالة مستقلة ضمن المنشورات الإسلامية التي كانت جمعية الهداية الإسلامية تقوم بنشرها، ولم تحمل تلك النشرة أي تاريخ لصدورها. وقد عني بجمع هذه المادة وتحقيقها الأستاذ الفاضل علي الرضا الحسيني ابن أخي الشيخ.

والطبعة التي بين أيدينا هي الثالثة عام ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، طبع الدار الحسينية للكتاب، والكتاب من الحجم الصغير ويقع في ٦٤ صفحة.

ـ «النقولات المنتقاة»: قال ﷺ :

ـ أما بعد: فقد ذكرت ما كان للجيش الإسلامية من قوة، وما كان لها من الوقائع المكللة بالظفر، ولم أرتب في أن لتلك القوة والظفر أسباباً أقواها نور الإيمان الذي كان يتلألأ في صدورهم، وآداب الدين الذي كانوا يعتزون به في كل موطن، ونصائحه التي كانوا يراعونها بحق، فبدا لي أن أذكر جيوشنا الإسلامية بجانب من تلك الآداب والنصائح، حتى إذا وجدت فطراً سليمة ونفوساً مشرقة بالإيمان قوي رجاؤنا في أننا سنخرج من حمأة المهانة إلى صعيد طاهر من الكرامة، وأن الزمن الذي تخفق فيه رايتنا بالنصر على من يروم السيطرة على أوطاننا غير بعيد. ص ٧

١ـ أسباب الحرب

ـ طبعت نفوس على حب الاستئثار بالمنافع، وذلك ما يدعوها إلى أن تُمدَّ أيديها إلى ما يتمتع به غيرها من خير، وتتنزعه منه بقوة، كما أن في النفوس غيرة على ما بيدها من حق، وإبابة لأن يؤخذ منها هذا الحق وهي كارهة، وذلك ما يدعوها إلى أن تذود عن ساحتها، وتدافع عن حقوقها ولو كان خصمها أكثر جنداً وأتمّ سلاحاً، بل تقف هذا الموقف من الرجولة والاحتفاظ بالكرامة، ولو غلب على ظنها أنها ستُغلب على أمرها؛ تفعل هذا إثارةً لحياة العزة على حياة المهانة، وتحامياً لخزي ينقل من جيل إلى جيل.

وهاتان الطبيعتان: طبيعة حب الاستئثار بالمنافع، وطبيعة إباء الضيم هما منشأ أكثر الحروب التي تقوم بين الأمم: الحريص على منافع في يد غيره يهاجم أو

يستعد متحفزاً للهجوم، ومن بيده المنافع ينهض في وجه المهاجم، أو يبادر المتحفز للهجوم عليه قبل أن يستوفي وسائل الهجوم، «تغدّ بالحجّاج قبل أن يتعشى بك».

وربما كان قوم على حق وسيرة من الرشد، فيحمل لهم الطغاة الفجّار ضغناً، ويرومون القبض على زمامهم ليصرفوهم عن سيرتهم الرشيدة، ولا يرضى المستقيمون على طريقة الرشد إلا أن يعيشوا أحراراً، فإذا الحرب ناشبة: أولئك يبعون فتنة، وهؤلاء يبعون سلاماً.

وقد تنشب الحرب بين طائفتين يعتقد كل منهما في نفسه أنه المظلوم وخصمه الظالم، وهذا النوع من الحروب هو الذي يمكن تحاميه من طريق المفاوضات، وقرع الحجّة بالحجّة، ويغني فيه القلم عن النار والحديد. ص ٨-٩

٢- الاستعداد للحرب

ـ إذا كانت طبيعة حب الاستئثار بالمنافع غالبية على النفوس، وإذا كان أصحاب الأهواء يحرصون على إطفاء نور الحق، وإذا كان في إقناع أحد الخصمين بأن الحق في جانب غيره صعوبة ـ فمن الحزم أن تكون الأمة على استعداد كاف للدفاع من يريد الاعتداء على حق من حقوقها، بسوء قصد أو بسوء فهم.

وكذلك نرى الإسلام قد فرض على الأمة أن تنفق أقصى ما تستطيع في الاستعداد للدفاع، قال ـ تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الأنفال: ٦٠؛ فاستعداد الأمة للحرب يجعلها في منعة من أن يهتضم ذو

قوة حقاً من حقوقها ، أو تحدّثه نفسه بأن ييسط سلطانه على قيد شبر من أوطانها.
ص ١٠

_ أمر الشارع الحكيم بإعداد وسائل الدفاع ، وذكرها بلفظ عام وهو قوله :
﴿ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ لتتناول كل ما يُحتاج إليه في الدفاع ، ويكون له أثر في الفوز على
العدو المحارب ، فيدخل فيه آلات الطعن والضرب وآلات الرماية ، وبناء
الحصون ، وتهيئة ما تحتاج إليه الجنود من نحو الملابس والمطاعم.
وقول النبي ﷺ : « ألا إن القوة هي الرمي » تنبيه على أن الرمي أهم الوسائل
التي تكون بها القوة ، فالطيارات والبارجات والدبابات والغواصات من أدوات
الرمي. ص ١٠-١١

٣- التدريب على الحرب

_ لما كان في السباق على الخيل تدريب على خوض غمار الحروب ، أذن فيه
النبي ﷺ ، وفعله ، على الطريقة المعروفة في كتب الفقه؛ وأذن النبي ﷺ كذلك في
اللعب بالسلاح ، لما فيه من التمرين على الطعان بجذ إذا التقى الجمعان.
ورد في الصحيح أن الحبشة كانوا يلعبون بالحراش في المسجد على مرأى من
رسول الله ﷺ ، ولما أنكر عليهم عمر بن الخطاب ، وأهوى إلى الحصباء ليرميهم
بها ، قال له النبي ﷺ : « دعهم يا عمر ». ص ١٢

٤- محاكاة العدو في وسائل الدفاع

_ كان علينا استطلاع ما يهيؤه العدو من وسائل الحروب لنصنع ما يصنع ،
حتى نمائله في القوة ، ونفضله بأننا ندافع عن الحق ، ونرجو من الله ما لا يرجو.

وفي وصية أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد: «إذا لا قيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك به: السهم للسهم، والرمح للرمح، والسيف للسيف».

ولو ظهر في أيام أبي بكر نوع آخر من السلاح لذكره، ونقول على طراز حكمته: الطيارة للطيارة، والحرّاقة للحرّاقة، والغواصة للغواصة. وأشار سلمان الفارسي في واقعة الأحزاب على النبي ﷺ بحفر الخندق، فأذن بحفره، وعمل فيه بنفسه، وقال أبو سفيان يومئذ: «هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها». ص ١٣

٥- كتابة أسماء من يدعون إلى الحرب

- من النظم الجارية في القديم والحديث، كتابة أسماء من فيهم كفاية للجندية، حتى يعرف أولو الأمر قوة الجند من جهة عددهم، وكان هذا أمراً متبعاً في عهد النبي ﷺ.

روى ابن عباس أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني كتبت في غزوة كذا، وامرأتي حاجة، فقال: «ارجع فحج مع امرأتك».

وفي الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اكتبوا إلي من تلفظ بالإسلام من الناس» فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل.

وكان هذا عند خروجه إلى غزوة أحد، أو عندما كانوا بالحديبية. ص ١٤

٦- إعلان الحرب

- يوجب الإسلام علينا الوفاء لمن بيننا وبينهم عهد أو هدنة، فإن قامت

شواهد على أنهم يريدون خيانتنا ، وتهيئون للهجوم على أوطاننا لم يجز لنا مهاجمتهم وأخذهم على غرة ، ولا بد من أن نشعرهم بأن العهد بيننا وبينهم قد انتقض ، قال - تعالى - في كتابه المجيد : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ الأنفال : ٥٨ .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول لقائد الجيش : « وقدم التذر بين يديك » .

ص ١٥

٧- رفع الرايات في الحرب

- ترفع الرايات حيث يكون قائد الجيش ، ليعلم بها مكانه ، حتى يأوي إليها الناس عند الحاجة ، واتخذ النبي ﷺ رايته مرة بيضاء ، ومرة سوداء ، ومرة صفراء ، وروى أن بعض ألويته كان مكتوباً عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وقد يعطي كل قبيلة لواء يقاتلون تحته ، وعقد لوفد سليم لواء أحمر ، وعقد لسعد بن مالك راية على قومه سوداء وفيها هلال أبيض . ص ١٦

٨- الشعار في الحرب

- يتخذ الجنود شعاراً يتعارفون به في ظلمة الليل أو عندما يشتبك الفريقان ، وكان هذا الضرب من الاحتراس متبعاً في غزواته ﷺ وفي فتوحات الخلفاء الراشدين من بعده ، عن البراء بن عازب ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم تلقون عدوكم غداً ، فليكن شعاركم : حم لا ينصرون » .

وكان شعار المسلمين في غزوة بني المصطلق : يا منصور أمّ ، وغزا أبو بكر في

زمن رسول الله ﷺ وكان شعار الجيش : أَمِتْ أَمِتْ «أمر من الإماتة» . ص ١٧

٩- تعهد الجند بالموعظة

_ قد يأخذ الجنود حظهم من الفنون الحربية كاملاً ، ولا يستغنون بعد أن تغدّي نفوسهم بالموعظة الحسنة؛ فمن المثير لحماسة الجند قبل دخولهم في ملاحم الحروب إلقاء خطب تذكرهم فضل الإقدام والثبات ، وما يأتي به الثبات في مواقف الدفاع من خير، وتنذرهم ما يجرّه الجبن والحرص على الحياة من خزي وشقاء. ص ١٨

١٠- النشيد الحماسي

_ نريد من النشيد الحماسي الشعر الذي يشتمل على تذكير الجنود بمجد قومهم الماضي أو الحاضر، وبما تقتضيه العزة من نحو إباية الضيم، والاستهانة بالخطوب، وشأن هذا الشعر تقوية القلوب، وإيقاد الغيرة، فيزداد الجند إقداماً وثباتاً في مواقع القتال، وكان الصحابة -رضي الله عنهم- يقولون يوم حفر الخندق:

نحنُ الذين بايعوا محمداً على الجهادِ ما بقينا أبداً

ص ٢٠

١١- الزحف في صفوف منظمة

_ كان العرب والبربر يحاربون على طريقة الكر والفر، وكان غيرهم من العجم والإفرنج يزحفون إلى الحرب صفوفاً، وقد جاء الإسلام باختيار طريقة الزحف، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ

مَرُصُوصٌ ﴿ الصف: ٤.

ووجه هذا أن التقدم للقتال في صفوف منظمة أَرهَبُ للعدو، وأدعى إلى الثبات والدوام في المعترك، بخلاف قتال الكر والفر؛ فإنه لا يعطي الجيش مهابة، ويسهل فيه على ضعفاء النفوس المسارعة إلى الهزيمة.

ولو بدا لقائد الجيش في بعض المواطن أن يتخذ طائفة من الجند يحاربون على طريقة الكر والفر، ويكون من ورائهم الصفوف المنظمة يلجأون إليها عند الحاجة فقد فعل هذا ملوك المغرب؛ إذ كانوا يقدمون جنوداً تحارب على طريقة الكر والفر، ويضربون ورائها صفوفاً من المدربين على الثبات في الزحف.

ص ٢٢

١٢- الإقدام في الدفاع

_ لكثرة الجند أثر في الظفر، وقد ينتصر الجيش وهو قليل العدد متى كان أشد بسالة، وأثبت قدماً عند اللقاء.

وما السيفُ إلا بَزٌّ غادٍ لزيئة إذا لم يكن أمضى من السيف حامله

ومن هنا نجد القرآن الكريم يُعنى بتربية الشجاعة في النفوس. ص ٢٣

_ ومن وجوه تربيته للشجاعة تذكيره الأمة بأن ما ينالهم في سبيل القتال قد ينال عدوهم مثله، قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ

وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ١٠٤

وقال - تعالى -: ﴿ إِنَّ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ

نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ آل عمران: ١٤٠. ص ٢٣

_ ومن هذا القبيل تذكيره الأمة بأن العدو إذا استولى على أوطانهم كانت له العزة، وكانت عليهم الذلة، قال _ تعالى: ﴿إِنْ يَتَّقُواكَمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ الممتحنة: ٢. ص ٢٣

١٣- الثبات في مواقع الدفاع

_ قد يكون الرجل مقدماً لا يهاب الموت، ولكنه يتلى بقلّة الصبر على المكاره، فيسأّم ما يلاقه في حومات الحروب من مشاق، فيثني عنانه عن الدفاع، وينقلب على عقبه مبتغياً _ فيما يزعم _ راحة الحياة، أو جانحاً إلى صلح يضرب عليه ذلّة وصغاراً؛ فمن متمات الشجاعة الثبات في الدفاع إلى إدراك الغاية، قال _ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ الأنفال: ٤٥ وقال ﷺ: «لا تمنّوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا؛ فإن الجنة تحت ظلال السيوف». ص ٢٤

١٤- الإخلاص في الحرب

_ نجاح كل عمل على قدر ما يقارنه من طيب السريرة وحسن القصد، وأحق ما يقصد إليه الناهضون إلى الحرب حماية أوطانهم؛ ليسلم لهم دينهم وأعراضهم وأموالهم، وتكون كلمة الحق هي العليا. وهذا القصد أكبر باعث على الثبات في مواقف الدفاع، فالذي يحارب ليحرز منصباً أو مالاً، أو ليتحدث الناس عن شجاعته _ قد يقف في إقدامه عند حد، وما هو من الانهزام والفرار من مواقع الدفاع ببعيد. أما الذي يقاتل دفاعاً عن شيء يرى الحياة بدونه شراً من الموت، وهو العزة

والحرية اللتان يرى بهما الحق في إشراق وصعود _ فإنه يثبت في مواقع القتال ، ولا يلوي عنقه عنه إلا أن يفوز أو يموت. ص ٢٥

١٥- أثر الاستقامة في الانتصار

_ جرت سنة الله بأن يكون تأييده في جانب القوم الذين يملؤون قلوبهم بالثقة به ، ويحافظون على واجبات شريعته ما استطاعوا.

_ فصلاح حال الجيش ولا سيما من بيدهم قيادته ، يستدعي تأييد الله _ تعالى _ لهم تأييداً مؤزراً ، وقد يأتيهم النصر بعد استعدادهم من حيث لا يحتسبون ، فإذا تفشت فيهم المعاصي لم يأمنوا أن يكون من عقوبة معاصيهم ابتلاؤهم بالوهن والفشل أمام سطوة عدوهم. ٢٦

١٦- الدهاء في الحرب

_ للشجاعة وكثرة الجند وجودة السلاح أثر في الانتصار ، ولكن للدهاء أعني _ جودة الرأي _ الفضل الأكبر في الفوز والغلبة. ص ٢٨

١٧- اطلاع ولي الأمر على سير الحرب يوماً فيوماً

_ يفوض ولي الأمر إلى قائد الجيش تدبير شؤون الدفاع ، واتخاذ وسائل قهر العدو على وفق ما تقتضيه الفنون الحربية.

وشأن ولي الأمر أن يكون على خبرة من أحوال الجند وسير الحرب ، كما يكون على خبرة من أحوال العدو : يواصله بها قائد الجيش يوماً فيوماً ، أو ساعة فساعة ، حتى يصير كأنه يراها رأي العين.

ومن كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص : « اكتب إلي في كل يوم » .

وقال له في كتاب آخر: «فصف لي منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن - عاصمة بلاد الفرس - صفةً كأنني أنظر إليها ، واجعلني من أمركم على جليلة». ص ٣٠

- وإطلاع ولي الأمر على حال الجيش وموقف العدو أمامهم في كل ساعة ، يدعوهم إلى السهر والتفكير في وسائل سلامة الجيش ، وإمداده بما يحتاج إليه من قوة. ص ٣٠

- ولا يمنع ولي الأمر تفويضه لقائد الجيش في أمر الحرب أن يتتبع سيرته وينظر إليها بعين الناقد البصير ، حتى إذا رأى فيها مأخذاً نبهه له ، أو بدا له رأي أصوب من رأي القائد أبلغه إياه مصحوباً بالحجة. ص ٣٠-٣١

١٨- الشورى في الحرب

- استطلاع الآراء نافع في كل أمر ، وهو في الحرب أحق بأن لا يستهان به؛ فإن رأي الجماعة أبعد عن الخطأ من رأي الفرد ، لذا عني القرآن المجيد بالشورى ، فقال - تعالى - لرسوله الكريم وهو المؤيد بالوحي : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ آل عمران : ١٥٩

والمراد من الأمر في الآية أمر الحرب ونحوها من أمور الدنيا التي يدركها الناس من طريق التجارب والممارسة ، أما الأحكام الشرعية فإنما تجيء من طريق الوحي. ص ٣٢

١٩- كيف يكون قائد الجيش

- عرفنا قبل أن الدهاء مما يراعى في اختيار قائد الجيش ، ويجب أن يكون قائد

الجيش مع هذا شجاعاً قوي الجأش؛ فإن لشجاعته أثراً كبيراً في شجاعة الجيش أو جبنه.

قال أبو بكر الصديق في وصيته ليزيد بن أبي سفيان. «ولا تجبن فيجبُن الناس». ص ٣٣

_ وإذا كانت خصلة الثبات واحتمال المكاره مما يجب أن يغرس في نفوس الجند. فنفس القائد أحق بأن تكون مطبوعة على هذه الخصلة المجيدة. ص ٣٣

_ ولا يكفي لقيادة الجيوش عندما تلتهب نار الحرب إلا الرجل الذي كان قد خاض غمار الحرب من قبل، فذاق حرها، وثبتت قدمه لملاقاة خطوبها، قال أبو تمام:

من لم يُسَسْ وَيَطِيرْ فِي خَيْشُومِهِ رَهْجَ الْخَمِيسِ فَلَنْ يَقُودَ خَمِيساً^(١)

ص ٣٣

_ وإنما يختار لقيادة الجيش من عرف بالغيرة على الحق الذي قامت الأمة للدفاع عنه؛ فإن هذه الغيرة تزيد شجاعته قوة، وتفتح أمامه أبواباً من التدبير الناجح لا يبصرها قائد كان حظه من الغيرة ضئيلاً. ص ٣٤

٢٠. استكشاف حال العدو

_ إن معرفة قائد الجيش بحال عدوه المحارب، وما ينويه من أعمال حربية تدعوه إلى أن يستعد له على قدر ما يستطيع من قوة أو مكيدة، قال النبي ﷺ في واقعة الأحزاب: «من يأتيني بخبر القوم»؟ قال الزبير: أنا، فقال _ عليه الصلاة

١- الخيشوم: أقصى الأنف والجمع خياشيم، والرهج: الغبار أو ما أثير منه، والخميس: الجيش.

والسلام- : « إن لكل نبي حوارياً وحواريي الزبير ». ص ٣٥

٢١- التكتّم في الحرب

- من حزم قائد الجيش أن يكون تصريحه لشؤون الحرب محوطاً بستار، وتكون آراؤه مصونة بكتمان، وربّ نكبة تأتي الجيش في اطلاع عدوّه إلى ما بيّته قائد الجيش من أمر. ص ٣٦

- بعث النبي ﷺ عبدالله بن جحش على رأس سرية وناولته كتاباً مختوماً، وقال له: لا تفتحه إلا في مكان كذا، ولما وصل إلى ذلك المكان فتحه، فإذا فيه: « امض حتى تنزل نخلة فتأتينا من أخبار قريش ». ص ٣٦

- وكان ﷺ إذا أراد المسير إلى قوم ورى بغيرهم. ص ٣٦

٢٢- الاحتراس في الحرب

- تقوم الحرب على المكيدة، فمن حزم قائد الجيش أن يكون على حذر من الوقوع في مكيدة ينصبها له العدو. ص ٣٧

- خرج بغاة بخراسان على قتيبة بن مسلم، ف قيل له: وجّه إليهم وكيع بن أبي أسود فإنه يكفيهم، فقال: إن وكيعاً رجل به كبر، يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلّت مبالاته بعدوه، فلم يحترس منه، فيجد عدوه فيه غرة. ص ٣٧

- وقال بعض الحكماء: « الضعيف المحترس من العدو القوي، أقرب إلى

السلامة من القوي المغتر بالضعيف ». ص ٣٧

- ومن أهم ما يتأكد الاحتراس منه: إذاعة الأخبار التي تبعث في النفوس ضعفاً، وفي العزائم وهناً، ولسدّ مثل هذا الباب من الفساد نزل قوله - تعالى -:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء: ٨٣.

فالأية واردة في قوم كانوا يسمعون أراجيف المنافقين، فيذيعونها ويكون في إذاعتها ضرر على المسلمين، وقد أرشدتهم إلى أن يرجعوا تلك الأنباء إلى الرسول، وإلى أولي الأمر منهم؛ حتى يعرفوا ما يذاع، وما لا ينبغي أن يذاع. ص ٣٧-٣٨

٢٣- حكم الجاسوس في الإسلام

_ في التجسس على شؤون الحرب، والإفضاء بها إلى العدو شرٌّ كبير؛ فربما كان سبب نكبة القوم وابتلائهم بالهزيمة جاسوسٌ يدل القوم على عورة من عوراتهم، أو يطلعه على خطة مبيتة من خططهم. وكان رسول الله ﷺ قد قتل جاسوساً من المشركين، وأفتى طائفة من الأئمة كمالك بن أنس رحمهم الله، بإباحة دم المسلم إذا نقل شيئاً من أسرار شؤون الحرب إلى العدو. ص ٣٩

٢٤- الرفق بالجند ومعاملتهم بالعدل

_ لو تتبعنا سير القواد الذين أبلى الجنود تحت رايتهم بلاءاً حسناً، لوجدناهم القواد الذي يعاملون الجنود بالرفق والإحسان في دائرة الحزم. ص ٤٠

_ وفي وصية أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان: «وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير، وعدّهم إياه».

وقال لخالد بن الوليد حين أرسله إلى المرتدين: «يا خالد عليك بتقوى الله،

والرفق بمن معك». ص ٤٠

_ وجاء فيما عهد به عمر بن عبدالعزيز إلى منصور بن غالب ، حين بعثه على قتال بعض المحاربين : «وأمره أن يرفق بمن معه في سفرهم ولا يجشمهم مسيراً يتعبهم ، ويقصر بهم عن منزل يرفه بهم حتى يلاقوا عدوهم ، والسفر لم ينقص قوتهم». ص ٤٠

٢٥- تلقّيهم أوامر القائد بحسن الطاعة

_ ذكرنا في وصف القائد أن يكون ذا رأي وشجاعة وإخلاص وحزم ورفق بالجند ، ونقول هنا : إن الجيش الذي يحمي حمى الأمة ، ويبني لها مجداً شامخ الذرى هو الجيش الذي يجمع إلى الشجاعة والمحافظة على آداب الشريعة استعداداً لتلقي أوامر القائد الأمين بحسن الطاعة ، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الأدب السامي في خطبة حجة الوداع ، فقال : «يا أيها الناس اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشيٍّ مجدّع فاسمعوا له ، وأطيعوا ما أقام لكم كتاب الله». ص ٤١

_ ومن أعظم ما يساق شاهداً على حسن الطاعة قصة خالد بن الوليد؛ إذ عزله عمر بن الخطاب عن الإمارة العامة للجيش الفاتح للشام ، ووسد الأمر إلى أبي عبيدة بن الجراح ، ورأى خالد أنه إنما يجاهد في سبيل الله؛ فسلم الإمارة إلى أبي عبيدة راضياً ، واستمر على القتال تحت راية أبي عبيدة بإخلاص. ص ٤١

٢٦- تحامي الاختلاف المؤدي إلى الشقاق

_ الشقاق يُبعد ما بين النفوس ، ويذهب بروح التناصر ، فيفعل بالجند ما لا يفعل به عدو شاكي السلاح ، وقد حذر القرآن المجيد منه ، فقال -تعالى- : ﴿وَلَا

تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ الأنفال : ٤٦ .
والآية تحذر من أن يقع تنازع بين أمراء الجيش ، أو بين أفرادهِ ، أو بين الجيش
وأمرائه ، فإن ذلك كله مُوقع في فشل ، وليس بعد الفشل إلا التفهقر ، ثم ملاقة
ما يعقب هذا التفهقر من صغار واستعباد. ص ٤٢

ـ ويتحامى الاختلاف الممقوت بالإغضاء عن الهفوات ، ومقابلة كثير من
المكروه بسعة الصدر ، وطرح المسائل التي تكون منشأ الخلاف على بساط
المحاوره في هدوء وسكينة ، والدخول إلى بحثها من باب الإنصاف والقصد إلى
معرفة وجه الصواب. ص ٤٢

ـ وأبعدُ المجاهدين عن التنازع مَنْ جعلوا نُصَبَ أعينهم ومناط هممهم رفع
لواء الحجة ، وسلامة الأوطان؛ فهؤلاء هم الذين يسابقون إلى كل ما يحقق هذا
الغرض المجيد ، ويتحامون كل ما يمكن أن يكون عثرة في سبيله. ص ٤٢

٢٧- التخلف عن الدفاع

ـ إنما ينهض الرجل للحرب دفاعاً عن قومه ووطنه ليسلم له دينه وعرضه ،
وليتمتع بحياة الكرامة؛ فتخلفه عنها وهو يستطيع أن يشهد لها دليل ضعف الإيمان
وانحطاط الهمة ، ومدعاة إلى تحاذل الأمة وانكسار شوكتها ، لهذا كانت جنائته في
نظر الشارع كبيرة ، قال - تعالى- : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْثَلُثْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ التوبة : ٣٨ .

وقال - تعالى- : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا

يَفْقَهُونَ ﴿ التوبة : ٨١. ص ٤٣

- والخروج إلى جهاد العدو تفرضه الشريعة الغراء على الرجل بعينه متى دعاه إلى الخروج ولي الأمر المسلم.

ومتى هجم العدو فجأة؛ ففي هذا الحال يجب على كل مستطيع أن ينضم إلى المدافعين، ولو لم تبلغه دعوة ولي الأمر. ص ٤٣

٢٨- الفرار من صفوف القتال

- الفرار من صفوف القتال كبير المفسدة، وَخِيمُ العاقبة، ذلك أن الفار قد يكون كاللبنة تسقط من أسفل الجدار، فيتداعى لسقوطها الجدار كله، لهذا عد الشارع الحكيم الفرار من الزحف من أكبر الجنايات. ص ٤٤

- نهى الله المقاتلين من المؤمنين أن يولوا العدو ظهورهم، وقال: ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ الأنفال : ١٦. ص ٤٤

- وفي الفرار من وجه العدو عار يجعل الحياة بغیضة، قال يزيد بن المهلب: والله إنني لأبغض الحياة بعد الهزيمة! ص ٤٤

٢٩- الوفاء بتأمين المحارب

- إذا أعطى أحد الجند الأمان لأحد المحاربين، وجب احترام هذا التأمين، ولا يجوز لأحد أن يتعرض لذلك المحارب بأذى.

وإلى هذا يشير قوله - صلوات الله عليه - : «ويسعى بذمتهم أدناهم».

وقد أمضى النبي ﷺ تأمين أم هانئ بنت أبي طالب لرجل من المشركين، وقال

لها: «قد أجرنا من أمنت يا أم هانئ».

_ وحدث في عهد عمر بن الخطاب أن عبداً آمن أهل بلد بالعراق، فكتب قائد الجيش وهو أبو عبيدة إلى عمر يأخذ رأيَه في هذا التأمين، فكتب إليه عمر «إن الله عظم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا؛ فوفوا لهم وانصرفوا عنهم». ص ٤٥

_ ومن المعقول أن يكون لقائد الجيش رأي في تأمين غيره لأهل بلد تأميناً يقتضي الانصراف عنهم، فإذا رأى أن مثل هذا التأمين قد يأتي بضرر فله أن يبطله، ويجري على ما يترأى له من المصلحة.

وذهب بعض الفقهاء وهو عبد الملك بن الماجشون إلى أن تأمين أحد الجنود لبعض المحاربين ينظر فيه القائد الأعلى، فإن لم ير في إمضائه ضرراً أمضاه، وإلا رده. ص ٤٥

٣٠- مجاملة رسل العدو وعدم التعرض لهم بأذى

_ رسول العدو قد يأتي في شأن الصلح أو غيره مما فيه تخفيف شر الحرب، فمن حسن الرأي أن لا يتعرض للرسول بأذى، وأن يكونوا في أمن حتى يعودوا إلى قومهم؛ فإن التعرض لهم بأذى يقطع صلة الرسالة بين الفريقين، ويسد طريق المفاوضات التي يُتوسَّل بها إلى عدم الدخول في الحرب، أو إنهاؤها إذا كانت ناشئة.

ومكارم الأخلاق تأبى أن يُتعرَّض لرسول بأذى ولو أرسله قومه لإبلاغ ما عزموا عليه من محاربتنا، أو صدر منه كلام في تعظيم أمر قومه بقصد الفخر أو

الإرهاب. ص ٤٦

- وقد جرى نظام الإسلام في الحرب على هذا الأدب المقبول.
 قدم أبو رافع بكتاب من قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأى رسول الله ﷺ في قلبه الإسلام، فقال: يا رسول الله: إني والله لا أرجع إليهم أبداً، فقال رسول الله ﷺ: «أما أني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ولكن أرجع فإن كان في قلبك الذي في قلبك الآن، فارجع» قال: فرجعت، ثم أقبلت إلى رسول الله ﷺ، وأسلمت. ص ٤٦

٣١- تجنب قتل من لا يقاتل

- يُحَرِّمُ الإسلام قتل نساء المحاربين وصبيانهم والطاعنين في السن منهم ورهبانهم إن لم يحاربوا.
 روى عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان.
 وروى ابن عباس أنه - عليه الصلاة والسلام - كان إذا بعث جيوشاً، قال: «لا تقتلوا أصحاب الصوامع» يعني الرهبان.
 وقال أبو بكر الصديق في وصيته لجيش أسامة: «وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له».
 وقال: «ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة». ص ٤٧
 - ومن وصايا عمر بن الخطاب لأمرأء الجيش: «ولا تقتلوا هَرَمًا، ولا امرأة، ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند شن الغارات». ص ٤٧
 - ويلحق بهؤلاء في تجنب قتلهم المريض والمقعد والأعمى والمجنون.

وكذلك روي عن النبي ﷺ النهي عن قتل العسيف، وهو الأجير، وبهذا يظهر أن الإسلام إنما يقصد من الحرب دفاع من يقصدون لأن يقاتلوا، ولا يصح القصد لقتل من ليس شأنه القتال. ص ٤٧

٣٢- معاملة الأسرى

_ إذا وقعت طائفة من العدو المحارب في أسرنا لم يجز لأحد من الجنود أو غيرهم أن يمسه بأذى، وإنما يرجع أمرهم إلى رأي ولي الأمر الواسع الخبرة بوجوه المصالح، فيعاملهم بما تقتضيه خطة الحزم، وما تمليه سماحة الأخلاق. ص ٤٨

_ وذهب من علماء السلف الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح إلى أن ولي الأمر يخير في الأسرى بين أن يطلقهم على وجه المن، أو يطلقهم بفداء، وتمسكوا في هذا بقوله: ﴿ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ محمد: ٤. ص ٤٨

٣٣- الدفاع في البحر

_ لم يدخل المسلمون في قتال بحريٍّ إلى عهد عثمان بن عفان ؓ، وكان أول من ركب البحر فاتحاً معاوية بن أبي سفيان.

وقد أخبر النبي ﷺ في حياته بما يقوم به المسلمون من فتوح على طريق البحر؛ نام رسول الله ﷺ في بيت أم حرام بنت ملحان وهي تحت عبادة بنت الصامت، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر، ملوك

على الأسيرة، أو مثل الملوك على الأسيرة».

فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله» نحو ما قال في الأول، قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم! قال: «أنت في الأولين». ص ٥٠
 _ وقد أجاب الله دعاء النبي ﷺ لها، وعلم أن دعاءه قد استجيب، فقال لها: أنت في الأولين، وركبت أم حرام البحر مع زوجها عبادة بن الصامت في زمن معاوية لفتح «قبرص» ولما خرجوا من البحر صرعت عن دابتها وتوفيت هناك. وقيل صرعت بعد عودتها إلى الشام.

_ وفي قوله ﷺ «ملوك على الأسرة» مبالغة في فضل المحاربين في البحر، وترغيب في صرفهمة إلى المهارة في ركوبه، وإنشاء أساطيل تكف أيدي الأعداء الممتدة من وراء البحار. ص ٥٠-٥١

_ وأنشأ أمراء الإسلام من بعد أساطيل، واتخذوا لها مصانع، كما اتخذ حسان بن النعمان عامل أفريقية بإيعاز من عبد الملك بن مروان دار صناعة بتونس لإنشاء الآلات البحرية، وبلغ أسطول الأندلس أيام عبدالرحمن الناصر نحو مائتي مركب. ص ٥١

٣٤- عقد الصلح

_ قد يقتضي الحال عقد صلح بيننا وبين العدو، وقد استحب الشارع الحكيم عدم رفض الصلح متى رغب فيه المحاربون، فقال - تعالى -: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ

فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴿١﴾ الأنفال: ٦١. ص ٥٢

- وكان النبي ﷺ عقد بينه وبين كفار قريش صلحاً أتى بخير كثير، وهو صلح الحديبية.

- وشروط الصلح تختلف باختلاف قوة الأمة وضعفها، وملاكها أن يكون في عقد الصلح مصلحة عامة، وأن لا يكون من بين الشروط إباحة ما تحرمه الشريعة. ص ٥٢

- والذي نريد التنبيه له في هذا الفصل أن الصلح الذي يلقي بالأمة في خزي، ويجعل بطن الأرض خيراً لها من ظهرها هو الصلح الذي يبعثها على السعي إليه أو على قبوله حب الحياة، وكراهة الموت؛ فتحتمل مهانته وهي تستطيع دفعه بالرجال والسلاح، قال - تعالى -: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ محمد: ٣٥.

وهذا شاعر عربي يأبى لقبيلته أن تتقبل صلحاً إلا أن يكون لها السلطان في وطنها، وتبقى منابرها التي هي مصادر الأمر والنهي في قبضتها، فقال:

ولا صلح ما دامت منابر أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

ص ٥٣

٣٥- تخليص الأسرى من أيدي العدو

- يقع الفرد أو الطائفة في أسر العدو، ولا يعد هذا وحده دليل الجبن أو التقصير في الدفاع حتى يجر إلى صاحبه عاراً، أو يسبغ لمن بيدهم الأمر أن يصرفوا عنه أنظارهم، ويتركوه في أيدي العدو، يلاقى المهانة أو سوء

العذاب. ص ٥٤

_ فمن واجبات الدولة أو الأمة تخليص من يقع في أسر بالوسائل المستطاعة من مال أو غيره، وقد أرشد النبي ﷺ إلى هذا الواجب بقوله ﷺ: «فكّوا العاني _ الأسير_ وأطعموا الجائع، وعودوا المريض». ص ٥٥

٣٦_ تقدير البطولة

_ البطل يقف المواقف الخطيرة، ويجود بحياته في دفاع العدو؛ لتعلو كلمة الحق، وتحيا الأمة حياة الكرامة؛ فهو جدير بأن يلاقي من الأمة التبجيل والتكريم.

وشعور البطل بأنه يعمل لخير أمة تقدر رجالها حق قدرهم مما يزيد إقباله وثباته على الدفاع قوة، وإذا شعر غيرُه بهذا التقدير فقد يقوى حرصه على أن يسلك سبيله، ويبذل كل ما يعز عليه. ص ٥٦

_ ولتكريم الأبطال مظاهر: منها الاحتفال بتوديعهم عند الخروج للحرب، كما خرج الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ يشيع أسامة بن زيد والجيش المسافر معه إلى الشام، وكان أبو بكر ماشياً على قدميه، وأسامة راكباً راحلته.

وخرج عمر بن الخطاب ﷺ يشيع سعد بن أبي وقاص والجيش المسافر إلى فتح فارس، حتى بلغ موضعاً يقال له الأعوص، وهناك خطب فيهم خطبة أوصاهم فيها بالعدل والرحمة، إلى نحو هذا، وعاد إلى المدينة. ص ٥٦-٥٧

_ وكان اليوم الذي خرج فيه أسد بن الفرات^(١) من القيروان لفتح صقلية يوماً

١- توفي أسد في حصار سرقوسة شهيداً وهو أمير الجيش وقاضيه سنة ٢١٣هـ.

مشهوداً. ص ٥٧

- ويضاهي هذا استقبالهم ، والاحتفاء بهم عند إياهم من حرب أبلوا فيها
بلاءً أحسنًا. ص ٥٧

- ومن مظاهر تقدير الأبطال المخلصين عنايةً ولي الأمر بأن يكون عيشهم في
رخاء ، وأن يكونوا في أمن على إصلاح شأن أطفالهم إذا استشهدوا.

جمع رسول الله ﷺ لسلمة بن الأكوع في بعض مغازيه بين سهم الراجل
والفارس ، فأعطاه خمسة أسهم لعظم غنائه^(١) في تلك الغزوة ، وزاد عمر بن
الخطاب في عطاء فتاة من بيت المال ، وقال « إن أباهما فتح حصناً ». ص ٥٧

- ومن وجوه تقدير الأبطال صوغ عبارات الشكر والثناء عليهم في نظم أو
نثر ، وفي الأدب العربي قسم عظيم في الثناء على الأبطال والتنويه بذكر مقاماتهم
المجيدة ، قال أبو تمام :

كم بين قوم إنما نفقاتهم مالٌ وقومٌ ينفقون نفوسا
ص ٥٧

- وبطولة الرجل تطلق الألسنة بتمجيده ، حتى ألسنة خصومه الذين تجرعوا
من شدة بأسه مرارة.

خرج يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك ، فوجه لقتاله أخاه مسلمة بن
عبد الملك ، وثبت يزيد بن المهلب في قتاله ، وأبى أن يفر وقد تسلل عنه أعوانه ،
حتى قتل ، وأراد أحد جلساء يزيد بن عبد الملك أن ينال من المهلب ، ويحط من

١- لعلها : عنائه.

شأنه، فقال له يزيد بن عبد الملك: «إن يزيد طلب جسيماً، وركب عظيماً، ومات كريماً». ٥٧-٥٨

_ ومن تقدير البطولة الإغضاء عن أخطاء تصدر من البطل وهو يحارب العدو بعزم صميم، وعدم مناقشته الحساب على مأخذ قد يشفع له فيها إخلاصه، والإخلاص القائم بجانب البطولة شفيح أي شفيح!

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد لدعوة بني جذيمة إلى الإسلام، فسبقت يد خالد على قتل رجال منهم باعتقاد أنهم يستحقون القتل، وبلغ ذلك النبي ﷺ، فأنكر ما فعل خالد، وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» وأرسل إلى بني جذيمة مع علي بن أبي طالب ﷺ ديات من قتلوا، وأعطاهم قيم ما أصيب من أموالهم، وزادهم على ما استحقوا من الديات وقيم الأموال، ولم يعزل خالدًا عن قيادة الجيش. ص ٥٨

سابعاً: نقولات مختارة من كتاب:

عادات عربية تأليف محمد المكي بن الحسين

«تعريف بالمؤلف»:

هو العلامة اللغوي محمد المكي بن الحسين علم من أعلام الأدب واللغة ونادرة من نواذر اللغويين في زمانه ، قل أن يوجد مثيل له في فكره الغواص في بحر العربية ، يفتش في أعماقه عن أجمل ما في التراث العربي ، ويبحث بجلد وصبر عن مكنوناته ، فيصقلها صقل البارع في المهنة ، السباق في ميدانها ، ويضمها عقوداً متناسقة ، في بحوث لها روعتها وجمالها .

ومع بالغ الأسف أن مثل هؤلاء الأعلام من أرباب الفكر الصافي ، والأدب الأصيل يكون نصيبهم النسيان ، والإهمال .

ولقد قيض الله لهذا العلم من يحرص على نشر علمه ، والتعريف به ، ألا وهو ابن أخيه : الأستاذ علي الرضا الحسيني .

وهذه نبذة يسيرة عن صاحبنا بقلم الأستاذ علي الرضا _ حفظه الله _ يقول فيها :

«ولد محمد المكي بن الحسين بن علي بن عمر في مدينة نفطة بالجنوب التونسي في شهر ربيع الأول ١٣٠١هـ ، ونشأ في دوحة أصيلة وعريقة في العلم والفضل والأدب ، ويزينها من فوق ذلك شرف الانتساب إلى آل البيت الأطهار .

خاله العلامة محمد المكي بن عزوز ، وإخوته الإمام محمد الخضر حسين وزين العابدين بن الحسين ، والجنيد ، وجميعهم كانوا من أفاضل العلماء المنصرفين

إلى خدمة الإسلام وإعلاء رايته ونشر الدعوة المختارة أينما رحلوا وحيثما حلوا. انتقل إلى مدينة تونس مع عائلته سنة ١٣٠٦ هـ وأخذ في حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم الشرعية عن والدته البارة السيدة حليلة السعدية بنت الصالح التقي مصطفى بن عزوز.

ثم التحق في الجامع الأعظم - جامع الزيتونة - وحصل على شهادة التطويع. ومن شيوخه شقيقه الإمام محمد الخضر حسين، والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، وعلي الشنوفي، وأحمد جعيط وغيرهم.

رافق أسرته في هجرتها إلى الشرق سنة ١٣٣٠ هـ بعد أن ضيق الباغي الفرنسي الخناق على أخيه الإمام محمد الخضر الذي لاحقه حكم بالإعدام؛ لنضاله ودعوته إلى الاستقلال والحرية.

واستقر في مدينة دمشق منصرفاً فيها إلى التدريس في مدارسها الأهلية والرسومية معلماً للغة العربية وآدابها.

والتقى بأعلام دمشق ومنهم خير الدين الزركلي، ومحمد بهجة البيطار، وسليم الجندي، والشيخ عبدالقادر المغربي، ومحمد المبارك الجزائري، ومحمد كرد علي.

بعد ما يقارب ثماني سنوات عاوده الحنين إلى تونس فرجع إليها سنة ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م متفرغاً للمطالعة والتحقيق، واشتهرت لغوياته في مختلف الصحف والمجلات التونسية إلى جانب أحاديثه اللغوية والمستمرة من إذاعة تونس.

لم يتزوج طيلة حياته، وكانت أوراقه وأقلامه هي رفيق عمره الزاخر بالإنتاج والعطاء حتى وفاته في مدينة تونس يوم ٢٠ شعبان ١٣٨٢ هـ الموافق ٢٦ كانون الثاني ١٩٦٣ م.

وقد ترك آثاراً قيمة جمعتها وحققتها في عدة مؤلفات وهي: عادات عربية، نوادر في اللغة، نوادر في الأدب، أسماء لغوية، حكم وأخلاق عربية، أمثال عربية، كلمات للاستعمال.

وضعت عنه كتابي (محمد المكي بن الحسين - حياته وشعره) ضمنت فيه الشعر الذي نظمته في حياته وتوصلت إليه بالبحث، كما تناولت حياته المباركة بالقليل مما اتصلت به من أخباره.

ولعل الأبيات التي قالها الإمام محمد الخضر حسين في أخيه محمد المكي، وأشار فيها إلى فطنته وفراسته، وأدبه الجم ولا سيما خجله - خير ترجمة لأخلاقه.

يقول الإمام محمد الخضر حسين من ديوانه (خواطر الحياة):

دعني إلى وده فطنة	يجيد بها إن سألت الجوابا
وما بين بُرديه إلا أخ	يؤانسني إن فقدت الصحابا
أروم عليه عتاباً وكم	تفرس ما رمته فأصابا
يهبُّ على وجهه خجل	فيصفو ضميري وأنسى العتابا

رحمهما الله، وأجزل إليهما الثواب، والحمد لله رب العالمين.

«تعريف بالكتاب»: كتاب «عادات عربية» ينبئ عن نفسه؛ فهو يتكلم عن عادات العرب في شتى شؤونهم وأحوالهم سواء في حربهم، أو سلمهم، أو

أفراحهم ، أو أتراحهم ، أو غير ذلك.
ولا ريب أن البحث في هذا الباب طريف لطيف ، وأنه يحتاج إلى تحرٍّ ودقة ،
واستقصاء ، وغوص .

وقد اعتنى بهذا الكتاب الأستاذ علي الرضا الحسيني ابن أخي المؤلف ، وطبع
في الدار الحسينية ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م وجاء في ١٥٩ صفحة .
أما العادات التي تضمنها هذا الكتاب فهي كما يلي :

- عادات شعراء العرب .
- عادات العرب في الأموات والقتلى .
- ميز شجعان العرب بعلامات في الحرب .
- التصافن .
- عناية العرب بالضيف .
- عادات عربية خاصة بالأعراس .
- تنكيل العرب الجاهلية بالجناة .
- عناية السلف باللغة العربية وكتبها .
- أرخى عمامته .
- أبو الأضياف .
- تخيلات الأمة العربية في أطوار الجاهلية .
- عادات ملوك العرب في الجاهلية والإسلام .
- عادات نساء العرب في الأعصر الجاهلية .

- عادات العرب في الخيل.
- عادات العرب في الإبل.
- عادات العرب في الحروب والغزوات.
- عادات عربية خاصة بالأعراس.
- مجالس العرب في الجاهلية والإسلام.
- المثل والصيغة أو عادات عربية.
- قرع السن كناية عن الندم.
- عادة عربية.
- الأضياف والضيافة.
- عادات العرب بأمر الأضياف.
- عادات عربية.

_ «النقولات المنتقاة»: قال العلامة محمد المكي بن الحسين رحمته الله :

١_ عادات شعراء العرب

- _ كان شعراء العرب يمتازون عن سائر الناس بعادات ، وقد مر بي في أثناء مطالعة كتب الأدب شيء منها فأفردته في هذا المقال :
- _ ومن عاداتهم في الجاهلية أن الواحد منهم إذا أراد الهجاء دهن أحد شقي رأسه ، وأرخى إزاره ، وانتعل نعلًا واحدة. ص ٩
- _ وكانوا لا يتكسبون بالشعر ، وإنما يضع أحدهم ما يضعه فكاهة ، أو مكافأة عن يدٍ لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر ، حتى نشأ النابغة الذبياني ، فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر. ص ٩
- _ ومن عاداتهم عرض أشعارهم على قريش ، والاعتماد على حكمهم فيه بالرد ، أو القبول. ص ١٠
- _ ومن عاداتهم المساجلة ، وهي أن يتساجل الشاعران ، فيضع هذا قسيماً ، وهذا قسيماً؛ لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه ، وأكثر ما تكون بأنصاف الأبيات. ص ١٠
- _ وكان كثير منهم يعملون القصيدة ، ولا يظهرونها للناس حتى ينظروا فيها ، ويهذبوها ، ومن هؤلاء زهير الذي كان يعمل القصيدة ، ولا يظهرها إلا بعد حول ، وتسمى قصائده الحوليات. ص ١٠
- _ وكانوا إذا اجتمعوا يستنشد بعضهم بعضاً ما قاله من الشعر ، وهذا معروف عنهم ، حدثت دعبل أنه اجتمع هو ومسلم بن الوليد وأبو الشيص ، فقال لهم

أبو نواس : إن مجلسنا هذا قد اشتهر باجتماعنا فيه ، ولهذا اليوم ما بعده ، فليأت كل امرئ منكم بأحسن ما قال فلينشد.ص ١١

_ وكان بعضهم يرى أخذ الصلة ممن دون الملوك عاراً ، فضلاً عن العامة وأطراف الناس ، قال ذو الرمة يفتخر بأنه لا يكسب المال إلا من صلات الأمير الأعلى :

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن مقسمةً من هؤلاء وأولئك
ص ١١

_ وكانوا يتعرضون بالشعر لحاجاتهم ، ويستشفعون بتقديم الأبيات بين طلباتهم.ص ١١

_ وكان بعضهم يقول الشعر وهو يجود بنفسه.ص ١١

٢ _ عادات العرب في الأموات والقتلى

_ ومن عادات العرب في الأموات ما جاء في الصحاح : « عن الأصمعي ، قال : كانت العرب إذا مات منها ميت له قَدْرٌ ركب راكب فرساً ، وجعل يسير في الناس ، ويقول نعاء فلاناً ، أي أنعة ، وأظهر خبر وفاته ، وهي مبنية على الكسر مثل دراك ونزال بمعنى أدرك وأنزل ».ص ١٢

_ وفي (النهاية) لابن الأثير ، قال : « كانوا إذا مات منهم شريف أو قتل بعثوا راكباً إلى القبائل ينعاه إليهم ».ص ١٢

_ وكانوا في الجاهلية يغسلون موتاهم ، ويصلون عليهم ، وطريق صلاتهم أن يحمل الميت على سريرته ، ويقوم وليه ، ويذكر محاسنه ويثني عليه ، ويقول :

عليك رحمة الله وبركاته.ص١٢

- وكانوا يسودون باب الميت، ففي اللسان : «والتجُونُ : تسويد باب الميت».ص١٣

- وكانوا يحملون الموتى من ساداتهم وكبرائهم في تابوت عظيم ويسمى إراناً، قال طرفة يصف ناقه، والبيت من معلقته :

أُمُونِ كَالْوِاحِ الْإِرَانِ نَسَائُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرَ بُرْجَدٍ
قال الخطيب التبريزي : «الإران : تابوت كانوا يحملون فيه ساداتهم وكبراءهم دون غيرهم».ص١٣

- ومن عاداتهم إذا قُتِلَ الرجل منهم رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه؛ ليعرف قاتله، قال متمم بن نويرة في أخيه مالك :

لَقَدْ كَفَّنَ الْمَنْهَالَ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرِ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
وكان المنهال قتل مالكا، والرداء: السيف.ص١٣

- وكانوا يغطون الميت قبل دفنه، بثوب أخضر، إلا أن هذه العادة لم أقف بعدُ على ما يثبت وجودها عندهم في الأعصر الجاهلية، والأظهر: أنها حدثت فيهم بعد الإسلام، قال الأصبهاني في المحاضرات : «قال أبو عمرو الشيباني: رأيت بالبصرة جنازة عليها مطرف خز أخضر، فسألت عنها، فقيل جنازة الطرماح فذكرت قوله :

فِيَا رَبِّ إِنِّ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ عَلَى شَرْجَعٍ يُعَلَى بِخَضِرِ الْمَطَارِفِ
ص١٣.

_ وكانوا يضجعون الميت في قبره ، ويوسدونه إحدى يديه ، دل على ذلك كثير من أشعارهم ، قال أبو ذؤيب الهذلي يذكر قبره :
 قضوا ما قضوا من رمها ثم أقبلوا إليّ بطاء المشي غُبر السواعد
 فكنت ذنوب البئر حين تبسلت وسُرُبلت أكفاني ووُسِّدت ساعدي
 ص ١٣.

_ وكانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى ، أي ينحرونها ، ويقولون : إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته؛ فنكافته بمثل صنيعه بعد وفاته. ص ١٤
 _ وكانت المرأة في الجاهلية إذا مات عنها زوجها اعتدت عليه سنة لا تخرج من بيتها ، فإذا تم الحول ، فمر كلب رمته ببكرة ، ثم خرجت من بيتها ، ذكر هذا المفضل ابن سلمة في كتاب (الفاخر) وقال : وقد ذكرت الشعراء هذه الإقامة ، فمن ذلك قول لبید :

وَهُمْ ربيعٌ للمجاور فيهم والمرملات إذا تطاول عامها
 ص ١٧

_ وكان ذوات المصائب من نسائهم ، إذا قمن في المناحات يضربن وجوههن وصدورهن بالنعال ، قال :

وقام بناتي بالنعال حواسراً وألصقن وقع السَّبْتِ تحت الفلائد
 ص ١٨

_ وكانت المرأة منهم إذا ناحت قائمة على زوجها عُلِمَ أنها لا تريد أن تتزوج بعده. ص ٢٠

_ وكانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه ، أو قبلت

ديته يبقى قبره مظلماً، ذكر هذا الخطيب التبريزي في تفسير قول كبشة أخت عمرو بن معد كرب _ (من شعراء الحماسة):

وأرسل عبد الله إذ حان يومه إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي
ولا تأخذوا منهم أبلاً وأبكرًا وأترك في بيت بصعدة مظلّم

ص ٢٠

_ ومن مزاعمهم في المقتول: أن الإنسان إذا قتل من غير أن يطلب بثأره خرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة، والذكر الصدى، فيأخذ يصيح على قبره، ويقول: اسقوني، اسقوني، قال إبراهيم بن هرمة:

فكيف وقد صاروا عظاماً وأقبراً يصيح صداها بالعشي وهامها
تفانوا ولم يبقوا وكل قبيلة سريع إلى ورد الفناء كرامها
وقال بعضهم:

ولا تزقون لي هامة فوق مرقب فإن زقاء الهام للمرء عاتب^(١)
تنادي ألا اسقوني وكل صدى به وتلك التي تبيض منها الذوائب
وقال ذو الأصبع العدواني:

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

ص ٢١

٣ _ ميز شجعان العرب بعلامات في الحرب

_ كان شجعان العرب يُعلمون أنفسهم بعلامات يعرفون بها في الحرب، وإلى

١- الزقاء: الصياح.

ذلك يشير عمرو بن كلثوم في قوله :

على آثارنا بيضٌ كرامٌ نحاذرُ أنْ تفارقَ أو تهونا
أخذنَ على بعولتهنَّ عهداً إذا لاقوا فوارسَ مُعلمينا
لِيسْتَلْبُنَّ أبداناً وبيضا وأسرى في الحديد مقرنينا
وقال عنتره _ والبيت من معلقته _ :

ومشكٌ سابغةٌ هتكت فروجها بالسيف عن حامي الحقيقة مُعلم
قال الزوزني في شرحه للمعلقات :

المعلم بكسر اللام : الذي أعلم نفسه ، أي شهرها بعلامة يعرف بها في الحرب
حتى ينتدب الأبطال لبرازه ، والمُعلم بفتح اللام : الذي يشار إليه ، ويُدلُّ عليه بأنه
فارس الكتيبة ، وواحد السرية . اهـ . ص ٢٢

٤ _ عناية العرب بالضيف

_ جاء في البيان والتبيين للجاحظ ما يأتي :

إن العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى ،
ومن تمام الإكرام ، وقالوا : تمام الضيافة : الطلاقة عند أول وهلة ، وإطالة الحديث
عند المؤكلة ، قال :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب
ولذلك قال عمرو بن الأهتم :

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح وصديق

وجاء في كتاب غرر الخصاص الواضحة للعلامة برهان الدين الوطواط، ما نصه:

ومن المفاخر التي لا نزاع فيها ولا خلاف، بسط الوجه، وبذل القرى للأضياف. اهـ. ص ٣٥

٥ - تنكيل العرب في الجاهلية بالجناة

- كانت العرب إذا غدر منهم غادر يوقدون له بالموسم ناراً، و ينادون عليه، يقولون: ألا إن فلاناً غدر؛ ولذلك قال الغادرة الغطفاني:

أُسْمِيْ وَيْحَكَ هَلْ سَمِعْتَ بِغَدْرَةِ رُفِعِ اللِّوَاءُ لَنَا بِهَا فِي الْمَجْمَعِ

ص ٤١

- وكان الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جُعِلَ له تمثال من طين، ونصب، وقيل: ألا إن فلاناً غدر فالعنوه، كما قال عبد الله بن جعدة:

فَلَنَقْتَلَنَّ بِخَالِدٍ سُرُواتِكُمْ وَلَنَجْعَلَنَّ لظَالِمٍ تَمْثالاً

يعني خالد بن جعفر، وقَتَلَ الحارث بن ظالم له. اهـ. ص ٤١

- وكانوا يتركون الرمح في المطعون ليكون أعنت له، قال عنتره:

وِغَادِرْنَ نَضْلَةً فِي مَعْرَكٍ يَجْرُ الْأَسْنَةُ كَالْمَحْتَطَبِ

ص ٤٢

- وكانوا يقيدون الأسير بسير من جلد، قال أبو دهبيل الجمحي يمدح الأزرق المخزومي:

مَا زَلْتُ فِي الْعَفْوِ لِلذَّنُوبِ وَإِطْ لَاقِ لَعَانٍ بِجَرْمِهِ غَلِقِ

حتى تمنى البراة أنهم عندك أسرى في القدّ والحلق
ص ٤٣

_ وكانوا يخلقون رؤوس الأسرى ، قال نافع بن خليفة الغنوي يخاطب بني نمر:
وإن تخلقوا منا الرؤوس فإننا حَلَقْنَا رؤوساً باللحى والغلاصم
الغلاصم: جمع الغلصمة وهي رأس الحلقوم ، وهو الموضع الناتئ في الحلق ،
وحَلَقْنَا: يريد أزلنا بالسيوف. ص ٤٣

_ وكانت العرب تجز نواصي الأسرى من الفرسان إذا رامت أن تخلي سبيلها ،
وتمن عليها ، ولو كف العربي عن جز ناصيته لوسمه الأسير من الشعر والقوافي
الخالدات البواقي التي هي أبقى من الميسم بما هو أضر عليه من جز ناصيته ،
ولعله لا يبلغ أهله حتى يستوي مع سائر شعر رأسه ، ولكن ذل الجز لا يزال
يلوح في وجهه ، ولا يزال له أثر في قلبه. ص ٤٣

_ وكانوا إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه الموائيق ، وربما شدوا لسانه بنسعة كما
صنعوا بعبد يغوث بن وقاص المحاربي ، حين أسرته بني تميم يوم الكلاب ، وهو
الذي يقول :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيمم أطلقوا من لساني
وتضحك مني شيخاً عبشمية كأن لم تر قبلي أسيراً يمانيا
ص ٤٤

_ وجاء في أمالي أبي علي القالي ما نصه :
قوله : « وقد شدوا لساني بنسعة » قال : هذا مثل ، لأن اللسان لا يشد بنسعة ،

وإنما أراد: افعلوا بي خيراً ينطلق لساني بشكركم، فإن لم تفعلوا فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم. ص ٤٥

٦ - عناية السلف باللغة العربية وكتبها

_ كان أبو عمرو بن العلاء إماماً في القراءات والنحو واللغة، أخذ عن جماعة من التابعين، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف، مات سنة أربع وقيل تسع وخمسين ومائة. ص ٤٦

_ وكان للأصمعي يد غراء في اللغة لا يُعرف فيها مثله.

وكان كثير التطوف بالبوادي لاقتباس علومها، وتلقي أخبارها، قد استولى على الغايات في حفظ اللغات، وضبط العلوم الأدبيات.

وقد أعانه على تبحره في العلم خزانة كتبه الواسعة التي تحدث عنها بقوله: لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي: هل حملت معك شيئاً من كتبك؟ فقلت نعم حملت منها ما خف حملته، فقال: كم؟ فقلت ثمانية عشر صندوقاً، فقال: هذا لما خففت، فلو ثقلت كم كنت تحمل؟ فقلت أضعافها، فجعل يعجب. ص ٤٦

_ وهذا أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب أو إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه كان يقول: مات الكرخي معروف سنة مائتين، وفيها ولدت وطلبت العربية سنة ست عشرة ومائتين، وابتدأت بالنظر في حدود الفراء ولي ثمان عشرة سنة، وبلغت خمساً وعشرين سنة وما بقي للفراء عليّ مسألة إلا وأنا أحفظها، وأضبط موضعها من الكتاب، ولم يبق من كتب الفراء في هذا الوقت شيء إلا وأنا قد حفظته، ومات سنة إحدى وتسعين ومائتين ودفن بمقبرة باب

الشام ببغداد. ص ٤٧ - ٤٨

- وكان أبو الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي من المكثرين من نقل اللغة، والمطلعين على غريبها وحواشيها، ولا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر.

وكان إذا سافر لم يخلف في منزله درهماً ولا شيئاً يساويه، وكان أكثر إشفاقه على دفاتره؛ لأنه كان قد انتخبها، وأحكمها قراءة وتصحيحاً. ص ٤٨

- وهذا العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي صاحب القاموس المحيط في اللغة كان يقول: ما كنت أنام حتى أحفظ مائتي سطر، ولا يسافر إلا وصحبته عدة أحمال من الكتب، ويخرج أكثرها في كل منزلة، ينظر فيها، ويعيدها إذا رحل.

مات سنة ست عشرة وثمانمائة. ص ٥٢

٧ - أرخى عمامته

- قولهم في الأمن المطمئن: أرخى عمامته أي أمن واطمأن؛ لأنه لا ترخى العمائم في الشدة.

وقال جرير يخاطب عتبة بن مسعود رضي الله عنه وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز:

يا أيها القارئ المرخي عمامته هذا زمانك إني قد مضى زماني
أبلغ خليفتنا إن كنت لآقيه أني لدى الباب كالمشدود في قرن
لا تنس حاجتنا لا قيت مغفرة قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

ص ٥٣

٨ - أبو الأضياف

- من الكنى بالأب قولهم: أبو الأضياف للمطعام، والعرب تقول لكل من قام بشيء وتكفل به: هو أبو كذا، وكذا، وربما قالوا: أم كذا، وربما قالوا: ابن كذا. قال العجير السلولي، من شعراء الحماسة، يرثي ابن عمه جالب بن يزيد: تركنا أبا الأضياف في ليلة الصبا بمرور ومردي كل خصم يجادله
ص ٥٥

- وجاء في كتاب الآداب الشرعية للإمام ابن مفلح ج ٣ : ٢١٢ ما نصه: ويستحب لصاحب الطعام أن يباسط الإخوان بالحديث الطيب والحكايات التي تليق بالحال إذا كانوا منقبضين. ص ٥٦

٩ - تخیلات الأمة العربية في أطوار الجاهلية

- كثيراً ما تتوق النفوس إلى الاطلاع على ما كان للأمة العربية من التخیلات والرموز والمعتقدات في أطوار الجاهلية. ولقد جمعت منه ما انتقيته مما أوقفني عليه البحث:

- **حذف السن نحو الشمس:** فمن تخیلات الأمة العربية أن الغلام إذا سقطت سنُّه، فحذفها نحو عين الشمس، وقال: أبدلني بها أحسن منها عادت، قال طرفه: أبدلته الشمس من منبتها برداً أبيض مصقول الأشر أشر الأسنان: التحريز الذي فيها، يكون خلقة ومستعملاً، والجمع أشور. ص ٥٧

- **الاهتداء إلى الطريق:** ومنها أن المسافر إذا ضل في مفازة، قلب ثيابه، وصاح كأنه يومئ إلى إنسان؛ ليرشده، وصفق بيديه اهتدى إلى الطريق. ص ٥٧

- **الخوف على الصبي من النظرة:** ومنها إذا خيف على الصبي النظرة يعلق

عليه سن ثعلب أو سن هرة يسلم ، وقيل : أرادت جنية صبياً فلم تقدر عليه ،
فلما رجعت قيل لها في ذلك فقالت :

كانت عليه نُفْرَة ثعالب وهررة

والحيض حيض السَّمْرَة

وحيض السمرة : شيء يسيل من السمرة ، وهي شجرة يزعمون أن الجن
يهربون منه .

والنفرة بالضم كتؤدة : شيء يعلق على الصبي لخوف النظرة . ص ٥٧ _ ٥٨
_ **تعليق التمايم** : ومنها أن تعليق التمايم مما يحفظ من الآفات ، قال أبو ذؤيب
الهدلي يرثي أولاده :

وإذا المنية أنشبت أظفارها لرأيت كل تيممة لا تنفع
ص ٦٠

_ **الضب والعقرب** : ومنها أنه ليس من ضب إلا وفي حجره عقرب ، فهو لا
يأكل ولد العقرب وهي لا تضربه ، فهي مسالمة له وهو مسالم لها ، وأنشد :
وأخدع من ضب إذا خاف حارثاً أعداً له عند الذنابة عقربا
حرش الضب يحرشه ، من باب ضرب : صاده ، وذلك بأن يحرك يديه على
باب حجره ؛ ليظنه حية ؛ فيخرج ذنبه ؛ ليضربها ؛ فيأخذه . ص ٦١ _ ٦٢

١٠ _ عادات ملوك العرب في الجاهلية والإسلام

_ من عادات ملوك العرب في الجاهلية ، أن الواحد منهم كان إذا قام عن
مجلس الحكم يُخَلَّف فيه من ينظر بين الناس بعده ويسمى رِدْفاً ، وهو بمنزلة

الوزير في الإسلام. ص ٦٤

- ومنها إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه ، ويقفون به؛

لأنه عندهم أوطأ من الأرض. ص ٦٤

- ومن عادات ملوك اليمن قبل الإسلام: أنهم كانوا يركبون الأفراس والمركبات ، وكانوا يضربون النقود ، وينقشون عليها صورهم وأسماءهم وأسماء المدن التي ضربت فيها.

أما بقية العرب في الجاهلية فقد كانوا يتعاملون بالنقود الرومية والفارسية ، حتى جاء الإسلام وافتتحوا البلاد ، فكان مما عمدوا إلى إنشائه ضرب الدراهم والدنانير ، وقد كان سيف الدولة ضرب دنانير عليها اسمه وصورته. ص ٦٧

- ومنها: في الجاهلية كانوا يختمون على الرسائل والصكوك بخاتم ، وكان ذلك من الوظائف الملوكية المعروفة عندهم ، وبعد ظهور الإسلام أصبح ذلك من شارات الملك في الدول العربية ، وكانوا يستجيدون صوغه من الذهب ، ويرصعونه بفصوص من الياقوت وغيره من الحجارة الكريمة. ص ٦٧

- ومنها: جلوسهم على السرير وهو أعواد منصوبة ، أو أرائك منصدة لجلوس السلطان عليها ، وكان ذلك من سنن الملوك قبل الإسلام ، وأول من اتخذ في الإسلام معاوية رضي الله عنه واستأذن الناس فيه ، وقال لهم إني قد بدنت ، فأذنوا له ، فاتخذ ، واتبعه ملوك الإسلام فيه قال البحري يمدح المتوكل على الله :
فلك السيفُ والعمامةُ والخا تم والبرد والعصا والسرير

ص ٦٨

١١ - عادات نساء العرب في الأعصر الجاهلية

- طلاق الرجال: وكن أو بعضهن يطلقن الرجال، وعلامة طلاقهن أنهن يحولن أبواب بيوتهن، فإن كان الباب إلى المشرق جعلته إلى المغرب، وإن كان الباب قبل اليمن جعلته قبل الشام، فإذا رأى الرجل ذلك عرف أن امرأته طلقته. وكذلك طلقت ماوية بنت عفزر زوجها حاتماً، حين أمعن به حب الكرم؛ فلم يبق لأبنائه ما يتبلغون به، وفي سبيل ذلك أرسل إليها قصيدته التي يقول في مطلعها:

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد كذاك الزمان بيننا يتردد

ص ٧٠

- ذيل الثياب: وكن يرسلن ذيول ثيابهن، ولا سيما حللهن النفيسة التي يلبسنها في المواسم والأعياد. ص ٧٠

- التزين بالحناء: كن يتزين بالحناء، فهي شائعة الاستعمال بينهن، فيصبغن بها الأكف والأصابع والأظافر، وأخامص القدمين، وأصابع الأرجل. ص ٧١

- الإثمد على الشفاه: وكن يذررن الإثمد على شفاههن ولثاتهن، ليكون ذلك أشد للمعان أسنانهن ونقائنها. ص ٧١

- المساويك: وكن يستكن بقضبان المساويك على اختلاف أنواعها، وذلك كقضبان الأراك والإسحل والبشام وغيرها، وهي أشجار عطرة الريح، وعيدانها صالحة للاستياك. ص ٧٤

١٢ - عادات العرب في الخيل

- من عادات العرب في الخيل: أن الواحد منهم كان إذا أراد الركوب لثأر جزاً

ناصية فرسه وذبها ، وأول من فعل ذلك الحرث بن عباد يوم تحلاق اللمم من أيام حرب البسوس ، وذلك أنه لما سمع بقتل ولده «بحير» دعا بفرسه النعامة ، فجيء بها ، فجز ناصيتها وذبها ، ونادى في قومه ، وأنشد قصيدته التي مطلعها :
كل شيء مصيره للزوال غير ربي وصالح الأعمال
ومنها :

قربا مربوط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيالي
لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرّها اليوم صالي
فاتخذ العرب ذلك سنة إذا أرادوا إدراك الثأر فعلوا ذلك بخيلهم ، فلما بلغ المهلهل فعل الحرث ، دعا بفرسه المشهرّ وفعل به ما فعل الحرث بالنعامة ، وقال قصيدته التي مطلعها :

هل عرفت الغداة من أطلال رهن ريح وديمة مهطال
ومنها :

قربا مربوط المشهرّ مني لكليب الذي أشاب قذالي
ص ٧٦

ـ وكانوا يطعمون الجياد من الخيل اللبن ، قال فارس جروة شداد بن معاوية العبسي :

ومن يك سائلاً عني فإني وجروة لا تباع ولا تعار
مقربة الشتاء ولا تراها أمام الحي يتبعها المهار
لها بالصيف جرجارٌ وجلٌّ وستٌ من كرائمها غزار

قوله وست من كرائمها إلخ - أي لها من كرائم الإبل ست نوق تشرب من ألبانها. ص ٧٦ - ٧٧

- وكانوا يحبون الخيل ويبالغون في إكرامها، وكان الرجل منهم يبيت جائعاً ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه وعياله وولده، قال مالك بن نويرة:
أعلل أهلي عن قليل متاعهم وأسقيه محض الشول والحي ضائق
ص ٧٨

- وكانوا يقلدونها أوتار القسي لئلا تصيبها العين، فنهاهم الإسلام عن ذلك، وأعلمهم أن الأوتار لا ترد شيئاً من قضاء الله - تعالى - ورخص بتقليدها الخرز لأجل الزينة. ص ٧٨

- وكانوا يسمونها بنار الميسم - وهي الحديد التي يكوى بها - قال الجاحظ في كتابه: ووسمت العرب الخيل وجميع أصناف النعم في الإسلام على مثل صنعها في الجاهلية. اهـ ص ٧٨

- وكانوا ينعلون الخيل بالحديد، وقد دل عليه قول مالك بن بلالة بن أرحب:
أمرت بإتيان اللجام فأبدعت وأنعلت خيلي في المسير حديداً
وأرحبٌ جدي كان أحدث قبلنا ولو نطقت كانت بذاك شهودا
ص ٧٨

- وكانوا يجعلون في عنق السكيت من الخيل حبلاً - والسكيت اسم للعاشر من مراتب خيل السباق - ويجعلون عليه قرْداً، ويعطون للقرد سوطاً، فيركضه تنكيلاً بصاحبه وتعييراً له، قال الوليد بن حصين الكلبي:

إذا أنت لم تسبق وكنت مخلفاً سُبقت إذا لم تدع بالقرد والحبل
وإن كنت حقاً بالسكيت مخلفاً فتورث مولاك المذلة بالنبل
وسمي السكيت لأن صاحبه يسكت حزناً وحياءً ، وقوله فتورث مولاك إلخ :

يشير إلى ما يفعله بعضهم من رمي السكيت بالنبل. ص ٧٨ - ٧٩

- وكانوا إذا ساروا لمحاربة عدو يقودون خيولهم ليريحوها ويركبون إبلهم ،
فإذا قربوا من عدوهم نزلوا عن إبلهم إلى خيلهم ، ثم أغاروا. ص ٧٩
- وكانت الخيل أعظم عددهم في الحروب ، وعليها مدار أمرهم ، وبها
يجولون في كرههم وفرهم ، قال طرفة بن العبد :

وُنُكِرُ الخيلَ في أدبارها يوم لا يعطف إلا ذو كرم
ص ٧٩

- وكانوا يستحبون إناث الخيل في الغارات والبيات ولما خفي من أمور الحرب ،
وكانوا يستحبون فحول الخيل في الصفوف ، والحضور ، والسير ، والعسكر ، ولما
ظهر من أمور الحرب ، وكانوا يستحبون خصيان الخيل في الكمين والطلائع ؛ لأنها
أصبر وأبقى في الجهد. ص ٧٩

- وكان أشراف العرب يخدمون الخيل بأنفسهم لا يتكلون على أحد سواهم.
ومن الحكم : ثلاثة لا ينبغي لأحد أن يأنف منهن وإن كان شريفاً أو أميراً : قيامه
عن مجلسه لأبيه ، وخدمته لضييفه ، وقيامه على فرسه .

وكتب سليمان بن هشام بن عبد الملك إلى والده أن فرسي قد ضعف ، فإن رأى
أمير المؤمنين أن يأمر لي بغيره ؟ فكتب إليه والده : إن أمير المؤمنين قد فهم ما ذكرت
من ضعف فرسك ، وظن ذلك من قلة تعهدك له ، فقم عليه بنفسك. ص ٨٠

١٣ _ عادات العرب في الإبل

فمن عادات العرب في الإبل :

_ **تسييب الإبل** : إن البعير إذا أدرك نتاج نتاجه يُسيَّب ، أي يترك لا يركب ، وكذلك الناقة كانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه ، أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت ، والسائبة في القرآن : كان الرجل في الجاهلية إذا قدم من سفر بعيد أو نجته دابته من مشقة أو حرب ، قال : هي سائبة ، وقيل : بل كان ينزع من ظهرها فقارة فتعرف بذلك ، وكانت لا تحلأ عن ماء ولا كلاً ، ولا تركب .

ص ٨١

_ **الصرار والذئار** : وكانوا إذا أرسلوا الحلوبات إلى المرعى ، وخشوا أن ترضع شدوا ضروعها برباط يسمونه صراراً ، فإذا راحت عشياً حُلَّت تلك الأصرة ، وحلبت . ص ٨٢

_ **الناقة الجرباء** : وكانوا يبعدون الناقة الجرباء ، ويفردونها عن الإبل ؛ حتى لا تُجربَها ، ولا تعديها . ص ٨٢

_ وليس شيء أبغض إلى العرب من الجرب ؛ لأنه يعدي ، ومن أمثالهم : (أبغض من الطلياء) والطلياء هي الناقة الجرباء المطلية بالقطران ، ويقال : (أبغض من الجرباء ذات الهناء) . ص ٨٣

_ **ذبح ولد الناقة** : وكانوا إذا أرادوا ذبح ولد الناقة جعل عليه ثوب يغطى به رأسه وظهره كله ما خلا سنامه ، فيرضعها يوماً أو يومين ، ثم يوثق وتنحى عنه أمه حيث تراه ، ثم يؤخذ الثوب فيجعل على حوار آخر فترى أنه ابنها ، وينطلق

بالآخر فيذبح ، ويقال في ذلك ناشغت لفلانة يعني الناقة.ص٨٣
- الصداق من الإبل : وكانوا يدفعون في الصداق إبلاً ، ومن ذلك قولهم :
 ساق إلى المرأة صداقها ، وتلك الإبل يقال لها النافجة قال شاعرهم :

وليس تلادي من وراثة والدي ولا شاد مالي مستفاد النوافج
 وكانوا يقولون : تهنيك النافجة ، فإذا كانوا يدفعون الصداق عيناً وورقاً فلا
 يقال ساق إليها الصداق.ص٨٣

- فظ الإبل : وكانوا يفتظون الإبل فيأخذون ما بقي في كروشها من
 الماء.ص٨٣

- غرز الريش والخرق بأسنمة الإبل : وكانوا إذا ظهرت دبرة بظهر بعير غرزوا
 في سنامه إما قوادم نسر أسود ، وإما خرقة سوداء ؛ لتفزع الغربان فلا تسقط
 عليه ، لأن الغراب مولع بنقر القروح ، وعقرها حتى يبلغ الدأبات^(١).ص٨٥
- الناقة العصبوب : ومن عاداتهم أن الناقة إذا لم تدر شدوا فخذها بعصاب ،
 فعند ذلك تدر.ص٨٥

- توسد ذراع الناقة : وكان المسافر منهم إذا أراد النوم أناخ راحلته ، وتوسد
 أحد ذراعيها ، قال ذو الرمة :

رمى الإدلاج أيسر مرفقيها بأشعث مثل أشلاء اللجام
 ص٨٦

- الضرب على ضرع الناقة : وكانوا يضربون على ضرع الناقة ، لكي تبقى بقية

١- الدأبات : عظام الكاهل.

من لبنها في خلفها، يريدون بذلك تغزيها، قال الحارث بن حلزة في مكارم الأخلاق :

لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج
واصبب لأضيافك ألبانها فإن شر اللبن الوالج

ص ٨٦

_ نحر الفصال : وكانوا في سنة الجذب ينحرون الفصال؛ لئلا ترضع فتضر بالأمهات. ص ٨٧

_ ترويض البكرة : وكانوا إذا أرادوا أن يروضوا البكر الصعب حك الرائص أعلى خطمه _ أنفه _ بجبل ، حتى يؤثر فيه كالوسم ، ثم يجعل عليه حبلاً يقوده به فينقاد ، قال ذو الرمة يصف بعيراً :

كأن جلد الوجه من حرير أملس إلا خطرة الجريـر

الجريـر : الحبل. ص ٨٧ _ ٨٨

_ الناقة المذكرة : وكانوا يتفاخرون بالنوق ، ويرغبون في ركوبها أكثر من الجمال ، ومن أجل ذلك كانوا يبغضون الناقة التي تلد الذكور ، وهو أفظع ما يكون من نتاج العرب ، وأبغضه إليهم. ص ٨٨

_ نحر الناقة : وكانوا إذا أرادوا نحر الناقة ، ضربوا ساقها بالسيف فخرت ، ثم نحروها ، قال أبو طالب بن عبدالمطلب يمدح رجلاً بالكرم :

ضروبٌ بنصل السيف سوقَ سِمَانِها إذا عدموا زاداً فإنك عاقرُ

ص ٨٨

_ الذرع : وكانوا يرسلون مع الوحش جملاً يرعى معها؛ حتى تأنس به ، ولا

تنفر منه ، فإذا أراد مريد أن يصطاد الوحش ، استتر بذلك الجمل حتى إذا دنى الوحش رمى.ص ٨٩

- **حادي الإبل** : وكانوا إذا ساقوا الإبل ، جعلوا من يغني لها ، وهو المسمى بالحادي ، أنشد ابن بري للراجز :

يا زيد زيد اليعملات الذُّبُلُ تطاول الليل عليك فانزل
الذبل : الضوامر ، واليعملات : النوق القوية على العمل.

وإنما أضيف زيد إليها لاشتهاره بالخداء أي الغناء لها عند سيرها ، وقال الجوهري : الحدو : سوق الإبل ، والغناء لها.ص ٨٩

- **تنعيل الإبل** : ومن عادات العرب في الإبل : أنهم كانوا يشدون تحت خفافها قطعاً من الجلود؛ لتقيها الحجارة ، وهو التنعيل المشار إليه في قول كعب ابن زهير رحمته الله :

سمر العجيات يتركن الحصا زيماً ولا يقيها رؤوس الأكم تنعيل
العجيات : عصب الأرساغ ، والزيم بكسر الزاي وفتح الياء : المتفرق : أي أنها لا تحفى في سيرها ، فتفتقر إلى النعل.ص ٩٠

- **الفرسان والركبان** : وكانوا يقاتلون على النجب والهجن من الإبل.ص ٩٠
- **وسم الإبل** : وكانوا يسمون إبلهم بنار الميسم - والميسم حديدة يكوى بها -
قال الراجز :

قد سقيت آبالهم بالنار والنار قد تشفى من الأوار
يعني بالنار : السمة ، يريد أن إبلهم وردت الماء ، فلما رأى أصحابه سمتها

علموا أنها لقوم أعزة؛ فسقوها لذلك. ص ٩٠

١٤ - عادات العرب في الحروب والغزوات

- اشتهرت العرب بين بقية الأمم بمعالجة الحروب وأنواع المقاتلة، وقد انتهت إليهم القوة والشجاعة، كما يشهد بذلك تاريخهم المجيد، وآثارهم الأدبية الخالدة.

فالعرب ليوث الحرب، وأبابة الضيم، ولم يزلوا في أيام جاهليتهم في كروفر، وغارات، ومحاربات، كل ذلك في طلب العزة، وإشادة صروح المجد.
قال شاعرهم:

أدنى الفوارس من يغير لمغنم فاجعل مغارك للمكارم تُكرم
ومن أراد أن يطلع على أخبار حروب العرب وغزواتهم فهو لا غنى له عن
معرفة ما كان لهم فيها من العادات والشعائر، وإن عثر الباحث على شيء منها
لا يخلو من فائدة يزدان بها جيد تاريخ الأمة العربية. ص ٩٢

- نار الحرب: فمن عادات العرب في الحروب: أنهم كانوا إذا أرادوا حرباً
أوقدوا ناراً على جبل؛ ليبلغ الخبر أصحابهم فيأتوهم، فإن جد الأمر أوقدوا
نارين. ص ٩٢

- نحر الجزور: وكانوا ينحرون الجزور إذا أرادوا الغزو، ثم يطبخون لحمها،
ثم يحشون جلد الجزور ويحملونه معهم، يستعينون على السفر، فمتى أرادوا
لحماً أكلوا منه. ص ٩٣

- الاستكثار من النيران والذبح: وكانوا إذا نزلوا منزلاً وهم جيش يريدون

محاربة قوم استكثروا من النيران، وأكثروا من الذبح مخافة أن يحزّروهم حازره
 - الحزر: التقدير والحرص^(١) - بقلة ذبحهم ونيرانهم، فيستدل على العورة منهم.
 ص ٩٣

- لبس الدروع والأقنعة: وكانوا إذا أرادوا القتال لبسوا الدروع، وتكتموا
 بالأسلحة، وتقنعوا حتى لا يعرفوا. ص ٩٤

- التخفيف بالحرب: وكانوا يتخففون للحرب، ويكرهون أن يقتل الرجل،
 وتصيبه طعنة في بطنه، أو ضربة؛ فيخرج منه الطعام؛ فيُعيّر. ص ٩٥
 - الطليعة: وكانوا قبل مناجزة العدو يرسلون من يكشف لهم عنه ويسمى:
 طليعة. ص ٩٥

- حمل الألوية والرايات: وكانوا يقتحمون غمار الحرب حاملين الألوية
 والرايات. ص ٩٦

- الرايات في أطراف الرماح: وكانوا يحملون الرايات في أطراف
 الرماح، ويتركونها حتى تصفّقها الرياح. ص ٩٧

- أمير الجيش: الوازع: وكانوا يجعلون لكل جيش منهم أميراً يأمرهم
 وينهاهم، ويقدم فيهم، ويؤخر، ويسمى وازعاً. ص ٩٩

- علامات الفرسان: وكان الفارس منهم يعلم نفسه بعلامة يعرف بها في
 الحرب. ص ٩٩

- النساء خلف المحاربين: وكانوا إذا حاربوا جعلوا النساء خلفهم، قال عمرو

١ - هكذا في الأصل ولعل الصواب: الخرص.

ابن كلثوم في معلقته :

على آثارنا بيض كرامٍ نحاذر أن تُقسَمَ أو تهونا
ص ١٠١

_ الغارة في الصباح : وكانوا لا يغيرون إلا في الصباح ، ولذلك يقولون : فتیان الصباح؛ ولهذا قالوا: يا صباحاه. ص ١٠١

_ الغارة من كل الجهات : وكانوا إذا أغاروا فرقوا أنفسهم؛ ليأتوا الأعداء من كل الجهات. ص ١٠٢

_ مهاجمة يمين الأعداء : وكانوا يحبون أن يأتوا أعداءهم من شق اليمين ، وذلك لعلمهم بأن طباع الإنسان داعية إلى الهرب من شق الشمال؛ ولذا قال شتيم بن خويد _ بالتصغير فيهما _ :

فجئناهم من أيمن الشق غدوة

ويأتي الشقيّ الحين^(١) من حيث لا يدري

وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها، فاستمل الحضر إلا أخذ عن يساره إذا ترك عزمه ، وسوم طبيعته. ص ١٠٣

_ ترك الرمح في المطعون : وكانوا يتركون الرمح في المطعون؛ ليكون أعنت له. ص ١٠٣

١٥ _ عادات عربية خاصة بالأعراس

_ يقال : العروس للرجل والمرأة _ ما داما في أعراسهما.

١ _ الحين : الموت.

فَجَمَعَ المذكر عروس ، وجمع الأنثى عرائس ، وكل منهما عرس للآخر ، ولا يسميان عروسين إلا أيام البناء.ص ١٠٥

_ ومن أمثال العرب (كاد العروس يكون ملكاً) ويراد ههنا الرجل ، أي : كاد يكون ملكاً لعزته في نفسه وأهله.ص ١٠٥

_ **الصدّاق** : من عادات العرب أنهم كانوا يدفعون الصدّاق إبلاً ، فمن ذلك قولهم : ساق إلى المرأة صدّاقها.ص ١٠٥

_ **العجّاهن** : العجّاهن بالضم : الماشطة إذا لم تفارق العروس حتى يُننى بها ، وتسمى _ أيضاً _ : (المزينة) و (المقينة) من التّقين وهو التّزين ؛ لأنها تزين النساء ، وهي التي يسميها أهل تونس (الحنانة).

ويسميها أهل مصر (البلانة) وأما أهل الشام فما يزالون يسمونها (الماشطة) ويذكرونها في أغانيهم التي يتغنون بها في أعراسهم.ص ١٠٦

_ **الزفاف** : من العادات التي كانت جارية عند الأمة العربية في الأطوار الجاهلية أنهم كانوا إذا زوجوا فتاة وأرادوا زفافها ، تقدم إليها وليها بوصايا تنفعها في حياتها إذا عملت بها ، فمن ذلك حكى أن قيس بن مسعود زوج ابنته من لقيط بن زرارة ، ومما أوصاها به ، قوله :

«واغلبى أحماءك بالخير ، ولا تغلبهم بالشر ، وكوني لزوجك أمة يكن لك عبداً ، وتتبعني من الطيب مواقع أنفه ، واعلمي أن أطيّب طيب النساء : الماء» .

وقد أقر الإسلام هذه العادة الجاهلية ولم يغيرها ؛ وذلك لأنه دين النصيحة ومكارم الأخلاق.

وقد ذكر في كتب الأدب أن أبا الأسود الدؤلي، وهو من التابعين، لما زوج ابنته وأراد تحويلها، قال لها:

«عليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل، وعليك بالطيب، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء».

فقوله إسباغ الوضوء: أي إكماله، وإتمامه، والمبالغة فيه. ص ١٠٦ - ١٠٧
العمرة: العمرة: أن يبنى الرجل على امرأته في أهلها، فإن نقلها إلى أهله فذلك العرس. قاله ابن الأعرابي. ص ١٠٧

الدعاء للمتزوج: ويدعى للمتزوج، فيقال له: بالرفاء والبنين أي بالالتئام، والإنفاق، وجمع الشمل، وحسن الاجتماع: وهو من رفات الثوب إذا ضمنت بعضه إلى بعض، أو من رفوت الرجل: إذا سكتته.
 قال أبو زيد رحمه الله: هو من المرافاة - غير مهموز - وهي الموافقة.
 وتزوج عقيل بن أبي طالب، فقليل له: بالرفاء والبنين.
 فقال: قال رسول الله ﷺ: إذا رفاً أحدكم أخاه، فليقل: على الخير والبركة،
 بارك الله لك، وبارك عليك. ص ١٠٧

١٦ - مجالس العرب في الجاهلية والإسلام

- لقد أعرب كثير من الشعراء عما كان في مجالس العرب من سكون، ووقار، وحسن أدب، ومحادثات تعود على الإنسان بما فيه سعادته وصلاح أمره، فمن ذلك ما أشار إليه زهير بن أبي سلمى في قوله يمدح آل سنان ويذكر مجالسهم:
 إذا جئتهم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل

يقول: هم أهل حلوم وآراء، فمن شهد مجالسهم تحلّم وإن كان جاهلاً.
وقال طرفة بن العبد يمدح قومًا:

يَزْعُونَ الجَهْلَ في مجلسهم وهم أنصارُ ذي الحلم الصمدُ
يزعون: أي يكفون، والجهل: السفه، يعني أن مجالسهم لا يتكلم فيها
بالكلام المنافي للآداب وقوله: وهم أنصارُ ذي الحلم الصمد، الصمد: الذي
يصمد إليه في الحوائج، أي يقصد، يعينون ذا المروءة على مروءته. ص ١٠٨

ـ وقال الآخر يصف مجالس بعض الرؤساء:

إذا انتدى واحتبى بالسيف دان له شوسُ الرجال خضوعَ الجُربِ للطالي
كأنما الطير منهم فوق هامتهم لا خوفَ ظلمٍ ولكن خوفَ إجلالٍ
أراد أن مجالسهم مهيبة، وأن حاضريها يتوقرون ويسكنون، فكأن على
رؤوسهم الطير، وقوله: لا خوف ظلم: أي يخافونه لا خوف ظلم وانتقام،
ولكن خوف جلاله واحتشام. ص ١٠٨

ـ وقال شاعر قديم يمدح رجلاً بالكرم والاحتفاظ بكرامة جلسائه وتوقير
مجلسهم:

فتى مثل ضوء الماء ليس بباخلٍ بخيرٍ ولا مهدٍ ملاماً لباخرٍ
ولا قائلٍ عوراءٍ تؤذي جلساه ولا رافعٍ رأساً بعوراءٍ قائلٍ
العوراء: الكلمة القبيحة، يعني أنه لا يؤذي من يجلس إليه، ولا يسمعه ما
يكره:

ولا مظهرٍ أحدىثةِ السوء معجباً بإعلانها في المجلس المتقابل

الأحدوثة: بالضم ما يتحدث به، يعني أن ممدوحه إذا جلس مع قوم راعى مجالسهم؛ فلا يحدثهم بحديث سيئ كغيبة أو نيمة، أو غير ذلك من الكلام المنافي للآداب والحشمة. ص ١٠٩

ـ وقال الفرزدق يصف مجالس قومه:

وما حلّ من جهلٍ حبا حلمائنا ولا قائل المعروفِ فينا يعنف
وما قام منا قائمٌ في ندينا فينطقُ إلا بالتي هي أعرف
أي إذا نطق منا ناطق في مجلس جماعة عُرف صواب قوله، فلم تردّ
مقالته. ص ١١٠

ـ وقال أبو فراس الحمداني يصف مجلس قومه:

إذا مررتَ بوادٍ جاشَ غاربه فاعقِلْ قلوَصَكَ وانزلْ ذاك وادينَا
وإن وقفتَ بناذٍ لا يطيفُ به أهلُ السفاهة فاجلسْ فهو نادينا
يعني أن مجالسهم لا يُلمُّ بها أهل السفه والطيش، ولا يقربونها. ص ١١١
ـ هذا ولنكتف بما أوردناه في هذا المقال من الأشعار المشتملة على أوصاف
مجالس العرب في الجاهلية والإسلام، والآن نجعل مسك ختامنا الكلام على
مجلس النبي ﷺ ومجالس أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ .
أما مجلس النبي ﷺ فقد وصفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال:
«مجلس حلم، وحياء، وصبر، وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه
الحرم: أي لا تقذف ولا تعاب، وتنشئ فلتاته: أي لا تثبت هفواته.
إذا تكلم ﷺ أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير» .

فقلوه: «كأن على رؤوسهم الطير» هذه عبارة عن سكونهم وإنصاتهم؛ لأن الطير إنما تقع على ساكن، قال الهذلي:

إذا حلت بنو ليث عكاظاً رأيت على رؤوسهم الغرابا

وقال بعض الصحابة: «إنا كنا مع النبي ﷺ وكأن الطير فوق رؤوسنا». أي كأن الطير وقعت فوق رؤوسنا، فنحن نسكن، ولا نتحرك؛ خشية من نفار ذلك الطير.

وفي صفة الصحابة - رضوان الله عليهم - : «كأن على رؤوسهم الطير» أي ساكنون هيبية، ووصفهم بالسكون والوقار، وأنهم لم يكن فيهم خفة وطيش.

ويقال للقوم إذا كانوا هادئين ساكنين: كأنما على رؤوسهم الطير. ص ١١١ - ١١٢

- ومن أمثال العرب في مكارم الأخلاق قولهم في الحليم: إنه لواقع الطير وساكن الريح. ص ١١٢

- وقولهم في الحلماء: كأن على رؤوسهم الطير. ص ١١٢

وأما أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا إذا اجتمعوا، جعلوا يتحدثون بذكر ما سلف لهم من الحروب والوقائع، ويتناشدون الأشعار، ويتمازحون.

وفي حديث بكر بن عبد الله: كان أصحاب محمد يتمازحون، فإذا جاءت الحقائق كانوا هم الرجال. ص ١١٢

- وفي حديث الحسن البصري، قيل له: أكان أصحاب رسول الله ﷺ يمزحون؟ قال: نعم، ويتقارضون، أي يقولون القريض وينشدونه، والقريض هو الشعر. ص ١١٢

- هذا ومن الأنسب أن نذكر هنا ما جرى في أحد مجالس أمير المؤمنين عمر ابن

الخطاب ﷺ وذلك ما رواه ابنه عبدالله ، قال : كنت عند أبي يوماً وعنده نفر من الناس ، فجرى ذكر الشعر ، فقال : من أشعر العرب ؟ فقالوا : فلان وفلان ، فطلع عبدالله بن عباس ، فسلم وجلس ، فقال عمر : قد جاءكم الخبير من أشعر الناس يا عبدالله ؟ قال زهير بن أبي سلمى ، قال فأنشدني مما تستجيد له .

فقال : يا أمير المؤمنين إنه مدح قوماً من غطفان ، يقال لهم بنو سنان ، فقال :
 قومٌ سنانٌ أبوهم حين تنسبهم طابوا وطابَ من الأنجال ما ولدوا
 لو كان يقعدُ فوق الشمس من كرمٍ قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا
 إنسٌ إذا أمنوا جنٌّ إذا فرعوا مرزؤون بها ليلٌ إذا جهدوا
 محسدونَ على ما كان من نعمٍ لا ينزع الله عنهم ما به حُسدوا
 فقال عمر : والله لقد أحسن ، وما أرى هذا المديح يصح إلا لهذا البيت من هاشم لقرابتهم من رسول الله ﷺ فقال ابن عباس : وفقك الله يا أمير المؤمنين ؛ فلم تزل موفقاً. ص ١١٢ - ١١٣
 _ وأما عبدالله بن عباس ﷺ فقد كان يجلس يوماً للتأويل ، ويوماً للفقهِ ، ويوماً للشعر ، ويوماً لأيام العرب .

ومعنى الشعر : أن يذكرها استشهاداً للغة العربية. ص ١١٣
 _ وقال عطاء بن أبي رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، وأعظم خشيةً ، وإن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من واد واسع. ص ١١٣

١٧ - قرع السن كناية عن الندم

- يقال: قرع عليه سنه: ندم.

وقال تأبط شراً، واسمه ثابت بن جابر، من شعراء المفضليات:
لتقرعنَّ عليَّ السنُّ من ندمٍ إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي
ومن أمثال المولدين: (رب كلمة لبست عليها أذني؛ مخافة أن أقرع لها
سني). ص ١١٨

١٨ - الأضياف والضيافة

- هذا تحرير يشتمل على كلمات خاصة بالأضياف، والضيافة، وما له صلة
بذلك:

- **السور:** السور بالضم: الضيافة وهي كلمة فارسية، وقد شرفها النبي ﷺ
عن القاموس وشرحه - قال الشارح: قلت: وهي إشارة إلى الحديث المروي عن
جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «قوموا فقد صنع
جابر سوراً».

قال أبو العباس: وإنما يراد من هذا أن النبي ﷺ تكلم بالفارسية، صنع سوراً
أي طعاماً دعا الناس إليه. ص ١٢٢

- **النُّدْل:** الندل بضمين: خدم الدعوة - عن ابن الأعرابي.

قال الأزهري: سموا نُدلاً لأنهم ينقلون الطعام إلى من حضر الدعوة. ص ١٢٢

- **الصبير:** الصبير كأمير: صبير الخِوان وهو الرقاقة العريضة تبسط تحت ما

يؤكل من الطعام.

ويقال: أكلوا صبير الخوان: وهو الرقاقة التي تبسط تحت الطعام الأساس. ص ١٢٢

- **المرجفان:** المرجفان: الطست والإبريق، لأن لهما صوتاً بنقر أحدهما في الآخر، فكأن ذلك الصوت يرجف أي يخبر بتمام الطعام والحث على القيام. قال أبو بكر الصفار: حضر مجنون بالكوفة قوماً فجلس يأكل، فجعل الغلام يحرك الطست والإبريق، فقال من ذا الذي يرجف بنا قبل انقضاء عملنا، وفي مقامات الحريري: « وإياك واستدناء المرجفين قبل استقلال حمول البين ».

قوله استقلال حمول البين: أي إبل الفراق، ويريد بها الموائد؛ لأنها إذا ارتفعت تفرق أهل المجلس فيقول: إياك أن تُقربها - أي الطست والإبريق - قبل أن ترتفع الموائد؛ فيتهيأ الناس للغسل والانصراف، فإن غسلت الأيدي - والموائد باقية - تُوهَّم أن ثمَّ طعاماً يستأنف أكله. ص ١٢٢ - ١٢٣

- **الحشماء:** الحشماء: الجيران والأضياف، كأنه جمع حشيم ككريم وكرماء. والذي في المحكم: هؤلاء أحشامي أي جيرياني وأضيافي. إذا دعي قوم إلى طعام، فجاءوا أربعة أربعة، قيل: جاؤوا وخزاً وخزاً، فإن جاؤوا عصبه، قيل: جاؤوا أفاجيج.

صاحب العين: مرَّ بنا فائج وليمة فلان، أي قوم مما كان في طعامه. ص ١٢٣

- **الوضيمة:** الوضيمة: القوم ينزلون على القوم وهم قليل، فيحسنون إليهم ويكرمونه. ص ١٢٣

- **الهفيته، الدافة:** قال: وردت هفيته من الناس للذين أقحمتهم السنة. ١٢٤

_ الصرْمُ: الصرْمُ بالكسر: الجماعة من الناس ليسوا بالكثير. ص ١٢٤

_ التكرمة: التكرمة: الوسادة وما يجلس عليه الضيف. ص ١٢٤

_ النزلة: النزلة بالكسر: الضيف _ اللسان.

ويقال: كنا في نزلة فلان _ بالكسر _ أي ضيفته _ مستدرك التاج. ص ١٢٤

_ النزُل: النزُل بضمين: ما هيئ للضيف. ص ١٢٤

_ الأحبش: الأحبش: الذي يأكل طعام الرُّجُل، ويجلس على مائدته، ويزينه.

ص ١٢٤

_ المَرَهَقُ: المَرَهَقُ كمعظم: من يغشاه الناس كثيراً، وتنزل به الأضياف، قال

زهير: يمدح هرم بن سنان:

ومُرَهَّقُ النيران يطعم في الـ لأواءٍ غيرَ مُلْعَنٍ القدر

وقال ابن هرمة:

خيرُ الرجالِ المَرَهَقونَ كما خيرُ تلاعِ البلادِ أوطؤها

ص ١٢٥

_ المقراء: المقراء: هو الرجل الكثير القرى للأضياف.

والمهداء: الرجل الكثير الإهداء. ص ١٢٥

١٩ _ عادات العرب بأمر الأضياف

_ وقال المقنع الكندي من شعراء الحماسة:

يعاتبني في الدَّينِ قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

أسدُّ به ما قد أخلوا وضيّعوا ثغورَ حقوقٍ ما أطاقوا لها سدا

وفي جفنة ما يغلق الباب دونها مكللة لحمًا مدفقة تُردا
 مكللة: أي عليها من اللحم مثل الأكاليل، والدفق: الصب، ويقال: ثريدة
 وثرائد وتُردُّ ثم يخفف فيقال: تُرد. قاله الخطيب (ج ٣: ١٠٠). ص ١٢٦ - ١٢٧
 - وقالت الخنساء ترثي صخرًا:
 يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكره لكل غروب شمس
 وإنما اختصت هذين الوقتين؛ لأن طلوع الشمس يذكرها بغاراته على
 أعدائه، وغروبها يذكرها بإقراءه ضيفانه، فاختصت هذين الوقتين من بين سائر
 الأوقات لهذين المعنيين - المشوق لابن قيم الجوزية ص ١٥٤ - ص ١٢٧
 - وكانوا ينحرون الإبل للأضياف، قال ذو الرمة:
 وإن تعذر بالمحل من ذي ضرورِها إلى الضيف يجرح في عراقِيبها نصلي
 ص ١٢٧

٢٠ - عادات عربية

- نار القرى: ومنها: أنهم كانوا يوقدون ناراً ترفع للسفر، ولمن يلتمس القرى،
 وربما أوقدوها بالعود ونحوه مما يتبخر به؛ ليهتدي إليها العميان.
 وهذه النار من أعظم مفاخر العرب وأشرف مآثرهم.
 والأشعار فيها كثيرة، منها قول الأعشى:
 لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوءِ نارٍ في يفاعٍ يُحرِّقُ
 تشبُّ لمقرورينِ يصطليانها وباتَ على النار الهدى والمحلُّقُ
 قال العسكري: كان هذا البيت يستحسن في صفة نار القرى حتى قال الحطيئة:

متى تأتِه تعشو إلى ضوء ناره تجدُ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدٍ
فعفى عن الأول، هكذا قالوا، قال: وعندي أن الأول أحسن وأعرب.
١-هـ.ص ١٢٩

ـ وقد جمع ابن الرومي نار القرى ونار الحرب في قوله لعبيد الله بن عبد الله ابن
طاهر، حيث قال:

له ناران نارُ قِريٍّ وحربٍ تُرى كلتاها ذاتُ التهابِ
ص ١٢٧

ـ **لعب البنات بالتمثيل:** ومن عاداتهم تمكين بناتهم من اللعب بالتمثيل
الصغار، وإلى ذلك يشير امرؤ القيس بقوله:

وهي إذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب
ومن حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: كنت ألعب مع الجواري بالبنات.
والبنات: التماثيل الصغار يلعب بها الجواري.

ونظراً لما ينتج عن هذه اللعبة من فائدة تعويد البنات وتدريبهن على مباشرة
أعمال البيت وإدارة شؤونه ـ فقد أقرها الإسلام وأباحها لنا. ص ١٣٠

ـ **عادة البيع والشراء:** ومن عاداتهم في البيع والشراء: أن المشتري يبسط يده،
ويصفق براحته على راحة بائعه إذ اشترى منه شيئاً نفيساً.
قال ذو الرمة:

ودوٌ ككف المشتري غير أنه بساطاً لأخماس المراسيل أوسع
الدو: المستوي من الأرض، والبساط: الأرض الواسعة، لأخماس: أي لسير
الأخماس وهو جمع خمس بالكسر، والخمس: ورد الماء في الخماس. ص ١٣٠

- السانح والبارح من الطير: ومنها: أنهم كانوا يتيمنون بالسانح من الطير، وهو ما مر من مياسرك إلى ميامنك.

ويتشاءمون بالبارح وهو بعكس السانح.

ومن أمثالهم: (من لي بالسانح بعد البارح) أي: بالمبارك بعد المشؤوم.
قال الكميت:

ولا أنا ممن يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية أمرّ سليم القرن أم مر أعضب
سليم القرن: الذي يُتيمَّن به، والأعضب: المكسور أحد القرنين، وهو مما يتشاءم به. ص ١٣١

- البناء بالطين والتبن: ومن عاداتهم أنهم يخلطون الطين بالتبن، ويطينون به الجدران. ص ١٣٣

- الجبيرة: ومن عاداتهم مداواة الساق الكسيرة بالجبيرة، وهي العيدان التي تجبر بها العظام.

وقد دل عليه قول أحد شعراء الحماسة:

ضممناكم من غير فقرٍ إليكم كما ضُمَّتِ الساقُ الكسيرَ الجبائرُ
ص ١٣٥

- مد الحاجبين: مد الحاجبين: فعل الإنسان إذا تعجب من شيء.

ومن عاداتهم ذلك يدل عليه قول عبيد بن الأبرص:

ومطّ حاجبيها أن رأتنِي كبرتُ وأنّ قد ابيضّت قروني
ص ١٣٥

- **التوقي من المطر:** ومن عاداتهم توقيهم المطر بثوب من صوف يسمونه «مِمْطراً» .

ص ١٣٥

التشاؤم بالعطاس: ومنها: تشاؤمهم بالعطاس ، قال المسيب بن علس :
أَرْحَلْتُ مِنْ سَلْمَى بِغَيْرِ مَتَاعٍ قَبْلَ الْعِطَاسِ وَدَعْتُهَا بُودَاعٍ
وقوله : قبل العطاس ؛ لأنهم كانوا يتشاءمون منه. ص ١٣٥
- **الحمد لله وحده:** ومما كان جارياً عند الموحدين هو أن السلطان كان يكتب بيده
بخط غليظ في رأس المنشور « الحمد لله وحده » . ص ١٣٦

- **عافي القدر:** ومن عاداتهم في الجذب أن أحدهم إذا استعار قِدرًا رد فيها شيئاً من
طبيخ ، قال مضر بن ربيعي الأسدي :
فَلَا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلِي عَنْ خَلِيقَتِي إِذَا رَدَّ عَافِي الْقِدْرِ مِنْ يَسْتَعِيرُهَا
وعافي القدر: ما يبقى المستعير فيها لمعيرها. ص ١٣٨

- **الإشارة باليد للسلام:** ومما كان جارياً بينهم الإشارة باليد للسلام ، كما هو
مستعمل بين الناس في عصرنا هذا. ص ١٣٨

- **بيع الحصاة:** ومن عاداتهم في الجاهلية أن أحد المتبايعين كان يقول لصاحبه:
بعتك من السلع ما تقع عليه حصاتك إذا رميت بها ، أو بعتك من الأرض إلى حيث
تنتهي حصاتك ، وقد نهى الإسلام عن ذلك لما فيه من الغرر والجهالة. ص ١٣٩
- **بيع الفرس نقداً:** وكانوا لكرامة الفرس عندهم ونفاستهم بها ، لا يبيعونها إلا
بثمن معجل .

ومن أمثالهم في ذلك قولهم : (النقد عند الحافر) أي عند بيع ذات الحافر. ص ١٣٩

- **أهل الله** : وكانوا يترافدون فيشترون الجزر والكعك والسويق ، ويطعمون الحاج ويقولون : نحن أهل الله وجيران بيته ، والحاج وفد الله وضيّفانه ، فنحن أولى بقِراهم.ص ١٣٩

- **دية القتيل** : ومن عاداتهم في الجاهلية إذا يقتل الرجل من القبيلة ، فيطالب القتال بدمه ، فتجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية مكملة ويسألونهم العفو وقبول الدية ، فإن كان أولياؤه ذوي قوة أبوا ذلك ، وإلا قالوا لهم : إن بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي ، فيقول الآخرون : ما علامتكم؟ فيقولون : نأخذ سهماً فنرمي به نحو السماء ، فإن رجع إلينا مضرّجاً دماً فقد نهينا عن أخذ الدية وإن رجع كما صعد فقد أمرنا بأخذها.

قال أبو المكارم وغيره : فما رجع هذا السهم قط إلا نقياً ، ولكنهم لهم في هذا المقال عذراً عند الجهال.

وقال الصاغانى في العباب : إن أولياء المقتول يمسخون لحاهم ، إذا رجع السهم نقياً ، ويصالحون على الدية ، وكان مسح اللحي علامة على الصلح.

وقال الشاعر :

يا ليتني في القوم إذ مسحوا اللحي

ص ١٣٩-١٤٠

- **سمر الليل** : وكانوا يسمرون بالليل ، أي يتحدثون ، فإذا صاحت الديكة تفرقوا ولذلك قالوا في أمثالهم : (أثقل من الزواقي).

ذو الزواقي : الديكة ، لأنها إذا صاحت بسحر تصرف السمار والأحباب.

ص ١٤٠

_ الشهر الأصم : ومن عاداتهم أنهم كانوا يكفون عن الحرب في شهر رجب؛ تعظيماً له ويسمونه الشهر الأصم؛ لأنه لا ينادى فيه بالثارات، ولا يسمع فيه صهيل الخيل، وصليل السيوف.

وكانوا إذا دخل رجب، نزعوا أسنة الرماح ونصال السهام؛ إبطالاً للقتال فيه، وقطعاً لأسباب الفتن لحرمته. ص ١٤٠ - ١٤١

_ الحض على الصلح والخير: ومن عاداتهم أن الرجل منهم كان يقوم في المجلس فيحض على الخير ويصلح بين الناس. ص ١٤١

_ ثالثة الأثافي: وكانوا إذا نزلوا بإزاء جبل جعلوا للقدر حجرين، وجعلوا أصل الجبل الحجر الثالث. ص ١٤١

_ وضع العمامة: وكان العرب يتلثمون من العمامة؛ لأجل حر الشمس، وإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا للثام، قال شاعرهم:

أنا ابنُ جلا وطلاعُ الثنايا متى أضَعَ العمامة تعرفوني
أي متى يزيل فضلها عن وجهه. ص ١٤١

_ الطلاق في الجاهلية: من عاداتهم أن الطلاق كان عندهم في الجاهلية ثلاثاً، دل عليه قول الأعشى الأكبر، وقد تزوج امرأة فلم يرضها، ولم يستحسن خلقها، فطلقها، وقال:

أيا جارتني بيني فإنك طالقة كذاك أمورُ الناس غادرٌ وطارقةٌ
وبيني فإن البين خيرٌ من العصا وألا تري لي فوق رأسك بارقةٌ
وما ذاك من جُرمٍ عظيمٍ جَنَيْتِهِ ولا أن تكوني جِئْتِ فينا ببائقةٌ

وبيني حصانُ الجسم غيرُ ذميمةٍ وموموقة فينا كذاك ووامقةُ
البائقة : الجريمة. موموقة : معزوزة ومحبوبة.

فبهذه الأبيات استدل بعضهم على أن الطلاق في الجاهلية كان ثلاثاً؛ وذلك
لأن الشاعر كرر لفظ «بيني» في ثلاثة أبيات. ص ١٤٣

ـ **الاحتباء :** ومن عاداتهم الاحتباء : وهو أن يضم الإنسان رجله على بطنه
بثوب ويجمعهما به مع ظهره، ويشده عليهما، وقد يكون الاحتباء باليدين
عوض الثوب. ص ١٤٣

ثامناً: نقولات مختارة من كتاب:

الحديقة تأليف العلامة محب الدين الخطيب ١٣٠٣-١٣٨٩هـ

«تعريف بالمؤلف»: هو الأديب الكبير والكاتب الإسلامي الشهير الشيخ العلامة محب الدين الخطيب بن أبي الفتح محمد عبد القادر صالح الخطيب. ولد بدمشق عام ١٣٠٣هـ، وتعلم بالإستانة، وحضر إلى القاهرة، وعمل في جريدة المؤيد، ثم قصد العراق، فاعتقله الإنجليز سبعة أشهر، ثم ذهب إلى مكة المكرمة عند إعلان الثورة العربية ١٩١٦م، فحكم عليه الأتراك بالإعدام غيابياً، ثم استقر في مصر سنة ١٩٢٠م، وعمل محرراً للأهرام، وأنشأ مجلتي الزهراء، والفتح، وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها. وقد عرف بغيرته الإسلامية، وكتاباته البارة، ومعالجته لكثير من القضايا الأخلاقية، والعقدية، واللغوية وغيرها. كان من أكابر الكتاب الإسلاميين في القرن الرابع عشر، حيث مارس الكتابة في سن مبكرة، وحرص على نشر الفضيلة، ومقاومة دعاة التغريب والرديلة. له مؤلفات عديدة، منها كتاب «الخطوط العريضة»، وكتاب «مع الرعيل الأول».

ومن كتبه، ما نحن بصددده وهو كتاب الحديقة. وكان رحمته الله ذا علاقات كثيرة، وصدقات متينة مع أكثر علماء وأدباء عصره. توفي رحمته الله عام ١٣٨٩هـ عن ست وثمانين سنة.

«تعريف بالكتاب»: كتاب الحديقة يعرف من مسماه، وهو كما قال مؤلفه: «مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة، وتهذيب قوي»

وقد قامت فكرة هذا الكتاب لدى المؤلف عام ١٣٤٠هـ حيث كان يجمع ما يروقه من مقالات، أو حكم، أو قصائد، أو مواقف سواء مما يقرؤه في الصحف، أو في كتب التراث أو في غيرها.

كما أن الكتاب يحتوي على مقالات للمؤلف.

وكان يُخرج ما يجتمع لديه من ذلك ما بين الفينة والأخرى حتى بلغت أجزاء الكتاب أربعة عشر جزءاً أولها عام ١٣٤٠هـ، وآخرها طبع بعد وفاته بعدة أشهر.

وهذه الأجزاء حديقة وارفة الظلال، دانية القطوف، تجد فيها الحكمة، والموعظة الحسنة، والطرفة النادرة والساخرة، والقصيدة الرائعة، والمقالة الرائقة، وفيها حديث عن عزة الإسلام، وأقوال المنصفين فيه من غير أهله، وفيه تطرق لقضايا المرأة وما يحاك حولها، وفيه تمجيد لهذه الأمة وسلفها، ولغتها.

وبالجملة فهو كاسمه حديقة مليئة بما لذ وطاب.

_ «النقول المتقاة» :

١- هدية

إلى الرجل المجهول

إلى الرجل الهادئ الثابت البصير، الذي لا يؤلمه الفشل، ولا يبطره الفوز.
إلى الرجل النزيه العزيز المتواضع، الذي لا يغره المجد العاجل، ولا يفتنه
التنافس في سبيل الظهور.
إلى الرجل الذي يستطيع أن يذيب شهوته في مصلحة جامعته^(١)، وأن يحتفظ
بقواه لساعات الشدائد.

إلى الرجل الذي يحسن الوقوف في مواقف الشجاعة والإقدام، كما يحسن
الوقوف في مواقف الحذر والحيلة.

إلى الرجل كبير النفس الذي - إذا وجه وجهه نحو المطمح - يمر بالصغائر فلا
تعوقه عن مواصلة السير حتى يبلغ الغاية.

إلى هذا الرجل المجهول أهدي هذا الجزء من الحديقة. ١/٧.

٢- مرض حب الشهرة

إن الذي يَكِلُ إلى الناس تقدير قيمته يجعلونه سلعة يتراوح سعرها بتراوحهم بين
الحاجة إليها والاستغناء عنها.

والطريقة المثلى أن يقوم لنفسه قيمتها، فإن المرء - كما يقول بعضهم - يساوي
القيمة التي يضعها لنفسه، ذلك خيرٌ من أن يطرحها في المزاد على ألسنة الناس.

عباس العقاد. ١٠/٧.

١ - يعني : أُمته.

٣- الزوجة

قال أميلو: إن القلب يدفع طالب الزواج إلى الحسناء، والمصلحة تدفعه إلى الدميمة، والعقل وحده يسوقه إلى المرأة الفاضلة. ٧١/٧.

٤- السفور بعد الحجاب

قل لمن بعد حجابٍ سَفَرْتُ أبهذا يأمر الغيدَ الشرف؟
أسفوراً والحيا يحظره وتُقى الله وآدابُ السلف!
ليست المرأة إلا درّة أيكون الدرُّ إلا في الصدف؟
أمين ناصر الدين. ٧٤/٧.

٥- الرجولة في نظر المتنبّي

وما العشقُ إلا غرّةً وطماعةٌ يُعرضُ قلبٌ نفسه فيُصابُ
وللخود مني ساعةٌ ثم بيننا فلاةٌ إلى غير اللقاء تُجابُ
وللسر مني موضعٌ لا يناله صديقٌ ولا يُفضي إليه شرابُ
وغيرُ فؤادي للغواني رَمِيّةٌ وغيرُ بناني للرخاخ ركابُ
أعزُّ مكان في الدُّنَى سرجُ سابحٍ وخيرُ جليس في الزمان كتابُ
١٩٧/٧.

٦- الاعتدال والبساطة

قال شارل وانير: من شاء أن يربي أبناءه على مبادئ الحرية فلينفث فيهم من روح الاعتدال والبساطة، ولا يخش تأثير ذلك في السعادة؛ فإن الاعتدال من أسباب الحصول عليها لا من الوسائل المؤدية إلى الشقاء والنكد. ٢٤/٨.

٧- الصابر العظيم

الأشقياء في الدنيا كثير، وأعظمهم شقاءً ذلك الحزين الصابر الذي قضت عليه ضرورة من ضرورات الحياة أن يهبط بآلامه وأحزانه إلى قرارة نفسه، فيودعها هناك، ثم يغلق دونها باباً من الصمت والكتمان، ثم يصعد إلى الناس بأشَّ الوجه، باسم الثغر، متطلقاً متهللاً، كأنه لا يحمل بين جنبيه همماً ولا كمداً^(١).

مصطفى لطفي المنفلوطي. ٣٧/٨.

٨- من اعترافاتهم

- يقول القس إسحاق تيلر رئيس الكنيسة الإنجليزية: «الإسلام ينشر المدينة التي تعلم الإنسان ما لم يعلم، والتي تقول بالاحتشام في الملبس، وتأمّر بالنظافة، والاستقامة، وعزة النفس؛ فمنافع الإسلام لا ريب فيها، وفوائده من أعظم أركان المدينة ومبانيها».

- قال واشنطن أرفنج: «القرآن قوانين زكية سنية».

- قال جيبون: «القرآن مسلّم به من حدود الايمانوس الاطلانتيكي إلى نهر الكانج بأنه الدستور الأساسي ليس لأصول الدين فقط، بل للأحكام الجنائية والمدينة، وللشرائع التي عليها مدار حياة نظام النوع الإنساني وترتيب شؤونه».

١- ينطبق على هذا قول الحكيم الذي قيل: إنه أحكم بيت قالته العرب:

ولربما ابتسم الكريم من الأذى وفؤاده من حرّه يتأوه

- قال غوستاف لوبون: «إن العرب هم سبب انتشار المدنية ببلاد أوربا» .
٨٠/٨.

٩- ملك القلوب

قدم هارون الرشيد الرقة؛ فانجفل الناس خلف عبدالله بن المبارك، فقالت أم ولدٍ لهارون كانت مشرفة على ذلك: من هذا؟ فقالوا لها: عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبدالله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك! لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرطٍ وأعوان. ١٢٩/٨.

١٠- السعادة قريبة التناول

- قال السر تشارلس ويفلد، الذي كان محافظ لندن:
- انشد راحة البال، وتذكر أن أثنى الأشياء في العالم لا ثمن له.
 - ادرس صحتك واعن بها: بالرياضة، والهواء الطلق، والنور، والطعام البسيط، وكل هذه أشياء في متناول يدك.
 - لا تتأخر في الزواج.
 - الإفراط في الحذر يزيل من الحياة بهجتها.
 - احتفظ بصدقة أحبائك وأعزائك، وتذكر قيمتها على الدوام.
 - لا تستصغر دخلك، وتذكر أن آلافاً من الناس يعدون دخلك ثروة.
 - ادفع ثمن كل ما تشتريه، ولا تستدن فإن الدين شقاء.
 - تذكر في عملك أن للدرس والاجتهاد قيمة.
 - اتقن عملك واعرف تفاصيله.

- إذا كانت لك هموم خاصة بعملك فأقصرُها على ساعات العمل ، واجعل عقلك طليقاً من قيودها وقت الفراغ.
- لا تسأل نفسك «هل أنت سعيد» بل اعمل ، وروّح عن نفسك ، وأحبّ أصدقاءك ، واعمَل عملك جهد طاقتك في نزاهة. ١٧١/٩-١٧٢.

١١- سبيل النجاح في نظر فوردي

- النظافة.
- الثبّت ، والتدقيق.
- استخدام المرء كل ما لديه من القوى.
- ثقة المرء بمقدرته على إنجاز ما تصدّى له.
- أن لا ينفق المال إلا في الوجوه المجدية والصالحة. ١٧٢/٩.

١٢- العمل رياضة العقل

من تفكير آرثر برزباين :

- إن أعظم خطر ترتكبه هو إهمالك العمل المفروض عليك لمجرد تصوّرِكَ (أنك تعمل لمصلحة سواك فلا يجب أن تعمل كثيراً).
- ولكن اذكر أنّ كلّ أمانة تبديها في عملك هي خدمة لذاتك ، أنت تعمل لنفسك ، إنك إذا كنت أميناً في عملك المأجور فإنما تخدم نفسك قبل أن تخدم رئيسك ، يوجد شيءٌ واحد فقط يفيدك ، ويحسن حالك ويعليك ويرفع مقامك ، وذلك الشيء الوحيد هو سعيك واجتهادك.
- أنت تبدأ حياتك ولك قوى عقلية معلومة ، وقوى جسدية معيّنة ، تلك

القوى العقلية والجسدية لا بد لها من المصير إلى إحدى الحالتين :
 إما أن ترتقي وتزداد ، وإما أن تنحط وتضعف ، ومصير قواك هذه متوقف
 عليك ، فإما إلى الارتقاء ، وإما إلى الانحطاط .
 كل عمل تعمله يفيد مهما كان تافهاً ، ولا يفيدك أن تهمل أي عمل توليته ؛
 فإنك إما أن لا تتولاه ، وإما أن تتولاه فتحسن عمله .
 قد تعتمد إلى التكاسل ظناً منك أنك تتمتع براحة الكسل على حساب الرجل
 الذي يستخدمك ، وهذا الظن يدل على قلة أمانتك ، وهو في الوقت نفسه دليل
 الحماقة . ٢١٢/٩ - ٢١٣ .

- مرّن عقلك بواسطة العمل مهما كان نوع ذلك العمل ، راجع تواريخ
 الرجال الذين نجحوا من قبل تجد أنهم أحسنوا كل عمل وسّد إليهم . ٢١٥/٩ .
- اعمل بقدر ما تستطيع الآن ، ولا تحمّل نفسك ما لا تطيق . ٢١٦/٩ .
- العمل وحده لا يكفي ، بل لا بد معه من الاجتهاد والأمانة . ٢١٦/٩ .
- قد لا تدرك منزلة سامية ، ولكن ما دمت أميناً في عملك فأنت ضامنٌ لنفسك
 النجاة من الفشل ، والبعد عن السقوط في الخمول . ٢١٦/٩ - ٢١٧ .
- إذا شئت أن تصلح العالم فابدأ بإصلاح نفسك ؛ لأن العالم مؤلف من أفراد
 أنت واحد منهم . ٢١٧/٩ .

١٣ - من أقوال شوقي

- جثني بالنّمر العاقل أجثك بالمستبد العادل . ١٢٨/١١ .
- ثقة العاطفة شهر ، وثقة العقل دهر . ١٢٨/١١ .
- من أخلّ بنفسه في السر أخلّت به في العلانية . ١٢٨/١١ .

- الإنسان لولا العقل عجماء ، ولولا القلب صخرة صماء. ١٢٨/١١.
- اثنان في النار دنيا وأخرى : الحاقد والحاسد. ١٢٨/١١.
- بين الحلم والخور جسر أدق من الصراط. ١٢٨/١١.
- يستريح النائم من قيود الحياة ، كما يتروح السجين ساعة في فناء السجن. ١٢٨/١١.

- هلك أمة تحيا بفرد ، وتموت بفرد. ١٢٨/١١.
- الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الجماعات. ١٢٩/١١.
- يهدم الصدر الضيق ما يبني العقل الواسع. ١٢٩/١١.
- القوي من قوي على نفسه. ١٢٩/١١.
- جلائل الرغائب مخبوءة في كبار الهمم. ١٢٩/١١.

١٤- كلمات للإمام أحمد بن حنبل

- ما شَبَّهْتُ سَنَّ الشباب إلا بشيء كان في كمِّي فسقط. ١٣٠/١١.
- ما قلَّ من الدنيا كان أقلَّ للحساب. ١٣٠/١١.
- التوكل قطع الاستشراف باليأس من الناس. ١٣٠/١١.
- الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى. ١٣٠/١١.
- كلُّ شيءٍ من الخير تهتمُّ به فبادر به قبل أن يُحال بينك وبينه. ١٣٠/١١.
- لا تزال بخير ما نويت الخير. ١٣٠/١١.
- يؤكل الطعام بثلاث : مع الإخوان بالسرور ، ومع الفقراء بالإيثار ، ومع أبناء الدنيا بالمروءة. ١٣٠/١١.
- لو أنَّ الدنيا اجتمعت حتى تكون في مقدار لقمة ، ثم أخذها امرؤ مسلم

فوضعها في فم أخيه المسلم لما كان مسرفاً. ١٣٠/١١.

١٥- ذكاء الأعراب

قال أحد عمال الدولة لأعرابي: ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة، فقال له الأعرابي: إن أنباتك بذلك تجعل لي عليك مسألة؟ قال: نعم، فقال الأعرابي:

إن الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال: صدقت، فسل، قال: كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدري: قال: أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك؟. ٢٠٩/١١.

١٦- شمم العرب

دخل عمارة بن حمزة على أمير المؤمنين المنصور وقعد في مجلسه - وكان ذا عزة وثروة ونفس أبيّة - فقام رجل، وقال: مظلوم يا أمير المؤمنين، فقال: من ظلمك؟ قال: عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي، فقال المنصور: يا عمارة قم فاقعد مع خصمك، فقال: يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم، إن كانت الضيعة له فلست أنازعها فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أنزل عن مقام شرفني به أمير المؤمنين لأجل ضيعة. ١٩/١٢.

١٧- من كلام الأحنف بن قيس

- الإنصاف يثبت المودة. ١٠٤/١٢.

- الرفق والأناة محبوبة إلا في ثلاث: تبادر في العمل الصالح، وتعجل إخراج

- ميتك ، وتنكح الكفء أيّمك. ١٠٤/١٢.
- أنصف من نفسك قبل أن يُنتصف منك. ١٠٤/١٢.
 - لا تكوننَّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان. ١٠٥/١٢.
 - قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل. ١٠٥/١٢.
 - العتاب خير من الحقد. ١٠٥/١٢.
 - لأفعى تحكك في جوانب بيتي أحبُّ إليَّ من أيّم قد رددتُ عنها كفواً.
- ١٠٦/١٢.
- لو جلس إليّ مائة ، لأحببتُ أن ألتمس رضا كل واحد بما يسره.
- ١٠٧/١٢.
- جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام؛ فإني أبغض الرجل أن يكون وصافاً لفرجه وبطنه. ١٠٧/١٢.
 - إياك والغضب ، فإنه ممحقة لفؤاد الحكيم. ١٠٧/١٢.

١٨- الرجل

- الرجل بصراحته في القول ، وإخلاصه في العمل. سعد زغلول ١٣٠/١٤.
 - الرجل بأعماله فكلما عظمت كبر مقامه في أعين غيره ، وزادته قيمة.
- مصطفى كامل. ١٣٠/١٤.
- الرجل إذا تكلم كثيراً لا يعمل إلا قليلاً. فيكتور هيكتور. ١٣٠/١٤.
 - الرجل الشجاع هو الذي يعرف أن يصفح. سترين. ١٣٠/١٤.
 - الرجل الذي يعمل لمصلحته فقط لا يستحق الاحترام. ميرابو. ١٣٠/١٤.

- الرجل الذي لا يرضى بالقليل لا يرضيه شيء. ابيقورس. ١٣٠/١٤.

١٩- المرأة

- الحياء والصمت أجمل زينات المرأة. ١٣١/١٤.

- إن امرأتي هي التي جعلتني من أنا. بسمارك. ١٣١/١٤.

- امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة. سليمان الحكيم. ١٣١/١٤.

٢٠- من كلام سعيد بن المسيب سيد التابعين

- ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس

من لا ينبغي أن تذكر عيبه. ١٥٣/١٤.

- من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله. ١٥٣/١٤.

- من استغنى بالله افتقر الناس إليه. ١٥٣/١٤.

- ما يئس الشيطان من شيء إلا آتاه من قبل النساء. ١٥٣/١٤.

٢١- من كلام طاووس

- كان طاووس بن كيسان من سادة التابعين في اليمن، مات بمكة حاجاً

فحمل نعشه عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وبعث هشام ابن

عبد الملك ولي عهده حرساً في موكب جنازته، ولم يعلم بموته أحد من الحجاج

إلا سار في موكبه، حتى لقد سقطت قلنسوة عبدالله بن الحسن، وتقطع رداؤه

وهو يحمل النعش؛ لشدة الزحام.

ومن أقوال طاووس:

- لكل شيء غاية، وغاية المرء حسن عقله. ١٨٠/١٤.

- لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج. ١٨٠/١٤.
- حج طاووس فخرج على القافلة التي هو فيها أسد أزعجها طول الليل فلم ينم من أهلها أحد، فلما زال عنهم الخطر ساعة الفجر ناموا كلهم وقام طاووس يصلي ويتعبد، ف قيل له لقد بت الليلة متعباً فهلاً تنام؟ فقال: هذه ساعة ما كنت أحسب أن أحداً ينام عنها ولو أوتي بها مثل جبل أبي قبيس ذهباً. ١٨٣/١٤.

٢٢- خصومة العظماء

- قام رجل في أيام صفين إلى معاوية رضي الله عنه وقال له: اصطنعني فقد قصدتك من عند أجبن الناس وأبخلهم وأكثهم.
- فقال معاوية: من الذي تعنيه؟
- فقال الرجل: علي بن أبي طالب.
- فقال معاوية: كذبت يا فاجر، أمّا الجبن فلم يك قط فيه، وأمّا البخل فلو كان له بيتان بيت من تبر وبيت من تبين لأنفق تبره قبل تبينه، وأمّا اللكن فما رأيت أحداً يخطب أحسن من عليّ إذا خطب، قم قبحك الله.
- ومحا معاوية اسم الرجل من ديوانه. ٢١٠/١٤.

تاسعاً: نقولات مختارة من كتاب:

مقام إبراهيم تأليف محمد طاهر الكردي المكي

نقولات من كتاب: مقام إبراهيم - عليه السلام - ونبذة عن ترجمة إبراهيم الخليل وتاريخ الكعبة المشرفة والمسجد الحرام وفضل مكة.

«تعريف بالمؤلف»: هو محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط بالمعارف العامة بمكة المكرمة ، وكاتب مصحف مكة المكرمة ﷺ . هذا وإن له عدداً من المؤلفات منها ما ذكره في خاتمة الكتاب المذكور حيث ذكر في آخر صفحة من الكتاب عشرين كتاباً من مؤلفاته ، ومنها :

- ١- تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه.
- ٢- مقام إبراهيم - عليه السلام -.
- ٣- تاريخ الخط العربي وآدابه.
- ٤- تحفة العباد في حقوق الزوجين والوالدين والأولاد.
- ٥- حسن الدعاية فيما ورد في الخط وأدوات الكتابة.
- ٦- كراسة الحرمين في تعليم خط الرقعة (سبعة أجزاء).
- ٧- مجموعة الحرمين في تعليم خط النسخ (جزءان).
- ٨- رسالة في الدفاع عن الكتابة العربية في الحروف والحركات.
- ٩- منظومة في صفة بناء الكعبة المعظمة.
- ١٠- إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة (شافعي).
- ١١- مختصر المصباح والمختار (في اللغة العربية).
- ١٢- الهندسة المدرسية.

١٣- بدائع الشعر ولطائف الفن.

١٤- المحفوظات الأدبية الممتازة.

١٥- الموعظة الحسنة في عدم اليأس وفي الصبر والتفويض.

١٦- تحفة الحرمين في بدائع الخطوط العربية.

١٧- نفحة الحرمين في تعليم خطي النسخ والثلث.

١٨- عجائب ما رواه التاريخ.

١٩- تراجم من لهم قوة الحافظة.

«تعريف بالكتاب»: هذا الكتاب من الكتب النادرة، وعدد صفحاته ١٦٤

صفحة، وقد طبع طبعته الأولى وهي التي بين أيدينا عام ١٣٦٨هـ- ١٩٤٨م.

وقد طبعته شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر.

وهذا الكتاب واضح من عنوانه، ومع ذلك فقد زاد على ما في العنوان لطائف وملح؛ ولهذا قال في خاتمة الكتاب ص ١٥٣: «لقد فرغت من تأليف هذا الكتاب الوحيد القيم النفيس الفريد في اليوم الثامن من ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وسبع وستين هجرية.

وذلك بمكة المكرمة بحارة الشامية- زادها الله أمناً وأماناً، ورزقاً ورخصاً وعمراناً- فكان اشتغالي به مدة أربعة أشهر وبضعة أيام، وقد سميته (مقام إبراهيم- عليه السلام)- مع أن شطره الأول يتعلق بالكعبة والمسجد الحرام، والشطر الثاني يتعلق بالمقام، لكن لا تعاب الزيادة على العنوان، وإنما يعاب فيه النقصان.

ومن حسن المصادفات أن يتلو طبع هذا الكتاب طبع مصحف مكة المكرمة الذي هو أول مصحف يطبع بها، والذي هو أول مصحف كتبه بيدي- بتوفيق الله

وفضله». ا.هـ.

ومع صغر حجم الكتاب وأن صفحاته ليست بتلك الكثرة إلا أنه احتوى على مباحث كثيرة نفيسة، يتضح ذلك من خلال استعراض فهرس الكتاب، فضلاً عما احتواه، وهذا سرد لما جاء في فهرس الكتاب:

- مقدمة الكتاب.
- صورة المسجد الحرام.
- ما ورد في القرآن في فضل البيت الحرام ومقام إبراهيم عليه السلام.
- أسماء السور وأرقام الآيات التي ورد فيها ذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام.
- صورة كتابة بخط المؤلف.
- نبذة من ترجمة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.
- وفاته ومكان قبره.
- الأنبياء الذين ليسوا من ذريته عليه السلام.
- صورة للكعبة المشرفة وحجر إسماعيل عليه السلام.
- تتمة في ترجمة إبراهيم عليه السلام أيضاً.
- قصة من نزل إلى قبره الشريف وشاهده مع بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- بناء السور حول قبره الشريف وصفته.
- هجرة إبراهيم إلى مكة بابنه إسماعيل وأمه هاجر.
- بناء إبراهيم الكعبة المعظمة.
- سبب ارتفاع الشوارع عن أرض المسجد الحرام، وذكر ما دفن من درجاته.
- فضل الطواف.

- عدد مرّات بناء الكعبة المشرفة.
- شعر في مدح البيت الحرام «لأمر الشعراء شوقي بك».
- صفة بناء الكعبة المعظمة.
- كيفية بناء إبراهيم - عليه السلام -.
- كيفية بناء قريش وسببه.
- كيفية بناء عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - وسببه.
- كيفية بناء الحجاج بن يوسف الثقفي.
- مقدار حجر إسماعيل - عليه السلام -.
- سبب بناء الحجاج الكعبة.
- كيفية عمارة السلطان مراد الرابع.
- بيان ما مرّ من السنين بين كل بناء وبناء.
- رسم الكعبة المعظمة على صفة كل بناء «للمؤلف».
- منظومة في صفة بناء الكعبة المعظمة «للمؤلف».
- مقاييس الكعبة وحدود المطاف بالأمتار.
- تراجم بُناة الكعبة في أدوارها الأربعة.
- ترجمة قريش.
- ترجمة عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما -.
- ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي.
- ترجمة السلطان مراد الرابع.
- اختلاف بنايات الكعبة وتعميرها.
- منع مالك بن أنس هارون الرشيد من هدم الكعبة وبنائها ثانياً، ومنع العلماء

السلطان أحمد من ذلك - أيضاً.

- وجوب تعمير الكعبة إن حدث فيها خراب.
- بقاء الكعبة إلى قيام الساعة.
- خزانة الكعبة.
- وصف أمير الشعراء للكعبة والمسجد الحرام.
- صورة للحجاج وهم في انتظار الصلاة بالمسجد الحرام.
- الحوادث الواقعة في الكعبة والمطاف.
- قصة حكيم بن حزام الذي ولد في الكعبة.
- الثعبان الذي سكن في الكعبة خمسمائة سنة.
- الحية التي طافت بالكعبة.
- الطائر الذي أتى للطواف.
- الجان الذي طاف بالكعبة.
- الجمل الذي طاف بالكعبة.
- الجمل الذي هرب من صاحبه وجعل يطوف بالكعبة.
- الرجل الذي التصق عضده بعضد امرأة في الطواف.
- من مات في جوف الكعبة من الزحام.
- قصة الصنمين : إساف ونائلة.
- قتل الرجل الذي ضرب الحجر الأسود.
- قتل الشريف أحمد بن محمد في المطاف.
- عدد من قتلهم القرامطة في المسجد الحرام.
- الحادثة التي وقعت في المطاف لحضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية

السعودية.

- بعض ما كان معلقاً في جوف الكعبة.
- حدود الحرم وأنصابه.
- مكة في الجاهلية.
- موضع دار الندوة.
- سور مكة.
- صورة جزء من المسجد الحرام وبعض بيوت مكة وجبالها.
- الطواف في الجاهلية.
- الجلوس في الحِجْر وفي المطاف.
- ترجمة حرب بن أمية.
- حرمة مكة المشرفة.
- فضائل الحرم المكي.
- فضائل الصلاة في المسجد الحرام.
- المراد بالمسجد الحرام.
- صورة للمسجد الحرام والناس فيه ساجدون في الصلاة.
- حدود المسجد الحرام وذعره بالأمتار.
- رسم المسجد الحرام.
- الزيادات التي حصلت في المسجد الحرام.
- ما أنفقه المهدي العباسي في عمارته للمسجد الحرام.
- عمارة باب الزيادة وباب القطبي.
- عمارة باب إبراهيم.

- رسم يبين تلك الزيادات التي وقعت في المسجد «للمؤلف» .
- نادرة ظريفة في المحاورة التي وقعت بين أهل مكة وأهل المدينة.
- حمام الحرم المكي.
- صورة لوقوف الحمام بالمسجد الحرام.
- وقوع الحمام على الكعبة المعظمة والكلام في ذلك.
- تنظيف المسجد الحرام من الحمام.
- صورة أخرى للحمام بالمسجد الحرام.
- اقتراح المؤلف في ترحيل الحمام من المسجد.
- مقام إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _.
- سنية الصلاة خلف المقام.
- الحجر الأسود وحجر المقام من أقدم الآثار الإسلامية.
- صفة المقام.
- عبارة الأزرق في ذلك.
- عبارة ابن جبير الأندلسي في رحلته عن المقام.
- عبارة الفاسي في شفاء الغرام.
- عبارة الشيخ عبد الله باسلامة.
- فتح مقصورة مقام إبراهيم _ عليه السلام _ لمؤلف هذا الكتاب بأمر الحكومة.
- صورة مقصورة مقام سيدنا إبراهيم.
- وصف المؤلف للمقام بالتفصيل والتوضيح.
- حجم المقام وقياسه بالسنتيمتر.
- مقدار غوص قدمي سيدنا إبراهيم _ عليه السلام _ في حجر المقام.

- قياس قدمي سيدنا إبراهيم بالسنتيمتر.
- ما كتب على الفضة المحيطة بالمقام.
- صورة مقام سيدنا إبراهيم ورسم قدميه الشريفين « للمؤلف ».
- مقدار طول سيدنا إبراهيم عليه السلام.
- ترجمة أبي جهم القرشي الذي حضر بناء الكعبة مرتين.
- موضع المقام.
- أرجح الأقوال في موضع المقام.
- فضل الحجر الأسود.
- وضع المقام في مكانه الحالي.
- سيل أم نهشل أيام عمر؛ وسيل عام ١٣٦٠هـ.
- فضل عمر بن الخطاب وحسن رأيه في تأخير المقام.
- زيادة عمر عليه السلام في المسجد الحرام.
- أول من وضع الحصى وعمل المماشي في المسجد الحرام.
- ردم عمر بن الخطاب عليه السلام لأعلى مكة جهة المدعى.
- تطويق الحجر الأسود بالذهب والفضة.
- صورة الحجر الأسود وهو مطوق بالفضة وهو عدة قطع.
- صورة المؤلف واضعاً يده على الطوق الفضي للحجر الأسود.
- تطويق المقام بالذهب والفضة.
- وضع المقام في مقصورة.
- عمارة وتجديد مقصورة المقام وسقفها.
- هدم سعود بن عبدالعزيز قبة المقام سنة ١٢٢٥ هجرية.

- كسوة المقام.
- اقتراح المؤلف رفع ستارة المقام ليراه جميع الناس.
- منبر المسجد الحرام.
- ظهور رجلين مدفونين تحت المنبر.
- صورة منبر المسجد الحرام.
- أول من خطب فوق منبر بمكة.
- وجوب صون المقام والمحافظة عليه.
- فوائد وضع المقام في مقصورة.
- سنية استلام الركنين بشرط عدم الأذية.
- حجر إسماعيل وقبره - عليه السلام -.
- رأي المؤلف في دفن إسماعيل بالحجر.
- الرخامة الخضراء التي بداخل الحجر.
- علة وضع الرخامة الخضراء بداخل الحجر وتحت الميزاب.
- الرخامات الصُّفْر التي فوق الحفرة التي عند باب الكعبة.
- تقدير تلك الرخامات وأنها من أبرك الآثار القديمة وأندرها.
- أثنى هدايا الكعبة المعظمة.
- فرش الحجر بالبلاط.
- وضع كسوة على جدار الحجر.
- الحفرة التي عند باب الكعبة.
- أول من غسل الكعبة.
- الرد على من يقول إن القرامطة استبدلوا الحجر الأسود.

- الرد على من يقول إن الحجر الأسود من النيازك.
 - فضل إبراهيم وموسى على الأمة المحمدية.
 - كلمة ختامية للمؤلف.
 - من أقوال مؤلف الكتاب في الحكم والأمثال.
- بعض قصائد من منظوماته.
- والكتاب _ في الجملة _ نفيس في بابه ، لطيف في وفرة مادته ، وإن كان لا يخلو من إيراد الأحاديث الضعيفة ، والروايات الواهية وما إلى ذلك من الملحوظات خصوصاً في شأن الخليل _ عليه السلام _.

_ «النقول المتقاة»: قال ﷺ :

١- ولقد أحصى الشيخ عبدالوهاب النجار ﷺ سور القرآن التي ورد فيها ذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام والآيات الكريمة، وفيما يلي هذا الإحصاء، نقلناه من كتاب أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

رقم مسلسل	السورة	رقم السورة	رقم الآيات
١	البقرة	٢	١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٦٠ ، ٢٥٨
٢	آل عمران	٣	٣٣ ، ٣٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٩٥ ، ٩٧
٣	النساء	٤	٥٤ ، ١٢٥ ، ١٦٣
٤	الأنعام	٦	٧٤ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ١٥١
٥	التوبة	٩	٧٠ ، ١١٤
٦	هود	١١	٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦
٧	يوسف	١٢	٦ ، ٣٨
٨	إبراهيم	١٤	٣٦
٩	الحجر	١٥	٥١
١٠	النحل	١٦	١٢٠ ، ١٢٣
١١	مريم	١٩	٤١ ، ٤٦ ، ٥٨

١٢	الأنبياء	٢١	٥١ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٩
١٣	الحج	٢٢	٢٦ ، ٤٣ ، ٧٨
١٤	الشعراء	٢٦	٦٩
١٥	العنكبوت	٢٩	١٦ ، ٣١
١٦	الأحزاب	٣٣	٧
١٧	الصفاء	٣٧	٨٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩
١٨	ص	٣٨	٤٥
١٩	الشورى	٤٢	١٣
٢٠	الزخرف	٤٣	٢٦
٢١	الذاريات	٥١	٢٤
٢٢	النجم	٥٣	٢٧
٢٣	الحديد	٥٧	٢٦
٢٤	المتحنة	٦٠	٤
٢٥	الأعلى	٨٧	١٩

ص ٨-٩

٢- ويكنى إبراهيم -عليه السلام- أبا الضيفان، قيل إنه ولد بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون، والصحيح أنه ولد ببابل من أرض الكلدانيين، وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء مُعيناً لابن أخيه لوط -عليه السلام-. ص ١٢

٣- ثم إن إبراهيم -عليه السلام- رجع إلى الأرض المقدسة التي كان فيها ومعه

أنعام وعبيد ومال كثير، وصحبته هاجر القبطية المصرية، وكانت زوجته سارة عاقراً لا يولد لها فقالت لإبراهيم: إن الله قد أحرمني الولد؛ فدخل على أمتي هذه لعل الله يرزقك منها ولداً، فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم - عليه السلام - فحملت منه ثم وضعت إسماعيل - عليه السلام - ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة، وذلك قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة، ولما ولد إسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة فخرّ لله ساجداً. ص ١٣

٤- ولقد ابتلى إبراهيم - صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين - بثلاث مصائب كل واحدة أكبر من أختها:

الأولى: أراد ذلك الجبار الكافر اغتصاب زوجته سارة، فعصمها الله - تعالى - منه فرجعت إليه طاهرة نقية منصورة إكراماً له - عليه السلام - فإنه كان يحبها حباً شديداً لدينها، وقرابتها منه، وحسنها الباهر.

الثانية: أمره الله - عز وجل - بذبح ولده فاستسلم لأمر الله هو وابنه، فحين أضجعه كما تضجع الذبائح، وأمر السكين على حلقه لم تقطع شيئاً، فعند ذلك فداه الله - تعالى - برحمته بكبش أبيض أعين أقرن قد رعى في الجنة أربعين خريفاً هبط عليه من ثبير وله ثغاء^(١) فذبحه بمنى؛ فهذا البلاء المبين، وقد ورد ذلك صريحاً في القرآن الكريم.

الثالثة: إلقاءه في النار بسبب مناظرته لأهل بابل الذين كانوا يعبدون الأصنام، وقد كانت مناظرة عقلية مفحمة انتصر بها عليهم حتى رجعوا إلى أنفسهم، وقالوا: إنكم أنتم الظالمون، ثم انقلبوا فقالوا: إنا وجدنا آباءنا لها عابدين، ثم أجمعوا على

١- الثغاء: صوت الشاة والمعز وما شاكلهما، والثاغية: الشاة، والراغية: البعير.

قال في مختار الصحاح، وثبير: جبل بين مكة ومنى، ويرى من منى وهو على يمين الداخل منها إلى مكة، قاله في المصباح المنير.

إحراقه بالنار فرموه فيها فكانت عليه برداً وسلاماً لم يمسه سوء، بل كان على أحسن حال مدة إقامته فيها، والقصة مذكورة في القرآن العظيم. ص ١٣-١٤

٥- وكذلك وقع لإبراهيم -عليه السلام- كثير من الأمور العظيمة المدهشة، منها:
أ- مناظرته مع غرود المذكورة في القرآن حيث يقول الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ...﴾ البقرة: ٢٥٨.

ب- طلبه من الله -تعالى- أن يريه كيف يحيي الموتى كما هو صريح في قوله -تعالى-:
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ البقرة: ٢٦٠.

ج- أنه أول من عمر مكة، وأسكن فيها من ذريته، وبنى بها الكعبة المعظمة؛ قال الله -عز شأنه-: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج: ٢٦-٢٧. ص ١٤-١٥

٦- توفي إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- عن مائة وخمس وسبعين سنة، وقيل: وتسعين سنة، وقيل: عاش مائتي سنة، وتولى دفنه إسماعيل وإسحاق -عليهم الصلاة والسلام- ودفن عند امرأته سارة، وكانت توفيت قبله بقرية (حبرون) بفتح الحاء المهملة ثم موحدة ساكنة، وهي البلدة المعروفة بالخليل اليوم، ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة، فحزن عليها إبراهيم واشترى من رجل من بني حيث، يقال له عفرون بن صخر مغارة بأربعمئة مثقال ودفن فيها سارة هنالك.

ص ١٥

٧- وكان إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- يشبه نبينا محمدًا ﷺ كما ورد ذلك صريحاً

في بعض الأحاديث المذكورة في صحيح مسلم، وأن إبراهيم عليه السلام أول من أضاف الضيف، وأول من رأى الشيب، وأول من قص شاربه، وأول من اختن، وأول من استحدّ، وأول من لبس السراويل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإسلام ثلاثون سهماً، وما ابتلي أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم: ٣٧) فكتب الله له براءة من النار.

وعن ابن عباس أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ (البقرة: ١٢٤) قال ابتلاه الله عز وجل بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد: في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس؛ وفي الجسد: تقليم الأظافر، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط، والبول بالماء. اهـ من تاريخ الطبري. ص ١٥-١٦

٨- كانت صحف إبراهيم أمثالا، ولم نعر مع الأسف الشديد في المراجع التي اطلعنا عليها، والمؤلفات التي رجعنا إليها، واقتبسنا منها على هذه الأمثال كلها؛ وكما كنا نود أن نقرأ ويقرأ الناس صحف إبراهيم، لكن شاء الله أن تحتفي تلك الصحف عن الأنظار؛ لتقدم العهد، وأن تصبح في غير متناول الأيدي. ص ١٨

٩- ولم يرو الرواة من هذه الصحف غير مثالين فقط من تلك الأمثال، وما أظن مؤرخاً أو راوياً جاء بالأمثال كلها وفي ما يلي نص المثالين:

أ- أيها الملك المغرور المبتلى إنني لم أبعثك لتجمع بعضها إلى بعض، ولكن بعثتك لتنصر دعوة المظلوم؛ فإني لا أردّها وإن كانت من كافر.

ب- على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، ويتفكر في صنع الله، وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر، وساعة يخلو

فيها بحاجته من الحلال لا من الحرام في المطعوم والمشروب وغيرهما.
وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن علم
أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. ص ١٨

١٠- بُنيت الكعبة المعظمة إحدى عشرة مرة: بنتها. (١) الملائكة. (٢) ثم آدم.
(٣) ثم شيث. (٤) ثم إبراهيم. (٥) ثم العمالقة. (٦) ثم جرهم. (٧) ثم قصي. (٨)
ثم قريش. (٩) ثم عبدالله بن الزبير. (١٠) ثم الحجاج. (١١) ثم السلطان مراد الرابع
ابن السلطان أحمد من سلاطين آل عثمان، وذلك سنة أربعين وألف هجرية، وقد
نظم بعضهم أسماء هؤلاء فقال:

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم	ورثتهم حسب الذي أخبر الثقة
ملائكة الرحمن، آدم، ابنه	كذاك خليل الله، ثم العمالقة
وجرهم، يتلوهم قصي، قريشهم	كذا ابن الزبير، ثم حجاج للاحقه
ومن بعدهم من آل عثمان قد بنى	«مراد» حماه الله من كل طارقه

ص ٣٣

١١- مقاييس الكعبة وحدود المطاف:

لقد قمنا في شهر رجب عام ١٣٦٧هـ بأخذ أقيسة الكعبة، وما حولها من المطاف
ما عدا ارتفاعها من سطحها للأرض؛ فإننا لم نتمكن من أخذ قياسه، وإنما ذكره
إبراهيم رفعت باشا رحمه الله في كتابه مرآة الحرمين، ولم نر من تعرض قبلنا لحدود المطاف
بالمتر، وإليك بيان كل ذلك في هذا الجدول:

بيان بارتفاع الكعبة وطولها ، وحدود المطاف	ع	س
مقدار ارتفاع الكعبة من الأرض للسماء «كما ذكره صاحب مرآة الحرمين»	١٥	٠٠
مقدار طول الكعبة المعظمة من الجهة الشرقية التي بها الباب «من غير الشاذروان» .	١١	٥٨
مقدار طولها من الجهة الغربية «من غير الشاذروان» .	١١	٩٣
مقدار طولها من الجهة الشامية أي من جهة حجر إسماعيل «من غير الشاذروان» .	١٠	٢٢
مقدار طولها من الجهة اليمانية أي ما بين الركنين «من غير الشاذروان» .	١٠	١٣
مقدار ارتفاع الحجر الأسود عن الأرض (بحيث يمكن لكل إنسان تقبيله بسهولة).	١	٥٠
مقدار ارتفاع باب الكعبة عن الأرض.	٢	٠٠
مقدار طول بابها.	٢	٠٠
مقدار فتحة حجر إسماعيل من الجهة الشرقية.	٢	٦٥
مقدار فتحة حجر إسماعيل من الجهة الغربية.	٢	٥٨
طول ما بين ميزاب الكعبة إلى وسط جدار حجر إسماعيل.	٨	٣٦
طول ما بين شاذروان الكعبة من الجهة الشرقية إلى شبك مقام إبراهيم.	١١	١٠

٠٠	١٢	طول ما بين جدار حجر إسماعيل من وسطه من الجهة الشامية إلى دائر المطاف الذي أمام المقام الحنفي.
٨٠	١٥	طول ما بين شاذروان الكعبة من وسط جدار الجهة اليمانية إلى دائر المطاف الذي أمام المقام الحنبلي.
٨٠	١٥	طول ما بين شاذروان الكعبة من وسط جدار الجهة الغربية إلى دائر المطاف الذي أمام المقام المالكي.

ص ٤٩

١٢- وكان السلطان مراد رحمه الله كثير الإحسان لأهل الحرمين ، وأمر مصر وغيرها من الجهات بإجراء حبوبهم ، وإرسال غلات أوقافهم ، وكان يحثهم بذلك على الدوام .
وكان - أيضاً - كثير الالتفات إلى أخبار الرعية مطلقاً ، وكان كثير البحث عن أحوال ولاية البلدان لا يغفل عنهم بحيث صار الولاية لا يجاوزون حداً .

وفي زمانه وقع السيل العظيم بمكة المشرفة سنة تسع وثلاثين وألف ودخل المسجد الحرام ، وبسببه انهدمت الكعبة المعظمة ، فقام بتعميرها وبنائها السلطان مراد ، وهذا من أعظم مناقبه وأفخر أعماله ، وهو الذي أمر بإبطال القهاوي في جميع مملكه ، ومنع شرب الدخان ، واستعمال النشوق ، وكان يجازي على ذلك ٥٦-٥٧

١٣- ولقد خصَّ الله - تعالى - بيته الحرام بالمهابة والتعظيم ، والإجلال والتكريم ، وأحاطه بالأسرار القدسية ، والأنوار الإلهية ، يقف عنده الزائر خاشعاً خاضعاً ، ويطوف به الجبار ذليلاً متواضعاً ، ويقوم لديه المذنب منكسراً باكياً ، ويبتهل المضطر إلى الله أمامه راجياً داعياً ، فعندها تستجاب الدعوات ، وتقال العثرات ، وتسكب

العبرات. ص ٦١

١٤- بمكة حَمَامٌ مملوك، وَحَمَامٌ غير مملوك: أما الأول فأجناس مختلفة وأشكال متباينة يقتنيه الناس كما في البلدان الأخرى.

وأما الثاني فهو حمام الحرم الذي نعقد له هذا الفصل، وله شكل خاص، وخلقة لا تتغير ولا تتبدل، ولونه واحد لا يختلف، فمن رأسه إلى رقبته شديد الزرقة والبروق، وطرف جناحيه وذنبه أسود، وباقيه أزرق يضرب إلى البياض، وفي جناحيه مما يلي ذنبه خطان أسودان لا يوجدان في غير حمام الحرم فهما له بمثابة «ماركة مسجلة» وشارة خاصة، ويقال لحمام الحرم حمام مكة، وحمام رب البيت، وهو منتشر بالحجاز، وبالأخص بمكة المشرفة؛ فإنها تكاد تكون موطنه ومنبعه.

أما في غير الحجاز فقد يوجد بها نادراً، فقد رأينا منه بمصر قليلاً يسمونه الحمام البري، ورأينا منه في بلد الموصل بالعراق، وهو في غير مكة لا يأوي كثيراً إلى المساجد، وإنما يكون مملوكاً، ويقال: إنه يوجد في بعض جهات الهند من هذا الحمام بعضه مملوك، وبعضه وحشي يصاد. ص ٩٨

١٥- ولقد تكلم بعضهم عن بدء وجود هذا الحمام بمكة، ولكن نرى أن كل ما ذكروه إنما هو من باب الحدس والتخمين؛ فإن الكلام عن بدء وجود أي حيوان لا بدّ من استناده إلى دليل قاطع، وبرهان ساطع؛ حتى لا يتطرق الشك والاحتمال إليه. نعم يمكننا أن نقول: إن الحمام مطلقاً كان موجوداً بمكة أيام الجاهلية. أما كون حمام الحرم متى نشأ بمكة؟ أو متى جاء إليها؟ وهل هو من نسل الحمامتين التي عَشَّشتا على غار ثور حينما اختبأ فيه رسول الله ﷺ مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟ فكل ذلك لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى -.

ولما كان الدين الإسلامي الحنيف منع الصيد في الحرم صار هذا الحمام لا يخاف من الناس بل يقرب منهم، وربما وقع على رأس بعضهم أو كتفه إذا كان في يديه حبّ

يلقيه إليه ، وكان ابن عمر يغشاه الحمام على رحله وطعامه وثيابه ما يطرده ، وإن رجلاً قال لعطاء : أجعل بيضة دجاجة تحت حمام مكة؟

قال : لا ؛ أخشى أن يضر ذلك بيضها ، وقتل غلام من قريش حمامة من حمام الحرم فقال ابن عباس : فيها شاة.

فهذا مما جعل حمام مكة لا يستوحش من الناس ، ويا ليتته ابتعد عنهم بُعد الصقر والغراب ؛ فقد تضرروا منه ضرراً بليغاً ؛ فإنه يدخل عليهم في منازلهم ، ويقع على طعامهم ، ويلوث بذرقه الأرض والفراش ، وكلما طردوه رجع إليهم ما دام يرى عندهم ما يؤكل ، وهو يرى كثيراً في طريق مكة وجدة ، حيث يركب فوق الجمال المحملة بالحنطة والحبوب ، ويخرق أكياسها بمنقاره القوي ، ولا يطير من فوقها حتى يشبع. ص ٩٨-٩٩

١٦- وقد لاحظنا على حمام الحرم بمكة فقط ، جملة أمور ، منها :
أ- أن حمام الحرم لا يألف حماماً من غير جنسه ، ولا يتزاوج منه إلا إذا حبس شخص حمامة من حمام الحرم وحمامة من غيره في قفص مدة طويلة ، وهذا نادر جداً.

ب- حمام الحرم يشارك الحمام المملوك في أكله وشربه إذا وجد إلى ذلك سبيلاً ، بخلاف العكس.

ج- حمام الحرم أشد نهماً ، وأكثر أكلاً من الحمام الآخر ، وإذا طرد حين يأكل فلا يطير سريعاً ، ويرجع حالاً إذا طار.

د- حمام الحرم أعظم نشاطاً ، وأسرع حركة من الحمام المملوك سواء في طيرانه ، وحدة نظره ، وخصامه مع جنسه ، وانقضاضه لالتقاط الحبوب ؛ فلا تفوته الفرصة قط.

هـ - إذا نثر أحد حبوباً في المسجد الحرام أو في أي مكان تجد حمام الحرم يسقط لالتقاطها بالآلاف من غير عدد، ولا تجد بينها حمامة واحدة من غير جنسه.

و- إذا نثر شخص حبوباً أياماً متوالية في مكان مخصوص وفي وقت معلوم فإن حمام الحرم يأتي إلى ذلك المكان في نفس الوقت المحدد على الدوام.

ز- حمام الحرم إذا بنى عشه لبيضه وفراخه لا يبنيه في الخرابات والجبال، وإنما يبنيه في وسط العمران ومنازل الناس، وفوق الأبواب والطاقت وبين الفجوات.

ح - حمام الحرم له شكل خاص، وخلقة ثابتة لا تتغير، ولا تتبدل على مر السنين والأعوام، كما ذكرنا ذلك في أول الكلام.

ط- بهذه الأمور يمتاز حمام الحرم عن غيره، ويشترك معه في الصفات الخاصة بمطلق الحمام، كاتخاذ زوجة واحدة، وغيرته على أنثاه، وهيامه بها، وشوقه وحنينه إليها،... إلخ. ص ٩٩

١٧- غالب الناس يظن أن حمام مكة لا يعلو الكعبة المشرفة حرمة لها، وإن وقع عليها فإنما ذلك للاستشفاء من مرض أصابه.

فهذا الظن في غير محله؛ لأن حمام الحرم قد يقع على الكعبة في النادر كما نشاهده؛ أما غيره من الحمام الأبيض فلا يقع على الكعبة مطلقاً، بل لا يأتي المسجد الحرام على سعته.

والسبب في عدم وقوع الحمام على الكعبة المعظمة بكثرة ما يأتي:

- أ- أن الحمام يتطلب العلو، والكعبة المشرفة بالنسبة لما حولها من البيوت قصيرة.
- ب- جميع الطيور من حمام أو غيره لا يحب الجلوس على سطح مستو ناعم مفروش بالرخام إلا إذا كان فوقه حب فيأكله ويطير، وإنما يحب الجلوس على ما برز من الأخشاب، والأعواد، والحجارة، والشرفات، والأغصان، والحبال الممدودة،

وغيرها من كل ما يمكنه أن يستمسك عليه بمخلبه كما يحب المشي والوقوف على التراب.

والكعبة ليس بها شيء بارز يستمسك عليه، بل إنها مغطاة بالكسوة الحريرية، وسطحها صغير مفروش بالرخام الأملس معرض لحرارة الشمس المحرقة، وليس عليه حبوب، حتى يلتقطها الحمام أما ميزابها فالحمام يقع عليه أحياناً لبروزه.

جـ - الحمام من طبعه أن يدخل في كل فجوة وفي كل خرق بين الشبايك والجدران، وليس في الكعبة شيء من ذلك يجلب الحمام. ص ١٠٠-١٠١

١٨- وأما قولهم إذا شاهدوا حمامة فوق الكعبة: إنها ما وقعت عليها إلا للاستشفاء فهو غير صحيح وغير معقول لما يأتي:

أ- أن جميع الحيوانات لا يعقلون، فكيف نسند إليهم طلب الاستشفاء؟ وأيضاً إنهم غير مكلفين، فكيف نقول: إن الحمام لا يعلو الكعبة حرمة لها؟ ثم من أين لنا أن نحكم بذلك، ونحن لا نفهم لغتها، وهي لا تفهم لغتنا.

ب- لو كان وقوع الحمامة فوق الكعبة للاستشفاء يكون معناه أنها عرفت قدسية الكعبة، وشرف المكان؛ فكيف إذن ترمي ذرقها عليها وعلى كسوتها وعلى أرض المسجد الحرام؟

جـ - لو كانت الحيوانات تعرف حرمة الكعبة فكيف إذن كانت القطط تصيد الحمام من المسجد، ثم تدخل في جوف الكعبة فتأكله، وتتلوث أرضيتها الطاهرة بدمه وريشه، وذلك حينما هدمها السيل سنة ١٠٣٩ هجرية، وقبل أن يشرع السلطان مراد في عمارتها، وقبل أن يجعل أمير مكة يومئذ ستارة من الخشب وغيره حول ما سقط من البيت الشريف مؤقتاً إلى أن تتم عمارته، كما ذكره الغازي في تاريخ إفادة الأنام نقلاً عن رسالة للشيخ محمد علي بن علان الصديقي الشافعي في عمارة البيت

الحرام؟

ولقد روى الإمام الأزرقي: أن الحمام كان يقع على الكعبة فتتناثر حجارته، وذلك حينما احترقت أيام ابن الزبير- رضي الله عنهما-.

فعلم مما ذكرناه أن ما يشاع لدى الناس: بأن حمام الحرم لا يعلو الكعبة المشرفة، وإن علاها فإنما هو للاستشفاء وَهُمْ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، ودعوى لا دليل عليها. ص ١٠١

١٩- لم يتخذ الحمام المسجد الحرام مسكنه ومأواه في صدر الإسلام؛ حيث كان صغيراً، ولم يكن له سور ولا سقف، أما الآن ففي المسجد الحرام من الحمام ما لا يحصى ولا يعد؛ لاتساعه العظيم، ولكثرة ما فيه من الأروقة، والشرفات البارزة، والأعواد الممدودة، والفجوات العديدة.

والذي يغلب على الظن أن الحمام لم يستوطن المسجد الحرام إلا في عهد الدولة العثمانية حيث إنها خصصت له كل عام كمية كبيرة من الحبوب تنثر له في أرض المسجد، ولا يزال الناس إلى اليوم يرمون له الحبوب فيه خصوصاً الحجاج، فأصبح المسجد الحرام مرعى خصباً للحمام فيه الأمن، والطعام، والماء، والسكن.

ومن المؤلم حقاً أن نرى هذا المسجد الأعظم الذي هو أفضل المساجد على الإطلاق، والذي فيه أول بيت وضع للناس، وفيه آيات بينات مقام إبراهيم- ملوثاً بذرق هذا الحمام، ومستقذراً بخثرته النجس في بعض المذاهب، حتى كاد أن يتعذر فيه المشي والصلاة، فتضايق منه الناس، وقد ينبعث من المسجد رائحة كريهة بسبب خثرته إذا جاء مطر قليل. ص ١٠١-١٠٢

٢٠- قال الله- سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة: ١٢٥، قال بعضهم عند هذه الآية: يحتمل أن تكون من تبعيضية أو زائدة في الإثبات على مذهب الأخفش، أو بمعنى في، وكل بعيد؛

والأقرب أنها بمعنى عند هـ.

والمقام هو بفتح الميم من قام يقوم: موضع القيام، وأما المقام بالضم فهو من أقام يقيم.

واختلفوا في المراد بالمقام ف قيل: المسجد كله مقام إبراهيم، وقيل الحرم كله مقام إبراهيم، وقيل: جميع مشاهد الحج كمنى ومزدلفة وعرفة، وقيل: المقام هو الحجر الذي وضعت زوجته إسماعيل تحت قدم إبراهيم عليه السلام حين غسلت رأسه، وقيل: مقام إبراهيم هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة، وكان يرتفع به كلما ارتفع البناء^(١) وإلى هذا أشار صاحب نظم عمود النسب بقوله:

وكلما طال البناء ارتفعاً به المقام في الهوا ورفعا
به القواعد وفيه قدم تشبهها للهاشمي قدم
و حين بالحج الخليل أذنا وفي كلا أذنيه أصبعاً ثنى
أيضاً كأطوال الجبال ارتفعاً به وكل من يحج أسمعا
فهذا القول الأخير هو الصحيح المعول عليه؛ حيث يفهم من الآية أنه مقام مخصوص، وذلك بالنظر إلى الأمر بالصلاة عنده؛ أما بالنظر إلى معناه اللغوي فإنه يصدق بجميع الأماكن التي قام عليها إبراهيم عليه السلام ومن تأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ آل عمران: ٩٦-٩٧ وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾

١- ارتفاع المقام بإبراهيم عليه الصلاة والسلام عند بناء الكعبة وحين أذانه بالحج كان من معجزاته ﷺ فلا غرابة في ذلك.

البقرة: ١٢٥ ظهر له ذلك جلياً.

ويؤيد صحة هذا القول الأخير: ما حدث جابر عن حجة النبي ﷺ قال: «لما طاف النبي -عليه الصلاة والسلام- قال له عمر: هذا مقام أيننا؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذ مصلى؟ فأنزل الله -عز وجل-: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾». .

وفي رواية: «أن رسول الله ﷺ مرّ بالمقام ومعه عمر، فقال: يا رسول الله أليس هذا مقام أيننا إبراهيم؟ قال: بلى؛ قال: أفلا نتخذ مصلى؟ قال: لم أؤمر بذلك، فلم تغب الشمس حتى نزلت الآية».

وفي البخاري عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب: «وافقت ربي في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾... إلخ» الحديث.

وعن جابر أنه قال: «استلم رسول الله ﷺ الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين».

قال ابن كثير في تفسيره: وهذه قطعة من الحديث الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث حاتم بن إسماعيل. ص ١٠٥-١٠٦

٢١- فالخلاصة: أن مقام إبراهيم -عليه السلام- هو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء البيت الحرام لما ارتفع جداره، وكان إسماعيل يناوله الحجارة؛ فيضعها بيده وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه حتى انتهى إلى وجه البيت. ص ١٠٦

٢٢- ولقد كان من معجزات إبراهيم -عليه السلام- أن صار الحجر تحت قدميه رطباً فغاصت فيه قدماه، وقد بقي أثر قدميه ظاهراً فيه من ذلك العصر إلى يومنا هذا

وإن تغير عن هيئته الأصلية بمسح الناس بأيديهم قبل وضع الحجر في المقصورة النحاسية، والعرب تعرف ذلك في جاهليتها، قال أبو طالب^(١) في قصيدته اللامية المشهورة:

وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق لبرّ في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسودّ إذ يمسخونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل
ص ١٠٦-١٠٧

٢٣- ومما هو جدير بالذكر والالتفات: أن العرب في جاهليتها مع عبادتهم الأحجار، وبالأخص حجارة مكة والحرم - لم يسمع عنهم أن أحداً عبد الحجر الأسود، أو حجر المقام مع عظيم احترامهم لهما، ومحافظتهم عليهما. ولقد تأملنا في سر ذلك وسببه، فظهر لنا أن ذلك من عصمة الله - تعالى - فإنهما لو عبدا من دون الله في الجاهلية، ثم جاء الإسلام بتعظيمهما باستلام الركن الأسود، والصلاة خلف المقام - لقال المنافقون وأعداء الدين: إن الإسلام أقر احترام بعض الأصنام، وأنه لم يخلص من شائبة الشرك، ولتمسك بعبادتهما من كان يعبد أحدهما من قبل؛ فلهذا حفظ الله - تعالى - هذين الحجرين الكريمين من أيام إبراهيم - عليه

١- أبو طالب: هو عم النبي ﷺ، وله قصيدة لامية مشهورة قالها حين تحالفت قريش على بني هاشم في أمر النبي - عليه الصلاة والسلام - وأول هذه القصيدة:

ولما رأيت القوم لا ودّ عندهم وقد قطعوا كل العرى والوصائل

السلام- إلى يوم القيامة من عبادة أهل الجاهلية لهما، كما حفظ بيته الحرام من عبادتهما- أيضاً- ولا يخفى أن هذه نقطة دقيقة لا يتنبه لها كل أحد. ص ١٠٧

٢٤- صفة المقام:

- كنا نعتقد أن مقام إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- الموجود في باطن الصندوق الخشبي، والمغطى بستارة حريرية مكتوبة ومنقوشة، والذي يحيط بجوانبه الأربع شباك من الحديد المضروب باللون الأخضر المقابل لباب الكعبة المعظمة- هو حجر كبير لا يمكن أن يحمله أقل من خمسة رجال تقريباً، وكنا نظن أن ما بقي من أثر قدمي خليل الله إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- شيء يسير بقدر ما يظهر أقدام الإنسان في الأرض الترابية.

ولكن جاء الأمر بعكس ما كنا نعتقد ونظنه بعد مشاهدتنا له برؤية العين في السابع والعشرين من شهر شعبان سنة ألف وثلاثمائة وسبع وستين هجرية كما سنبين ذلك-. ص ١٠٨

- إننا لما شرعنا في تأليف كتابنا هذا عن مقام إبراهيم- عليه السلام- وما كان أحد سبقنا إلى مثله من قبل- حَصَلَتْ عندنا رغبة شديدة وميل عظيم إلى مشاهدة نفس المقام الكريم، فالتمسنا فتح مقصورة المقام لنا من حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير المعظم سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل- حفظه الله-، فصدر أمر سموه الكريم بفتح مقصورة مقام إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- الذي هو أمام الكعبة المشرفة للنظر إليه ونكتب عنه الحقيقة بالتفصيل التام خدمة للدين والعلم؛ ليعرف المسلمون حقيقة المقام الكريم الذي هو مستور عن أعينهم فنقول: إنه في صباح يوم الأحد السابع والعشرين من شعبان سنة

ألف وثلاثمائة وسبع وستين هجرية جاء إلى المسجد الحرام السادن الثاني لبيت الله المعظم صاحب السعادة الشيخ عبدالله ابن المرحوم الشيخ عبدالقادر الشيباني صحبة ابنه الفاضل الشيخ عبدالعزيز؛ لغسل الكعبة المشرفة حسب العادة، ولفتح مقام إبراهيم -عليه السلام- لنا، فدخلنا أولاً بيت الله الحرام، وتشرفنا بغسل داخله بالزمزم بعطر، وكان معنا صاحب السعادة الشيخ محمد صالح قزاز ابن المرحوم عبدالرحمن قزاز مدير شؤون الحج، وحضرات الأفاضل الكرام السيد هاشم نائب الحرم رئيس مجلس إدارة الحرم، والشيخ عمر عبدالجبار رئيس شرطة الحرم، والشيخ صالح باخظمة رئيس القسم الإداري بالأمن العام، والسيد عبدالله ابن المرحوم السيد محمد علي الدباغ، والشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد الباز، وبعض الخدمة الخاصة، ثم بعد انتهائنا من غسل الكعبة المعظمة توجه بنا سادنها سعادة الشيخ عبدالله الشيباني المذكور إلى مقصورة مقام إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ففتحها بحضور مندوب رئاسة القضاء الشيخ عبدالعزيز العقيلي، وحضور الشيخ عبدالله ابن المرحوم الشيخ أمين ميرداد، وحضور الجماعة المذكورين، وحضور جمع غفير من أهل مكة والحجاج القادمين إليها.

وبعد تنظيف المقام من الأتربة والغبار دخلت أنا محمد طاهر الكردي المكي الخطاط مؤلف هذا الكتاب إلى داخل الصندوق الذي فيه نفس حجر مقام إبراهيم -عليه السلام- لإجراء البحث الدقيق عليه، ومكثت في داخل الصندوق نحو ساعة ونصف أي تسعين دقيقة تقريباً وحجر المقام الشريف بهيئته بين يدي، ثم طلبت من صديقنا الشيخ عمر عبدالجبار المذكور أن يجلس بجانبني داخل الصندوق؛ ليساعدني في مسك الأوراق وضبط القياسات، فجلس بجواري ملتصقاً بي لضيق الصندوق، وقد جلس أمامنا جمعٌ كثير ومن ذكرنا أسماءهم يشاهدون أبحاثنا الدقيقة حول المقام الكريم.

وإليكم بيان ذلك بالتفصيل التام والتحقيق الكامل بتوفيق الله - تعالى - :
 لقد وجدنا حجر مقام إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - مثبتاً فوق قاعدة صغيرة من الرخام المرمر بقدر قياس نفس المقام الشريف طولاً وعرضاً.
 وأما ارتفاعها فثلاثة عشر سنتيمتراً، وقد استمسك المقام بهذه القاعدة بوساطة الفضة التي تحيط بنفس المقام مع جزء من هذه القاعدة، حتى صار المقام ثابتاً فيها ثبوتاً قوياً بحيث لا يمكن تحريكه قط.

ثم إن هذه القاعدة الصغيرة ثابتة ثبوتاً محكماً جداً في وسط قاعدة كبيرة من الرخام المرمر - أيضاً - تشبه الدكة طول ضلعها من جميع الجهات متر واحد، وارتفاعها من الأرض ستة وثلاثون سنتيمتراً ولون الرخامتين أبيض.

ويحيط بهذه القاعدة الكبيرة صندوق من الخشب كهيئة الهرم الرباعي ارتفاعه نحو القامة، ليس به منافذ مطلقاً سوى الباب الذي يرى منه المقام الكريم، وهو في الجهة الشرقية، وهذا الصندوق ملبس كله من الظاهر بصفائح الفضة مكتوب عليه من الجهة الشرقية فقط ما يأتي: «بسم الله الرحمن الرحيم وبه الهداية - إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ».

كتبه الحافظ إسماعيل الزهدي ادرنوى خوجه، كتبه عام ألف ومائتين وثمان وعشرين.

وباب الصندوق مصفح من الظاهر بالفضة - أيضاً - وقد كتب عليه هذه العبارة: صاحب الخيرات والحسنات سلطان البرين وفتاح الحرمين الغازي السلطان محمود خان بن عبد الحميد خان دام ملكه سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين هجرية.
 والذي يظهر لنا من هذه العبارة: أن الذي أمر بتلييس هذا الصندوق بصفائح

الفضة هو السلطان محمود خان المذكور، وأما الصندوق من الداخل فهو خشب عادي بلونه الطبيعي لا أثر فيه لكتابة أو نقش.

وهذا الصندوق مغطى كله من قمته إلى الأرض بكسوة من الحرير مكتوب فيها بعض آيات قرآنية كتبها مؤلف هذا الكتاب سنة ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين، وصنعت بدار الكسوة بمكة المشرفة في السنة المذكورة، ومن هذه السنة إلى الآن لم تغير الكسوة؛ ثم يحيط بهذا الصندوق الشباك الحديد المضروب باللون الأخضر من الجهات الأربع.

أما مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام: فهو حجر لونه ما بين الصفرة والحمرة، وهو إلى البياض أقرب، ويمكن أن يحمله أضعف الرجال وهو حجر ليس بصوان^(١). وأما حجم حجر المقام الكريم: فهو يشبه المكعب، ارتفاعه عشرون سنتيمتراً، وطول كل ضلع من أضلاعه الثلاثة من جهة سطحه ستة وثلاثون سنتيمتراً وطول ضلعه الرابع ثمانية وثلاثون سنتيمتراً، فيكون مقدار محيطه من جهة السطح مائة وستة وأربعين سنتيمتراً.

وأسفل المقام أوسع بقليل من أعلاه، فيكون مقدار محيطه من جهة القاعدة نحو:

١ - روى الإمام الأزرقي في الجزء الثاني من تاريخه صحيفة ٢٨ أن أمير المؤمنين المهدي حج سنة ستين ومائة فنزل دار الندوة، فجاء عبيد الله بن عثمان بن إبراهيم الحجي بالمقام مقام إبراهيم في ساعة خالية نصف النهار مشتملاً عليه، فقال للحاجب ائذن لي على أمير المؤمنين؛ فإن معي شيئاً لم يدخل به على أحد قبله وهو يسر أمير المؤمنين فأدخله عليه، فكشف عن المقام فسر بذلك وتمسح به، وسكب فيه ماءً، ثم شربه، وقال له: اخرج وأرسل إلى بعض أهله، فشربوا منه، وتمسحوا به، ثم أدخل؛ فاحتمله وردته مكانه وأمر له بجوائز عظيمة، وأقطعه خيفاً بنحلة يقال له ذات القوبع، فباعه من منيرة مولاة المهدي بعد ذلك بسبعة آلاف دينار. اهـ.

مائة وخمسين سنتيمتراً.

وفي هذا الحجر الشريف غاصت قدما خليل الله - تعالى - سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - مقداراً كبيراً إلى نصف ارتفاع الحجر، فعمق إحدى القدمين عشرة سنتيمترات، وعمق الثانية تسعة سنتيمترات، ولم نشاهد أثراً لأصابع القدمين مطلقاً، فقد انمحي من طول الزمن ومسح الناس بأيديهم، وأما موضع العقبين: فلا يتضح إلا لمن دقق النظر وتأمل، وحافة القدمين الملبستين بالفضة أوسع من بطنها من كثرة مسح الناس بأيديهم.

وطول كل واحدة من القدمين من سطح الحجر والفضة سبعة وعشرون سنتيمتراً، وعرض كل واحدة منهما أربعة عشر سنتيمتراً، أما قياسهما من باطن القدمين من أسفل الفضة النازلة فيهما، فطول كل واحدة منهما اثنان وعشرون سنتيمتراً، وعرض كل واحدة منهما أحد عشر سنتيمتراً.

وما بين القدمين فاصل مستدق نحو سنتيمتر واحد، وقد استدق هذا الفاصل من أثر مسح الناس له بأيديهم للتبرك، وكذلك اتسع طول القدمين وعرضهما من أعلاهما بسبب المسح - أيضاً - ومع أنه قد مر على حجر المقام الشريف أكثر من أربعة آلاف سنة فإن معالمة وهيئة القدمين واضحة بينة لم تتغير ولم تتبدل، وتبقى كذلك إلى يوم القيامة، مصداقاً لقوله - تعالى -: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾.

وحجر المقام كله ملبس بالفضة الخالصة، فلا تظهر حقيقة الحجر إلا من باطن حفرة القدمين وجوانبهما، وإن باطنهما غير مستو، بل فيهما بعض نتوءات صغيرة، وقد كتب على الفضة حول القدمين من سطح المقام آية الكرسي بخط الثلث الواضح الجميل، وكتب عليه من الجوانب بخط الثلث - أيضاً - ما يأتي: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾.

ثم كتب بعد ذلك: «أمر بتجديد صحيفة القدم الشريف ابتغاء لمرضاة الله -تعالى- ومحبة لصاحبه مولانا السلطان مصطفى خان ابن السلطان محمد خان دام عزه ونصره سنة ١١١٣ سنة ألف ومائة وثلاثة عشر».

ويوجد على الفضة شيء من النقش، أما ما نزل من الفضة في حفرة القدمين فليس عليه شيء لا من الكتابة ولا من النقش.

ولما كان المقام الشريف ملبساً كله بالفضة، وثابتاً ثبوتاً قوياً لا يتحرك لم يظهر لنا هل فيه شطب وكسر أم لا؟ ونحمد الله -تعالى- أن وفق سلاطين المسلمين وملوكهم للعناية والاهتمام بهذا المقام الإبراهيمي الشريف، ويحق للمسلمين والعرب أن يفخروا بهذا المقام الأثري القديم المقدس. ص ١١٠-١١٤

- والذي نستنتج من رؤيتنا للقدمين الشريفين أن طول سيدنا إبراهيم الخليل -صلوات الله وسلامه عليه- هو كطول الرجل العادي في زماننا، لا بالطويل ولا بالقصير، ولذا كان نبينا محمد يشبه جده إبراهيم -صلى الله وسلم عليهما وعلى جميع الأنبياء والمرسلين-.

فقد ورد في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق عند وصف موسى وإبراهيم عليهما السلام- صريح قول نبينا محمد ﷺ ضمن الأحاديث مراراً، فمنها قال: «ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به... إلخ»، ومنها: «وأنا أشبه ولد إبراهيم به... إلخ»، ومنها: «أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم... إلخ».

ولقد ذكر بعض العلماء: أن قدم نبينا محمد يشبه قدم إبراهيم الخليل -صلوات الله وسلامه عليهما- وإلى ذلك أشار ناظم عمود النسب بقوله:

وكلما طال البناء ارتفعاً به المقام في الهوى ورفعا
 به القواعد وفيه القدم تشبهها للهاشمي قدم
 وهو حق لا شك فيه؛ لما تقدم من الأحاديث الصحيحة، ولما يدل عليه شكل
 القدمين اللتين على المقام الكريم.

وكان أبو جهم بن حذيفة القرشي الذي حضر بناء الكعبة المعظمة مرتين: بناء
 قريش، وبناء ابن الزبير. يقول: ما رأيت شياً كشبه قدم النبي ﷺ بقدم إبراهيم التي
 كنا نجدتها في المقام. ص ١١٦

٢٥- أرجح الأقوال في موضع المقام:

_ لقد ذكرنا هذه الأقوال المتقدمة في موضع المقام بنصها ولفظها من غير تعليق
 عليها، ثم رأينا أن نأتي هنا بأرجح الأقوال على رأينا، وما نيل إليه، فنقول وبالله
 العون والتوفيق:

إذا لا حظت ما تقدم عن حدّ المسجد الحرام قديماً وأن مكان البيت كان ربوة
 مرتفعة عن الأرض ذات الرمال والخصى، وأن إبراهيم -عليه السلام- ما بنى الكعبة
 بالطين ولا بالحصص وإنما ضمها ضمّاً ولم يسقفها، وتصورت أن أهل الجاهلية كانوا
 يجلسون في ظل الكعبة ويقعدون حولها يتذكرون شؤونهم العامة، وأنه لم يكن
 حينئذ للمسجد الحرام على صغره سور ولا حائط حتى بنى عليه عمر بن الخطاب
 جداراً قصيراً بعد أن زاد فيه ووسعه - ظهر لك أن أرجح الأقوال المتقدمة وأقربها إلى
 الصواب هو ما رواه البيهقي في سننه من أن المقام كان في زمن النبي ﷺ وزمن أبي بكر
 ملصقاً بالبيت حتى أخره عمر بن الخطاب، وما ذكره -أيضاً- ابن حجر العسقلاني في
 فتح الباري بأن المقام كان في عهد إبراهيم -عليه السلام- لزق البيت إلى أن أخره عمر

إلى المكان الذي هو فيه الآن ، وما قاله -أيضاً- ابن كثير في تفسيره بأن المقام كان ملصقاً بجدار الكعبة قديماً ، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر.

وكان الخليل -عليه السلام- لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة ، أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك ، وأنه أخره عن جدار الكعبة ، أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ... إلخ كلامه المتقدم وهو كلام حسن جيد للغاية.

وما ذكره ابن كثير -أيضاً- في تفسيره من رواية ابن مردويه أن مقام إبراهيم كان في الكعبة فأخرجه رسول الله ﷺ فألزقه في حائط الكعبة وذلك حينما دخل الكعبة يوم فتح مكة.

ولقد رجحنا هذه الأقوال الأربعة مما تقدم؛ لأن المعقول أن إبراهيم -عليه السلام- لا بد أن يضع الحجر الذي قام عليه في بناء البيت بلزقه وجواره لا أن يضعه بعيداً عن البيت حيثما اتفق وهو ياقوتة من يواقيت الجنة ومقامه الذي كان يقوم عليه ، -وأيضاً- لا بد أن الله -تعالى- أمره بحفظه ، وعدم التفريط فيه؛ حيث يأتي في آخر الزمان خاتم النبيين محمد ﷺ فيؤمر هو وأمتة بالصلاة عنده وقبلتهم البيت المعظم.

ويؤيد كلامنا هذا ما جاء في الجزء الثاني من تاريخ الأزرقى أن إبراهيم -عليه السلام- قام على المقام حينما أذن في الناس بالحج ، فلما فرغ من التأذين أمر بالمقام فوضعه قبله؛ فكان يصلي إليه مستقبل الباب ثم كان إسماعيل بعد يصلي إليه إلى باب الكعبة... إلخ.

فلدى التأمل في هذه النقطة يظهر جلياً أن إبراهيم -عليه السلام- جعل الحجر الذي قام عليه لبناء الكعبة بلصقها ولا يبعده عنها بمسافة أذرع مخصوصة إلا لسبب وأي سبب لذلك في أيامه ، -وأيضاً- أن أهل الجاهلية كانوا ألصقوا المقام بالبيت؛ خيفة السيل بل وضعوه في جوف الكعبة حتى أخرجه رسول الله ﷺ منها ، فألزقه في حائطها

كما تقدم بيان ذلك ، فما الذي يدعو أهل الجاهلية إلى إبعاد ذلك الحجر الأثري المحترم عن الكعبة ووضعه في هذا المحل الذي هو عليه الآن كما في رواية السنجاري المتقدمة ولا أحد منهم يتعبد عنده ، بل لو أبعدوه عن البيت لكان المعنى أنهم لم يعتبروه ولم يحترموه حيث رموه في آخر ساعته عند أبواب بيوتهم المحيطة بالبيت ، وكيف يقع ذلك منهم وهم الذين يعتقدون أنه ذلك الحجر المقدس الذي عليه أثر قدمي إبراهيم الخليل -عليه السلام-؟ وقد قال أبو طالب فيه وفي الحجر الأسود.

وبالحجر المسودّ إذ مسحونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل
فلما جاء الإسلام أكد احترامهما وجعل لهما مغزى خاصاً ، ورمزاً تعبدياً ، وإن كان الحجر الأسود أعظم حرمة من المقام؛ فإنه يمين الله في الأرض ، وإنه يبعث يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بالحق كما ورد ذلك .
وقد تقدم أن الحجر الأسود والمقام هما من ياقوت الجنة ، وفي الأزرقى عن مجاهد أنه قال : يأتي يوم القيامة الركن والمقام كل واحد منهما مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة ١- هـ. ص ١١٩-١٢١

٢٦- زيادة عمر ﷺ في المسجد الحرام :

- لما انتهى عمر بن الخطاب من أمر المقام رأى أن المسجد الحرام لا يسع الناس لكثرة المصلين ، فاشتري الدور الملاصقة للمسجد ، وأدخلها فيه ، وأحاط عليه جداراً ارتفاعه دون القامة ، وجعل فيه أبواباً يدخل الناس منها ، لكنه لم يسقفه ، وإنما سقفه عبدالله بن الزبير لما زاد في المسجد ، ولم يُعرف مقداراً ما سقفه هل كله أم بعضه؟
ثم إن عبدالملك بن مروان رفع جدرانه ، وعمره عمارة حسنة من غير أن يزيد فيه

شيئاً.

ومن أراد الاطلاع على ما وقع من الزيادات في المسجد الحرام فليراجع كتب التاريخ. ص ١٢٣-١٢٤

ـ ومن اللطائف: أن رجلاً سأل عمر بن القيس عن الحصاة يجدها الإنسان في ثوبه أو خفه أو جبهته من حصى المسجد؟ فقال: ارم بها، قال الرجل: زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد، فقال: دعها تصيح حتى ينشق حلقها، فقال الرجل: سبحان الله، ولها خلق؟ قال: فمن أين تصيح؟. ص ١٢٤-١٢٥

٢٧ـ رأى عمر بعد فراغه من أمر المقام أن المسجد الحرام وما حوله عرضة لخطر السيول، وأنه لا بدّ من وضع حاجز في وجه الماء يمنع دخوله، فعمل في هذه السنة ـ أيضاً ـ الردم بأعلى مكة من جهة المدعى، وبناه بالصفائر^(١) والصخور العظام، وكبسه بالتراب والأحجار، فلم يعلّهُ منها شيء كما ذكره أبو الوليد عن جده. وفي سنة اثنتين ومائتين جاء سيل ابن حنظلة فكشف عن بعض أحجار ردم عمر، وشوهدت فيه صخار عظيمة، حتى قال بعضهم: ورأينا فيه صخراً ما رأينا مثله، وكان هذا السيل في خلافة المأمون، وعلى مكة يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي، فسمي السيل سيل ابن حنظلة، وكان سيلاً عظيماً أحاط بالكعبة، وبلغ دون الركن بذراع.

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى قوة ردم عمر رضي الله عنه، ومكثه مائتي سنة لا تعلوه السيول، ولا تحربه، مع أنه كبسه بالتراب والأحجار، لا بالحصّ والنورة، ولا بالأسمنت

١ـ الضفيرة: الحائط بينى في وجه الماء، قاله في المصباح المنير.

والبلاط^(١) ولا بنائه بالآلات الفنية والمقاييس المبتكرة الحديثة ، وإنما بنائه بإخلاص النية والتقوى على أيدي عمّال خير القرون _ رضي الله تعالى عنهم أجمعين _ . ص ١٢٥

٢٨ _ كان المقام في أرض المطاف من أيام إبراهيم _ عليه السلام _ إلى ما بعد الإسلام معرضاً للتلف من تأثير السيول والأمطار والمس واللمس^(٢) ، فلا بد بمرور هذه الأحقاب الطويلة والعصور البعيدة أن تضعف قوة صلابته ، فيصبح رخواً قابلاً للتفتت والتلف خصوصاً وقد أظهر الإسلام فضله ، وازدحم الناس لاستلامه ، وإن لم يؤمروا بذلك ما لم يحفظ في مكان لا تصل إليه الأيدي ؛ لذلك عملت له مقصورة عليها قبة ، ووضعت فوق المقام ؛ فبذلك صار في حرز مكين مأمون العاقبة .

ولقد كان حجر المقام موضوعاً على كرسي ملبس بصفائح الرصاص ، ثم في سنة إحدى وأربعين ومائتين أمر أمير المؤمنين محمد المستنصر بالله بإبدال صفائح الرصاص بصفائح فضة ، كما ذكر ذلك الإمام الأزرق في تاريخه أخبار مكة . ص ١٢٨

٢٩ _ ولم يعرف بالضبط أول من وضع له تابوتاً ، غير أنه قيل : إن أقرب وقت صنع فيه ذلك سنة عشر وثمانمائة ، بمعنى أنه صنعت للمقام مقصورة ثابتة لا تنتقل ولا تتحرك ، وإلا فقد كانت للمقام قبة قبل هذا التاريخ ؛ فقد ذكر ابن جبير الأندلسي في رحلته _ وقد حج سنة خمسمائة وثمانية وسبعين للهجرة _ صفة المقام ، ثم قال : لموضع المقام قبة مصنوعة من حديد موضوعة إلى جانب زمزم ، فإذا جاءت أشهر الحج ،

١ _ البلاط : بفتح الباء معروف ، أما الأسمنت فلم يكن ظهوره إلا في عصرنا ، ويسمونه النورة الإفريقية ؛ لأنه من مخترعات الإفرنج وهو أنعم من الدقيق ، وإذا عجنت به الحجارة والحصى ، ثم وضعت في قالب فإنه يكون هذا الخليط صلباً شديداً متماسكاً مثل الحديد .

٢ _ المس واللمس : تقريباً بمعنى واحد إلا أن الفقهاء قالوا : المس لا يكون إلا بباطن الكف بخلاف اللمس فإنه يكون بأي جزء من البدن .

وكرّث الناس رفعت القبة الخشب ، ووضعت القبة الحديد اـهـ. ص ١٢٩
 ٣٠- أما وضع الكسوة على المقام فالذي يظهر أنه من اختراع دولة آل عثمان؛ فقد كان من عادة سلاطينهم أن يكسوا مقام إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- الذي هو بجوار الكعبة بكسوة سوداء مطرزة بأسلاك الفضة الموهة بالذهب على شكل ستارة باب الكعبة المعظمة، وتوضع هذه الكسوة على التابوت الخشبي الذي هو داخل الشباك الحديد فوق حجر المقام.

وكانت هذه الكسوة تأتي سنوياً مع كسوة الكعبة من مصر زمن الدولة العثمانية، وأحياناً كانت تأتي كسوة المقام في كل خمسين سنة مرة، ثم انقطعت كسوة المقام منذ سنوات عديدة إلى اليوم، والكسوة التي على المقام الآن هي قديمة لها أكثر من سبعة عشر سنة. ص ١٣٠-١٣١

٣١- على أنه يشترط في مسحهما وتقبيلهما عدم حصول الأذية والضرر، فقد روى الأزرقى في تاريخه أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب: «يا عمر إنك رجل قوي، وإنك تؤذي الضعيف؛ فإذا رأيت خلوة فاستلمه، وإلا فكبر وامض».
 وروى فيه -أيضاً- عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقول: إذا وجدت على الركن زحاما فلا تؤذ، ولا تؤذ. ص ١٣٥

٣٢- فينبغي للمسلم أن يكون على بصيرة من أمر دينه القويم، وأن يتبع منهج السلف الصالح الذين مشوا على الصراط المستقيم؛ حتى لا يقع فيما يقع فيه العوام والجهلة.

وإذا أمكنه إرشاد أحد بالتي هي أحسن لم يُحرم من الأجر والثواب؛ فالدال على الخير كفاعله.

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان باللطف واللين كان أسرع إلى القبول

والامثال ، وإذا كان بالعنف والغلظة كان أدعى إلى النفور والعناد ، قال الله - تعالى -
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
النحل : ١٢٥ . ص ١٣٥

٣٣- تكلم كثير من العلماء عن الحفرة التي على يمين باب الكعبة المشرفة التي يبلغ طولها ٢٠٦ سنتيمتر ، وعرضها ١١٢ سنتيمتر ، وعمقها ٢٧ سنتيمتراً .
ونأتي هنا بخلاصة شافية نسأل الله الهداية إلى الصواب .

فقد قيل : إنها المعجن ، عجن فيها إسماعيل - عليه السلام - الطين لبناء البيت الحرام ، فهذا القول غير صحيح وبعيد الاحتمال لأمرين :

الأول : أن إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - ما بنيا الكعبة المشرفة بالطين ولا بالحص ، وإنما رضماها رضماً ولم يسقفاها ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :
« أما والله ما بنياه بقصة ولا مدر^(١) ، ولا كان معهما من الأعوان والأموال ما يسقفانه ، ولكنهما أعلماه ، فطافا به » رواه الأزرق في تاريخه .

الثاني : لو فرض أن إسماعيل كان يعجن الطين للبناء للزم أن يعجنه عند كل جهة من الجهات الأربع للبيت ، حتى لا يحمله ويدور حول البيت فيتعب ، على أن هذا الموضع صغير لا يكفي لعجن الطين الكثير اللازم لبناء البيت الحرام .

فعلم مما ذكرناه بأن ما قيل : إن الحفرة هي معجن إسماعيل - عليه السلام - غير صحيح .

وقيل : إن هذه الحفرة هي مصب لغسيل الكعبة قاله ابن جبير في رحلته ، فهذا القول لا يطابق الحقيقة والواقع كما هو مشاهد عندنا ، ولربما سأل ابن جبير عنها

١- القصة بالفتح : الحص ، والمدربفتحتين : الطين أو التراب المتبلد ، قاله في المصباح المنير .

بعض من لا خبرة له فأفهمه ذلك ، أو رأى بالمصادفة غسل الكعبة وامتلاء الحفرة من الماء فظنها كذلك ، ولو كانت الحفرة لأجل تجمع ماء غسيل الكعبة لكان المعقول أن تجعل عند بابها تحت العتبة.

وبهذه المناسبة نذكر استطراداً أن أول من غسل الكعبة رسول الله ﷺ ، فقد روي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح أمر بلالاً فرقي على ظهر الكعبة ، فأذن بالصلاة ، وقام المسلمون ، وتجردوا في الأزر ، وأخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم ، فغسلوا الكعبة ظهرها وبطنها ، فلم يدعوا أثراً من آثار المشركين إلا محوه وغسلوه -هـ-.

فمن هنا جرت العادة بغسل الكعبة من ذلك التاريخ إلى اليوم ، وهي تغسل في العام مرتين بماء زمزم مضافاً إليه ماء الورد ، ثم يطيبونها بالعطر ، ويبخرونها بالعود والعنبر والند ، وغالباً يكون ذلك بحضور ولاية الأمور ، وكبار رجال الدولة.

وقد تشرفنا بغسلها -ولله الحمد- عام ١٣٦٧ هـ يوم أن فتحوا لنا مقصورة المقام.

وقيل : إن شطر الحفرة الملاصق للكعبة هو موضع مقام إبراهيم -عليه السلام- قبل أن ينقله عمر رضي الله عنه وهو -أيضاً- موضع المقام حينما أخذه سيل أم نهشل إلى أسفل مكة ، فلما جاء عمر من المدينة نقله منه إلى موضعه الآن؛ فهذا القول غير بعيد ، بل هو الصواب ، كما علم ذلك مما سبق في تحقيق موضع المقام.

وقيل : إن الحفرة هي مصلى جبريل بالنبي ﷺ حين فرضت الصلوات الخمس ، وقد ذكر ذلك كثير من العلماء منهم الأزرقى فروى بسنده عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « أمني جبريل عند باب الكعبة مرتين ».

فهذا القول أقرب إلى الصحة ، بل هو الصواب -أيضاً- ويطابق القول المتقدم؛ لأن مقام إبراهيم كان في شطر الحفرة الملاصق للكعبة كما ذكر ، فوافقت صلاتهما عنده

قبل نزول: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى» فكأن صلاة جبريل بالنبي ﷺ هناك إشارة إلى أنه سيؤمر هو وأمته بالصلاة عند المقام، والله - سبحانه وتعالى - أعلم.
ص ١٤٦-١٤٧

٣٤- من المعروف في التاريخ أن أبا طاهر القرمطي وافى مكة في سابع ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وفعل فيها هو وقومه أموراً منكراً، وأمر أبو طاهر جعفر ابن أبي علاج البناء بقلع الحجر الأسود، فقلعه لأربع عشرة خلت من ذي الحجة من السنة المذكورة وذهب به معه إلى بلاد هجر، وبقي موضعه من الكعبة المعظمة خالياً يضع الناس فيه أيديهم للتبرك.

ثم إن سنبر بن الحسن القرمطي وافى مكة بالحجر الأسود سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، فوضعه بيده إلى موضعه من الكعبة وقال: أخذناه بقدر الله ورددناه بمشيئة الله، وذلك يوم النحر من السنة المذكورة... إلخ. ص ١٤٨

٣٥- فبعض المغفلين يظن أن القرامطة استبدلوا الحجر الأسود بحجر آخر حينما ردوه إلى الكعبة، فهذا الظن في غير محله. ص ١٤٨

٣٦- أما موسى الكليم - عليه السلام - : فأحسانه عظيم - أيضاً - على الأمة المحمدية قاطبة؛ حيث طلب من نبينا محمد ﷺ ليلة عرج به واجتمع معه في السماء السادسة أن يراجع ربه - عز وجل - في تخفيف الصلاة عن أمته التي فرضها الله - تعالى - عليهم أولاً، وقال له: إن أمتك لا تطيق ذلك، فلم يزل رسول الله يرجع بين ربه - عز وجل - وبين موسى - عليه السلام - حتى بلغ التخفيف عنا خمس صلوات كل يوم وليلة بعد أن كانت خمسين صلاة. ص ١٥٢

٣٧- فموسى - عليه السلام - قد أحسن إلى جميع المؤمنين والمؤمنات في هذه المسألة إحساناً كبيراً، ووفق فيها أعظم توفيق، كيف لا؟ وهو الذي رأى من أحوال بني

إسرائيل العجب العجاب.

والحق أننا قد وصلنا في هذا الزمان إلى حالة من العجز والتقصير، لا نقدر أن نقوم بأداء هذه الصلوات الخمس حق أدائها، بل تهاون الكثير بها في غير قطرنا حتى تركوها بتاتاً والعياذ بالله؛ فكيف لو لم يخفف الله عنا بفضلته ورحمته؟ فجزى الله موسى وإبراهيم ونبينا عنا ما هو أهله. ص ١٥٢

٣٨- كلمة ختامية :

_ هذا، ولما كنت مشغلاً بالتصنيف، مخالطاً للعلماء أرباب التأليف يمكنني أن أقول: إنني لم أجد أصعب، ولا أتعب، ولا أشغل للإنسان من تأليف الكتب مهما تنوعت واختلفت.

ولئن كان شيء يسرع في ضعف الإنسان وهرمه فذلك الشيء إنما هو الاشتغال بالتأليف وحده، وفي الوقت نفسه تجد المؤلف مع وهنه وضعفه قوياً في معلوماته، راسخاً في دراساته ومراجعاته، فكل شيء ينقص إذا أنفقت منه إلا العلم؛ فكلما أنفقت منه لغيرك بالإفادة زادت معرفتك مهما تكررت منك الإعادة. ص ١٥٣

_ فالاشتغال بالتأليف أو بالفنون الجميلة، هو الشغل الذي لا شغل بعده، والعمل الذي ينقطع إليه المرء وحده، تجده يبحث عن مسألة إذا به يعثر على أخرى ولما يكمل الأولى بعد، تراه يحقق في بحث إذا به يصل إلى غيره؛ لتشعب الكلام، وارتباط بعضه ببعض، وإنه كثيراً ما تطرأ عليه المسائل، وتنكشف له الدقائق وهو يأكل أو يمشي، أو يريد النوم، لذلك يكون المؤلف الخبير بالأحوال لا يخلو عن القلم والورق أتى سار، وحيثما كان؛ ليقيد رؤوس المسائل التي تطرأ على فكره بغتة، حتى إذا ما رجع إلى حالة الاشتغال قتلها بحثاً وأشبعها درساً، تجده يبتعد عن الأهل والولد خوفاً من أن يقطع أحد عليه أفكاره، ينفرد عن الناس بنفسه، وقد يصطفي

شخصاً من شكله وجنسه ، يساعده في البحث والتنقيب ، ويبيض له مسوداته بنظام وترتيب ، وإلى هذا المعنى أشار بعضهم بقوله :

وأطيب أوقاتي من الدهر خلوة يقرّ بها قلبي ويصفو بها ذهني
ويأخذ لي من سورة الفكر نشوة فأخرج من فنّ وأدخل في فنّ
ويفهم ما قد قال عقلي تصوري فنقلي عن أذني وسمعي بها مني
وأسمع من نجوى الدفاتر طرفة أزيل بها همي وأجلو بها حزني
ينادمني قوم لديّ حديثهم فما غاب منهم غير شخصهم عني

ص ١٥٤

_ ولست مبالغاً إن قلت : إنه يقضي الساعات الطوال ، ويسهر غالب الليالي بالاشتغال في المطالعة والكتابة ، لا يسأل عن أكل ولا شرب ، ولا يصغي لحديث أو خبر ، ولا تجد الراحة إلى جسمه سبيلاً ، قد يعتريه الملل ، وتتعب أعصابه ، وهو مع ذلك يتطلب برهاناً ، ويستنبط دليلاً ، وقد يريد النوم فيمتنع عليه لشدة تعب المتواصل لإتمام ما لديه ، فهو لذلك قد يكون مقصراً عن زيارات إخوانه وأحبائه ؛ فإنه من لا يؤدي حقوق نفسه كيف يؤدي حقوق غيره؟ وهو في ذلك معذور مأجور ، وفي عمله مغبوط مشكور. ص ١٥٤

_ مسكين المؤلف ، يشغل حواسه الخمس ، ويصل يومه بالأمس ، ليريح طلاب العلم والفنون ، ولأن يصل في بحثه إلى نتيجة مرضية ، وخلاصة شافية ، وأجوبة سديدة ، أحبّ إليه من الدنيا وما فيها ، وأشد ما يكون فرحاً إذا ما اهتدى إلى حلّ مسألة عويصة كانت مستعصية عليه ، أو أتى ببحث لم يسبقه إليه أحد. ص ١٥٤

_ ومن أعظم نعم الله على المؤلف ، أن يرى عند عزمه على التأليف أنه سهل

ميسور، وأنه لا تمر عليه مدة وجيزة إلا أنجزه وأتمه، فإذا ما ابتداء فيه وظهر جزء منه، تفتق ذهنه عن مسائل لم يحلم بها، وطرأت على باله أبحاث لم يكن يتخيلها، وإذا به في وادٍ متشعب، يرى من الواجب عليه أن يسلكه ويمهده، حتى يخرج للناس بسفرهم في أمس الحاجة إليه.

فلو علم بادئ بدء ما سيلقاه من المشقة والتعب، والصعوبة والنصب لأبعد عن فكره خيال التأليف، وابتعد عن مسالك التكليف، مفضلاً الراحة والهناء على نيل الفخر بالعناء، لكنه حاز الشرف والفخر، وأتته رغماً عنه بعون الله وتوفيقه.

أما ثوابه على عمله وجزاؤه فهذا موكول إلى الله - عز شأنه - فهو الذي لا يضع عند عمله عامل من ذكر أو أنثى، على أنه - سبحانه وتعالى - قد رفع ذكر العلماء، وأعلى شأنهم في الدارين، وحفظهم من التخريف مهما عمروا وتقدموا في سن الشيخوخة.

وأما تقديره ومكافأته في المجتمع الإنساني، فهذا راجع إلى الوسط الذي يعيش فيه، وإلى القوم الذين ينتمي إليهم؛ فعلى قدر مكانتهم في العلم والأدب، وثقافتهم في مختلف الفنون، وخلوهم من المكر والحسد يكون تقديرهم لمنزلته، ومعرفته لمكانته، وأكثر المؤلفين لا يظهر فضلهم إلا بعد الممات.

هذه بعض حالات المشتغلين بالتأليف «ولا ينبئك مثل خبير».

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

عاشراً: نقولات مختارة من كتاب:

عجائب من عصور متفرقة الجزء الأول تأليف محمد بن إبراهيم الشيباني

«تعريف بالمؤلف وبالكتاب»: أما مؤلف الكتاب فهو الشيخ المحقق البحاثة محمد بن إبراهيم الشيباني - حفظه الله - فهو الذي انتقى هذه العجائب وعلق عليها. أما الكتاب فهو صغير الحجم، ويقع في ٩٦ صفحة. وقد جمعه مؤلفه من كتب عديدة في السير والتواريخ وغيرها. وقد قال في مقدمته: «وضعت لك هذا الكتاب الذي انتقيته من جملة الكتب التي تحدثت عن تواريخ الناس والبلدان والملوك والأمراء، سرائهم وضرائهم، أفراحهم وأتراحهم، فيه يطيب السمر، ويستعذب القارئ أبوابه وما فيها من لطيف الخبر، والجيد من حوادث الدهر، نوعت فيه الأخبار وشكلت فيه من المختارات، لترغب النفس في القراءة وتستمر في استعذابه، وتذكر ما كان الناس فيه من أحوال حلوة ومُرّة، وتذكر بأن الرزاق يعطي ويمهل؛ فما على من فهم المراد إلا السير بالدُّلْجَةِ^(١) على مهل، والسلامة من كل خطر، ومن كل عمل غير مدروس ينتج عن العجل والخلل، ويؤدي بعد ذلك بالإنسان إلى سوء المآل والحزن.

ولقد صنعت لموضوعات الكتاب عناوين لأبوابها استنبطتها من الموضوعات نفسها حتى تكون الترجمة لصيقة بالموضوع». ص ٥-٦. والكتاب من منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق في الكويت.

١- الدلجة: الساعة المتأخرة من الليل.

_ «النقول المنتقاة» :

١- استجابة دعاء

يقول ابن الجوزي : ومن الحوادث في هذه السنة (٢٦٢هـ) ما أنبأنا به أبو بكر ابن محمد بن أبي طاهر البزار عن أبي الحسين بن المهدي قال : رأيت بخط بن الفرات حدثنا القاضي أبو الحسن الجرامي حدثني عبدالحالق بن الحسن قال : سمعت أبا عون الفرائضي يقول : خرجت إلى مجلس أحمد بن منصور الزيايدي سنة اثنتين وستين ومائتين ، فلما صرت بطاق الحراني رأيت رجلاً قد أمر بالقبض على امرأة ، وأمره بجرها فقالت له : اتق الله ، فأمر أن تجر ، فلم تزل تناشده الله وهو يأمر بجرها إلى باب القنطرة ، فلما يئست من نفسها رفعت رأسها إلى السماء ثم قالت : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ الزمر: ٤٦ إن كان هذا الرجل يظلمني فخذ.

قال أبو عون؛ فوقع الرجل على ظهره ميتاً وأنا أراه فحمل على جنازة وانصرفت المرأة. المنتظم ٣٤/٥ ص ١١.

٢- ريح

هبّت ريح شديدة بالديار المصرية غرقت مئتي مركب ، وهلك منها خلق كثير. (سنة ٦٦٧هـ). الشذرات ٣٢٤/٥ ص ١٥.

٣- برّدة

وقع برّدٌ، وزنوا برّدة فكانت مئة رطل بالبغدادي. (وقائع سنة ٦٢٣هـ). الشذرات ٣٣٧/٦ ص ١٥.

٤- سيل عظيم

في ربيع الآخر حصل بجلب سيل عظيم فساق جملة كثيرة من الوحوش والأفاعي فوجد ثعبان فمه يسع ابن آدم إذا بلعه، وكان طوله أكثر من سبعة أذرع. (حوادث سنة ٧٩٥). الشذرات ٦/٣٣٧ ص ١٥.

٥- كسوف

واجتمع في المحرم (سنة ٢٦٩هـ) كسوف الشمس والقمر، وغابت الشمس منكسفة. المنتظم ٥/٦٥ ص ١٨.

٦- أكلوا بغلة الوزير

عام ٤٦٢هـ.

وفيه كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف، والميتات، والكلاب؛ فكان يباع الكلب بخمسة دنانير، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها، وأفنيت الدواب فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب، ونزل الوزير يوماً عن بغلته، فغفل الفلاح عنها؛ لضعفه من الجوع، فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها، وأكلوها، فأخذوا، فصلبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها، وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء، ويدفن رؤوسهم وأطرافهم، ويبيع لحومهم، فقتل وأكل لحمه، وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه في ظاهر البلد، لا يتجاسرون يدخلون لئلا يخطف، وينهب منهم، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميتة نهراً، وإنما يدفنه ليلاً خفية؛ لئلا ينبش فيؤكل.

المنتظم ٨/٢٥٧

البداية والنهاية ١٢/٩٩ ص ١٩

٧_ قصة سواك

وفي سنة ٦٦٥ هـ كما قال ابن خلكان بلغنا من جماعة يوثق بهم وصلوا إلى دمشق من أهل بصرى^(١) أن عندهم قرية يقال لها دير أبي سلامة كان بها رجل من العربان فيه استهتار زائد وجهل، فجرى يوماً ذكر السواك، وما فيه من الفضيلة، فقال: والله ما أستاك إلا من المخرج فأخذ سواكاً وتركه في دبره، فآله تلك الليلة ثم مضى عليه تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن والمخرج، ثم أصابه مثل طلق الحامل، ووضع حيواناً على هيئة الجرذون ورأسه مثل رأس السمكة، وله أربع أنياب بارزة، وذنب طويل مثل شبر وأربع أصابع، وله دبر مثل دبر الأرنب ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات فقامت ابنة ذلك الرجل، فشجت رأسه، فمات وعاش ذلك الرجل بعده يومين ومات، وهو يقول: هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي وشاهد ذلك الحيوان جماعة من تلك الناحية وخطيب المكان. الشذرات ٣١٧/٥ ص ٢٠-١٩

٨_ عجيبه

قال الذهبي: في نيسان مطرنا مطراً أحمر كأعكر ماء الزيادة، وبقي أثر الطين على التمر والورق نحو شهرين. (سنة ٧١٠ هـ). الشذرات ٢١/٦ ص ٢١

٩_ العلاج لبس سروال وشرط أذن

علاء الدين علي بن نجم الدين بن عبدالواحد بن شرف الدين محمد بن صغير

١_ بصرى: هي البلدة التي خرجت منها النار التي تحدث عنها رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز؛ تضيء أعناق الإبل ببصرى» رواه البخاري ومسلم. وكانت هذه النار في زمن ابن كثير الدمشقي.

رئيس الأطباء بالديار المصرية.

كان يصف الدواء للموسر^(١) بأربعين ألفاً، ويصف الدواء في ذلك الداء للمعسر بفلس.

دخل عليه شيخ شكا ما به من السعال، فقال: لعلك تنام بغير سراويل. قال: إي والله، قال لا تفعل نم بسراويلك، فمضى فصدفت ذلك الشيخ بعد أيام فسألته عن حاله، فقال: عملت بما قال، فبرئت.

قال وكان لنا جار حدث لابنه رعاف حتى أفرط فأنحلت قوى الصغير، فقال له: شرط آذانه؛ فتعجب، وتوقف، فقال: توكل على الله وافعل، قال: ففعل ذلك، فبرئ، وله من هذا النمط أشياء عجيبة. شذرات الذهب ٣٤٦/٦ ص ٢٢

١٠- شيخ الوضوء

شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم الصفدي (شيخ الوضوء) لأنه كان يتعاهد المطاهر، فيعلم العوام الوضوء. الشذرات ٣٥٧/٦ ص ٢٣

١١- طفل

أحضر بين يدي الظاهر طفل ميت له رأسان وأربعة أعين، وأربعة أيدي، وأربعة أرجل. (حوادث عام ٦٦٢هـ). شذرات ٣٠٧/٥ ص ٢٤

١٢- امرأة تتحول رجلاً

قال ابن كثير: كان في طرابلس بنت تسمى نفيسة زوجت بثلاثة أزواج ولا يقدرון عليها يظنون أنها رتقاء فلما بلغت خمس عشرة سنة غار ثدياها ثم

١- الموسر: الذي يملك المال.

جعل يخرج من محل الفرج شيء قليلاً إلى أن برز منه قدر إصبع وأنثيان، وكتبت ذلك في محاضر. (حوادث سنة ٧٥٤هـ). شذرات الذهب ٦/١٧٥ ص ٢٤

١٣- دعاء بقي بن مخلد

يقول عبدالرحمن بن أحمد: سمعت أبي يقول: جاءت امرأة إلى ابن مخلد فقالت: إن ابني قد أسره الروم ولا أقدر على مال أكثر من دويرة، ولا أقدر على بيعها، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء، فليس لي ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار. فقال انصرفي حتى أنظر في أمره. إن شاء الله تعالى.

قال وأطرق الشيخ وحرك شفتيه.

قال فلبثنا مدة فجاءت المرأة مع ابنها وأخذت تدعوه وتقول قد رجع سالماً وله حديث يحدثك به، فقال الشاب: كنت في يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم نخرج إلى الصحراء، ثم يردنا وعلينا قيود، فبينما نحن نجيء من العمل بعد المغرب انفتح القيد من رجلي، ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة فوافق اليوم الذي جاءت المرأة ودعاء الشيخ.

قال: فنهض إليّ الذي كان يحفظني وقال: قد كسرت القيد^(١)، قلت: لا إنه سقط من رجلي، فتحيروا خبر صاحبه، وأحضر الحداد، وقيدني فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلي، فتحيروا في أمري فدعوا رهبانهم فقالوا لي: ألك والد؟ قلت: نعم. قالوا: قد رافق دعاءها الإجابة.

وقالوا: أطلقك الله لا يمكننا أن نقيدك، فردوني وأصبحوني إلى ناحية

١- القيد: السلاسل التي يربط بها يد ورجل الأسير.

المسلمين. المنتظم ١٠١/٥، ١٠٠، ص ٢٨-٢٩

١٤- قتل أحد لم يتغيروا بعد ٤٦ عاماً

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه :

... فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال يا جابر ابن عبد الله والله لقد أثار أباك عمال معاوية، فبدأ فخرج طائفة منه، فأتيته فوجدته على النحو الذي دفتته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتل، ثم ساق الإمام قصة وفاته دين أبيه كما هو ثابت في الصحيحين.

وروى البيهقي من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر ابن عبد الله قال: لما أجرى معاوية العين عند قتل أحد بعد أربعين عاماً استصرخناهم إليهم، فأتيانهم فأخرجناهم، فأصاب المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً، وفي رواية ابن إسحاق عن جابر قال: فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس.

وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يجري العين نادى مناديه من كان له قتل بأحد فليشهد، قال جابر: فحضرنا عنهم، فوجدت أبي في قبره كأنما نائم على هيئته ووجدنا جاره في قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً، ويقال: إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك - رضي الله عنهم أجمعين - وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا. البداية والنهاية ٤٣/٨ ص ٣١-٣٢

١٥- الحاكم بأمر الله

ثم كان يركب حماره، وينزل عند باب جامع، الذي عند باب النصر،

ويأخذ من يختار من غلمانہ، فيرقده على باب الجامع، ويشق بطنه بيده، ثم يخرج مصارينه بيده، ويرميهم إلى الكلاب، ويترك المقتول مكانه، حتى يدفنه أهله؛ وكان يعذب جماعة من غلمانہ بالنار. تاريخ ابن إياس ٢٠١/١/١ ص ٣٥

١٦- وجدتھا عوراء عرجاء

أخبرنا أبو منصور القزار أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال أخبرني محمد بن أحمد ابن يعقوب قال حدثنا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت أُمي تقول سمعت مريم امرأة أبي عثمان^(١) تقول صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتتمتها فقلت يا أبا عثمان أي عملك أرجى عندك؟ فقال يا مريم لما ترعرعت وأنا بالري، وكانوا يريدونني على الزواج فأمتنع جاءني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحبتك حباً أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل إليك أن تتزوج بي، قلت: ألك والد؟ قالت: نعم فلان الخياط في موضع كذا وكذا، فراسلت أباها أن يزوجه مني، ففرح بذلك، وأحضرت الشهود، فتزوجت بها فلما دخلت وجدتھا عوراء عرجاء مشوهة الخلق فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي! وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك، فأزيدها براً وإكراماً إلى أن صارت بحيث لا تدعني أخرج من عندها، فتركت حضور المجالس، إثارة لرضاها، وحفظاً لقلبها، ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة، وكأني في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها شيئاً من ذلك إلى أن ماتت! فما شيء أحب عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي. المنتظم ١٠٧/٦ ص ٣٧-٣٨

١- هو أبو عثمان الحيري.

١٧- أكل الناس بعضهم بعضاً

حوادث سنة ٢٨١هـ:

فيها غارت المياه بالري^(١)، وطبرستان^(٢) وأصاب الناس بعد ذلك جهد جهيد، وقحط حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، وأكل إنسان منهم ابنته.

المنتظم ١٤٧/٥ ص ٤٢

١٨- ومن غرائب المنقول وعجائبه

الأمير بدر الدين أبو المحاسن يوسف المهندي المعروف بمهندار العرب أنه قال: حكى الأمير شجاع الدين محمد الشيرازي متولي (القاهرة) في الأيام الكاملية سنة ثلاث وستمئة، قال: بتنا عند رجل ببعض بلاد الصعيد، فأكرمنا وكان الرجل شديد السمرة، وهو شيخ مخضر له أولاد بيض الوجوه حسان الأشكال، فقلنا له هؤلاء أولادك؟ فقال: نعم؛ وكأنني بكم وقد أنكرتم بياضهم وسواي فقلنا له: نعم، قال: هؤلاء أمهم إفرنجية أخذتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب، فقلنا: وكيف أخذتها؟ قال: حديثي بها عجيب. قلنا: أتخفنا به قال: زرعت كتناً في هذه البلدة، وقلعته، ونفضته، فانصرف عليه

١- الرّي: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وهي أكبر من أصبهان بناها المهدي في خلافة المنصور (معجم البلدان ١١٨/٣)، وتسمى طهران حالياً.

٢- طبرستان: بفتح أوله وثانيه، وكسر الراء، واستان: الموضع أو الناحية، كأنه الطبر، وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، وطبرستان في البلاد المعروفة بحازندران، فتحت أيام عثمان ابن عفان رضي الله عنه بوساطة عبدالله بن عامر كرز بن صبيب، وغزا سعيد بن العاص طبرستان وافتتح -أيضاً- من طبرستان الرويان ودنباوند. (معجم البلدان ١٣/٤).

خمسمائة دينار، ولمّ الثمن إلى أكثر من ذلك، فحملته إلى (القاهرة) فلم يصل إلى أكثر من ذلك، فأشير عليّ بحمله إلى (الشام) فحملته، فما زاد على تلك القيمة شيئاً، فوصلت به إلى (عكا) فبعت بالأجل، البعض تركته عندي واشترت حانوتاً أبيع فيه على مهلي إلى حيث انقضاء المدة، فبينما أنا أبيع إذ مرت بي امرأة إفرنجية - ونساء الإفرنج يمشون في الأسواق بلا نقاب في الأسواق - فأنت تشتري مني كتاناً، فرأيت من جمالها ما بهرني، فبعته، وسامحتها ثم انصرفت، وعادت إليّ بعد أيام، فبعته وسامحتها أكثر من المرة الأولى، فتكررت إليّ، وعلمت أنني أحبها، فقلت للعجوز التي معها: إنني قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة، فقالت لها ذلك، فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهي، فقلت لها قد سمحت بروحي في حبها واتفق الحال أن أدفع خمسين ديناراً صورية فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك، فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول، ومشروب، وشمع وحلاوة، فجاءت الإفرنجية فأكلنا، وشربنا، وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت في نفسي: أما تستحي من الله وأنت غريب تعصي الله مع نصرانية! اللهم إني أشهدك أنني قد عفت عنها في هذه الليلة؛ حياءً منك وخوفاً من عقابك، ثم نمت، ونامت إلى الصبح، وقامت في السحر وهي غضبي ومضت ومضيت أنا إلى حانوتي فجلست فيه وإذا هي قد عبرت عليّ هي والعجوز، وهي مغضبة وكأنها القمر؛ فهلكتُ فقلت في نفسي من هو أنت حتى تترك هذه البارعة في حسنها ثم لحقت، وقلت ارجعي،

فقلت: «^(١) ما أرجع إليك إلا بمائة دينار، فقلت: نعم رضيت، فوزنت مائة دينار، فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة الأولى، وعففت عنها وتركتها؛ حياءً من الله - تعالى - ثم مضت، ومضيت إلى موضعي ثم عبرت بعد ذلك عليّ وكانت مستعربة، فقلت: «^(٢) ما بقيت تفرح بي عندك إلا بخمسة مائة دينار أو تموت كمداً، فارتعدت لذلك، وعزمت أن أصرف عليها ثمن الكتان جميعه؛ فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي: معاشر المسلمين إن الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت، وقد أمهلنا من هنا من المسلمين إلى الجمعة^(٣)، فانقطعت عني وأخذت أنا في تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من (عكا) وفيّ قُلبَة^(٤) من الإفرنجية فوصلت إلى (دمشق) وبعثت البضاعة بأوفى ثمن؛ بسبب فراغ الهدنة، ومنّ الله بكسب وافر وأخذت أتعجّر في الجوّاري عسى أن يذهب ما بقلبي من الإفرنجية؛ فمضت ثلاث سنين وجرى للسلطان الملك الناصر ما جرى من (وقعة حطين) وأخذ جميع الملوك، وفتح بلاد الساحل - بإذن الله تعالى - فطلب مني جارية للملك الناصر، فأحضرت جارية حسنة، فاشترت له مني بمائة دينار فأوصلوا إليّ تسعين ديناراً، وبقيت عشرة دنائير فلم يلتقوها في الخزانة ذلك اليوم؛ لأنه

١-٢. عبارة شطبتها من النص لأن فيها حلفاً بالمسيح، وهذا مما لا يجوز شرعاً؛ لأنه من الشرك بالله سواء من حلف بالأنبياء أو بغيرهم، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه مسلم. قاله المحقق الشيخ محمد الشيباني.

٣- أسبوع.

٤- حرة ولوعة وأثر.

أنفق جميع الأموال فشاوروه على ذلك ، فقال امضوا به إلى الخزانة التي فيها السبي من نساء الإفرنج في واحدة منهن يأخذها بالعشرة دنانير التي له ، فأتيته الخيمة فعرفت غريمي الإفرنجية ، فقلت أعطوني هاتيك ، فأخذتها ، ومضيت إلى خيمتي وخلوت بها وقلت لها : أتعرفيني ؟ قالت : لا ، فقلت : أنا صاحبك التاجر الذي جرى لي معك ما جرى وأخذت مني الذهب ، وقلت ما بقيت تبصرني إلا بخمسمائة دينار ، وقد أخذتك ملكاً بعشرة دنانير ، فقالت : مد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فأسلمت وحسن إسلامها ، فقلت : والله ما وصلت إليها بأمر القاضي^(١) ، فرحت إلى ابن شداد وحكيت له ما جرى ، فعجب ، وعقد لي عليها ، وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ، ثم رحل العسكر ، وأتينا دمشق وبعد مدة يسيرة أتى رسول الملك يطلب الأسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيراً من الرجال والنساء ، ولم يبق إلا التي عندي فسألوا عنها واتضح الخبر أنها عندي ، وطلبت مني فحضرت ، وقد تغير لوني وأحضرتها معي بين يدي مولانا السلطان الملك الناصر والرسول حاضر ، فقال لها الملك الناصر بحضرة الرسول : ترجعين إلى بلادك أو إلى زوجك فقد فككنا أمرك وأمر غيرك ، قالت : يا مولاي السلطان أنا قد أسلمت وحبلت وها بطني كما ترونه وما بقيت الإفرنج تنتفع بي فقال لها الرسول : أيما أحب إليك هذا المسلم أو زوجك الإفرنجي فلان ؟ فأعادت عبارتها الأولى ، فقال الرسول لمن معه من الإفرنج : اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول :

١- يقصد العقد عليها على سنة الله ورسوله ، ولعل الصواب : والله ما وصلت إليها إلا بأمر ...

خذ زوجتك، فولعت بها فطلبني ثانياً، وقال إن أمها أرسلت معي وديعة وقالت: إن ابنتي أسيرة، وأشتهي أن توصل لها هذه الكسوة، فتسلمت الكسوة، ومضيت إلى الدار، وفتحت القماش فإذا هو قماش بعينه قد سيرته لها أمها، ووجدت الصرتين الذهب الخمسين ديناراً والمائة دينار كما هي بربطتي لم يتغير، وهؤلاء الأولاد منها، وهي التي صنعت لكم هذا الطعام.

المستطرف (للابشيهي ٧٩٠-٨٥٠هـ)

(٢٠١/١-٢٠٥) ص ٥١-٥٤

١٩- مات فجأة

أبو سعيد الإسماعيلي:

توفي فجأة بمرجان في ربيع الآخر (٣٩٦هـ) وهو قائم يصلي في المحراب، في صلاة المغرب، فلما قرأ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (الفاتحة: ٥) فاضت نفسه فمات ﷺ. البداية والنهاية ١١/٣٣٦ ص ٥٨

٢٠- سجود

في سنة (٣٩٦هـ):

كانت الخطبة للحاكم العبيدي، وتجدد في الخطبة أنه إذا ذكره الخطيب يقوم الناس كلهم؛ إجلالاً له، وكذلك فعلوا بديار مصر مع زيادة السجود له، وكانوا يسجدون عند ذكره يسجد من هو في الصلاة، ومن هو في الأسواق يسجدون لسجودهم، لعنه الله وقبحه.

البداية والنهاية ١١/٣٣٦ ص ٥٨

٢١- خنّاق النساء

عام ٢٥٧هـ

وفيها ظُفر ببغداد بموضع يقال له بركة زُلْزَل برجل خنّاق قد قتل خلقاً من النساء كان يؤلف المرأة ثم يخنقها، ويأخذ ما عليها، فحمل إلى المعتمد، فضرب بين يديه بألفي سوط وأربعمائة، فلم يمت حتى ضربه الجلادون على أنثيه^(١) بخشب العقابين^(٢) فمات ورد إلى بغداد وصلب هناك، ثم أحرقت جثته.

البداية والنهاية ٢٨/١١ ص ٦٠-٦١

٢٢- زلزال واسط

عام ٢٥٨هـ

وقعت زلزلة شديدة، وهدة عظيمة، تهدمت فيها بيوت ودور كثيرة، ومات من الأناس نحو من عشرين ألفاً. البداية والنهاية ٣٠/١١ ص ٦١

٢٣- الزبير يملك خمسين مليون درهم

قال ابن قتيبة: حدثنا محمد بن عتبة، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه أن الزبير ترك العُروض بخمسين ألف ألف درهم، ومن العين خمسين ألف درهم. (رجاله ثقات).

وقال ابن عينة: عن هشام، عن أبيه قال: اقتسم مالُ الزبير على أربعين ألف ألف. سير أعلام النبلاء ٦٥/١ ص ٦٣-٦٤

١- أنثيه: خصيته.

٢- العقابين: خشبتان يشبح الرجل بينهما للجلد. (لسان العرب ٨٣٤/٢).

٢٤- حامل كفنہ

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال بلغني المعروف بحامل كفنہ - محمد ابن يحيى أبو سعيد توفي، وغسل، وكفن، وصلي عليه، ودفن فلما كان في الليل جاء نباش فنبش عنه فلما حل أكفانه؛ ليأخذها استوى قاعداً فخرج النباش هارباً منه، فقام، وحمل كفنہ، وخرج من القبر، وجاء إلى منزله وأهله ليكون، فدق الباب عليهم، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا فلان! فقالوا له: لا يحل لك أن تزيدنا على ما بنا، فقال: يا قوم افتحوا فأنا والله فلان! فعرفوا صوته، ففتحو، وعاد حزنهم فرحاً، وسمي من يومئذ حامل كفنہ، توفي محمد بن يحيى في هذه السنة (٢٩٩هـ).

ومثل هذه جرى لسعير بن الخمس الكوفي فإنه لما دلي في حفرة اضطرب، فحلت عنه أكفانه، فقام، ورجع إلى منزله، وولد له بعد ذلك ابنه مالك ابن سعير. ص ٧٦

٢٥- نهاية الظلم

حوادث سنة ٥١٦هـ

علي بن أحمد السميرمي: نسبة إلى قرية بأصبهان^(١)، كان وزير السلطان

١- أصفهان: منهم من يفتح الهمزة، وهم الأكثر وكسرها آخرون منهم السمعاني وأبو عبيد البكري الأندلسي: وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف وأصفهان: اسم للإقليم بأسره (معجم البلدان ٢٠٦/١).

محمود، وكان مجاهراً بالظلم والفسق، وأحدث على الناس مكوساً^(١)، وجدها بعد ما كانت قد أزيلت من مدة متطاولة، وكان يقول: قد استحييت من كثرة ظلم من لا ناصر له، وكثرة ما أحدثت من السنن السيئة، ولما عزم على الخروج إلى همدان أحضر المنجمين فضربوا له تَخْتَ رملٍ لساعة خروجه ليكون أسرع لعودته، فخرج في تلك الساعة وبين يديه السيوف المسلولة، والممالك الكثيرة بالعدد الباهرة، فما أغنى عنه ذلك شيئاً، بل جاءه باطني فضربه فقتله، ثم مات الباطني بعده، ورجع نساؤه بعد أن ذهبن بين يديه على مراكب الذهب، حاسرات عن وجوههن، قد أبدلهن الله الذل بعد العزة، والخوف بعد الأمن، والحزن بعد السرور والفرح جزاءً وفاقاً، وذلك يوم الثلاثاء سلخ صفر، وما أشبه حالهن بقول أبي العتاهية في الخيزران وجواربها حين مات المهدي:

رُحْنٌ فِي الْوَشَى كَسِيرَا	تَ عَلَيْهِنَ الْمَسُوحُ
كُلُّ بَطَّاحٍ مِنَ النَّاسِ	سَ لَهُ يَوْمَ بَطُوحُ
لَتَمُوتَنَّ وَلَوْ عُمَرُ	تَ مَا عُمَرُ نُوْحُ
فَعَلَى نَفْسِكَ نَحْ إِنْ	كُنْتَ لَا بَدَّ تَنُوحُ

البداية والنهاية ١٢/١٩١ ص ٧٨-٧٩

١- المكس: الجباية، مَكْسُهُ يَمَكْسُهُ مَكْسًا وَمَكْسَتُهُ مَكْسًا. والمكس: دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية. والمكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وأصله الجباية. (لسان العرب ٥١٥/٣).

وفي الحديث: «لا يدخل صاحب مكس الجنة» حديث ضعيف رواه أحمد (١٥٠/٤) وأبو داود والدارمي (٣٩٣/١) والمشكاة (٣٢٥/٢) عن عقبة بن عامر.

المحتويات

٣	المقدمة
٥	أولاً: نقولات مختارة من كتاب «أدب النفس» للحكيم الترمذي :
٥	- تعريف بالمؤلف وبالكتاب
٦	- النقولات المنتقاة - ٢٥ نقلاً -
	ثانياً: نقولات مختارة من كتاب «الحث على طلب العلم والاجتهاد
١٥	في جمعه» لأبي هلال العسكري :
١٥	- تعريف بالمؤلف
١٦	- تعريف بالكتاب
١٧	- النقولات المنتقاة - ٣٠ نقلاً -
	ثالثاً: نقولات مختارة من كتاب «الصدقة والصديق» لأبي حيان
٢٥	التوحيدي :
٢٥	- تعريف بالمؤلف
٢٦	- تعريف بالكتاب
٢٨	- النقولات المنتقاة - ١٠٣ نقول -
	رابعاً: نقولات مختارة من كتاب «لباب الآداب» تأليف الأمير أسامة ابن
٥١	منقذ :
٥١	- تعريف بالمؤلف
٥٢	- تعريف بالكتاب

- ٥٣ - النقول المتقاة :
- ٥٣ ١- باب الوصايا
- ٥٦ ٢- باب السياسة
- ٦١ ٣- باب الكرم
- ٦٣ ٤- باب الشجاعة
- ٦٤ ٥- من اشتهر بالفتك بالجاهلية
- ٦٥ ٦- ومن شهر بالفتك في الإسلام
- ٦٧ ٧- باب الآداب
- ٦٨ ٨- فصل في حسن الجوار
- ٦٩ ٩- فصل في الصمت وحفظ اللسان
- ٦٩ ١٠- فصل في التعفف
- ٧٠ ١١- فصل في الصبر على الأذى ومداراة الناس
- ٧٠ ١٢- فصل في حفظ التجارب وغلبة العادة
- ٧١ ١٣- باب البلاغة
- ٧٣ ١٤- باب في الحكمة

خامساً: نقولات مختارة من كتاب «الوصية المباركة» لابن قدامة

- ٧٥ المقدسي :
- ٧٥ - تعريف بالمؤلف
- ٧٦ - تعريف بالكتاب

سادساً: نقولات مختارة من كتاب «آداب الحرب في الإسلام» تأليف

العلامة محمد الخضر حسين :

٨٣

- تعريف بالمؤلف وبالكتاب

٨٣

- النقول المتقاة :

٨٤

١- أسباب الحرب

٨٤

٢- الاستعداد للحرب

٨٥

٣- التدريب على الحرب

٨٦

٤- محاكاة العدو في وسائل الدفاع

٨٦

٥- كتابة أسماء من يدعون إلى الحرب

٨٧

٦- إعلان الحرب

٨٧

٧- رفع الرايات في الحرب

٨٨

٨- الشعار في الحرب

٨٨

٩- تعهد الجند بالموعظة

٨٩

١٠- النشيد الحماسي

٨٩

١١- الزحف في صفوف منظمة

٨٩

١٢- الإقدام في الدفاع

٩٠

١٣- الثبات في مواقع الدفاع

٩١

- ١٤- الإخلاص في الحرب ٩١
- ١٥- أثر الاستقامة في الانتصار ٩٢
- ١٦- الدهاء في الحرب ٩٢
- ١٧- اطلاع ولي الأمر على سير الحرب يوماً فيوماً ٩٢
- ١٨- الشورى في الحرب ٩٣
- ١٩- كيف يكون قائد الجيش ٩٣
- ٢٠- استكشاف حال العدو ٩٤
- ٢١- التكتّم في الحرب ٩٥
- ٢٢- الاحتراس في الحرب ٩٥
- ٢٣- حكم الجاسوس في الإسلام ٩٦
- ٢٤- الرفق بالجند ومعاملتهم بالعدل ٩٦
- ٢٥- تلقيهم أوامر القائد بحسن الطاعة ٩٧
- ٢٦- تحامي الاختلاف المؤدي إلى الشقاق ٩٧
- ٢٧- التخلف عن الدفاع ٩٨
- ٢٨- الفرار من صفوف القتال ٩٩
- ٢٩- الوفاء بتأمين المحارب ٩٩
- ٣٠- مجاملة رسل العدو وعدم التعرض لهم بأذى ١٠٠
- ٣١- تجنب قتل من لا يقاتل ١٠١
- ٣٢- معاملة الأسرى ١٠٢

- ١٠٢ - ٣٣ الدفاع في البحر
- ١٠٣ - ٣٤ عقد الصالح
- ١٠٤ - ٣٥ تخليص الأسرى من أيدي العدو
- ١٠٥ - ٣٦ تقدير البطولة

سابعاً: نقولات مختارة من كتاب «عادات عربية» تأليف محمد المكي

- ١٠٩ بن الحسين:
- ١٠٩ - تعريف بالمؤلف
- ١١١ - تعريف بالكتاب
- ١١٤ - النقولات المنتقاة:
- ١١٤ ١ - عادات شعراء العرب
- ١١٥ ٢ - عادات العرب في الأموات والقتلى
- ١١٨ ٣ - ميز شجعان العرب بعلامات في الحرب
- ١١٩ ٤ - عناية العرب بالضيف
- ١٢٠ ٥ - تنكيل العرب في الجاهلية بالجناة
- ١٢٢ ٦ - عناية السلف باللغة العربية وكتبها
- ١٢٣ ٧ - أرخى عمامته
- ١٢٤ ٨ - أبو الأضياف
- ١٢٤ ٩ - تخيلات الأمة العربية في أطوار الجاهلية

- ١٢٥ - عادات ملوك العرب في الجاهلية والإسلام
- ١٢٧ - عادات نساء العرب في الأعصر الجاهلية
- ١٢٧ - عادات العرب في الخيل
- ١٣١ - عادات العرب في الإبل
- ١٣٥ - عادات العرب في الحروب والغزوات
- ١٣٧ - عادات عربية خاصة بالأعراس
- ١٣٩ - مجالس العرب في الجاهلية والإسلام
- ١٤٤ - قرع السن كناية عن الندم
- ١٤٤ - الأضياف والضيافة
- ١٤٦ - عادات العرب بأمر الأضياف
- ١٤٧ - عادات عربية

ثامناً: نقولات مختارة من كتاب «الحديقة» لمحّب الدين الخطيب:

- ١٥٥ - تعريف بالمؤلف
- ١٥٦ - تعريف بالكتاب
- ١٥٧ - النقولات المنتقاة:
- ١٥٧ - ١- هدية
- ١٥٧ - ٢- مرض حب الشهرة
- ١٥٨ - ٣- الزوجة

- ١٥٨ - ٤ - السفور بعد الحجاب
- ١٥٨ - ٥ - الرجولة في نظر المتنبى
- ١٥٨ - ٦ - الاعتدال والبساطة
- ١٥٩ - ٧ - الصابر العظيم
- ١٥٩ - ٨ - من اعترافاتهم
- ١٦٠ - ٩ - ملك القلوب
- ١٦٠ - ١٠ - السعادة قريبة التناول
- ١٦١ - ١١ - سبيل النجاح في نظر فورد
- ١٦١ - ١٢ - العمل رياضة العقل
- ١٦٢ - ١٣ - من أقوال شوقي
- ١٦٣ - ١٤ - كلمات للإمام أحمد بن حنبل
- ١٦٤ - ١٥ - ذكاء الأعراب
- ١٦٤ - ١٦ - شمم العرب
- ١٦٤ - ١٧ - من كلام الأحنف بن قيس
- ١٦٥ - ١٨ - الرجل
- ١٦٦ - ١٩ - المرأة
- ١٦٦ - ٢٠ - من كلام سعيد بن المسيب سيد التابعين
- ١٦٦ - ٢١ - من كلام طاووس
- ١٦٦ - ٢٢ - خصومة العظماء

تاسعاً: نقولات مختارة من كتاب «مقام إبراهيم» لمحمد طاهر الكردي

المكي :

١٦٩

١٦٩

- تعريف بالمؤلف

١٧٠

- تعريف بالكتاب

١٧٩

- النقولات المنتقاة - ٣٨ نقلاً -

عاشراً: نقولات مختارة من كتاب «عجائب من عصور متفرقة» الجزء

٢١٣

الأول لمحمد بن إبراهيم الشيباني :

٢١٣

- تعريف بالمؤلف وبالكتاب

٢١٤

- النقولات المنتقاة :

٢١٤

١- استجابة دعاء

٢١٤

٢- ربح

٢١٤

٣- بَرْدَة

٢١٥

٤- سيل عظيم

٢١٥

٥- كسوف

٢١٥

٦- أكلوا بغلة الوزير

٢١٦

٧- قصة سواك

٢١٦

٨- عجيبة

٢١٦

٩- العلاج لبس سروال وشرط أذن

- ٢١٧ - ١٠ - شيخ الوضوء
- ٢١٧ - ١١ - طفل
- ٢١٧ - ١٢ - امرأة تتحول رجلاً
- ٢١٨ - ١٣ - دعاء بقي مخلد
- ٢١٩ - ١٤ - قتلى أحد لم يتغيروا بعد ٤٦ عاماً
- ٢١٩ - ١٥ - الحاكم بأمر الله
- ٢٢٠ - ١٦ - وجدتها عوراء عرجاء
- ٢٢١ - ١٧ - أكل الناس بعضهم بعضاً
- ٢٢١ - ١٨ - ومن غرائب المنقول وعجائبه
- ٢٢٥ - ١٩ - مات فجأة
- ٢٢٥ - ٢٠ - سجود
- ٢٢٦ - ٢١ - خنّاق النساء
- ٢٢٦ - ٢٢ - زلزال واسط
- ٢٢٦ - ٢٣ - الزبير يملك خمسين مليون درهم
- ٢٢٧ - ٢٤ - حامل كفته
- ٢٢٧ - ٢٥ - نهاية الظلم